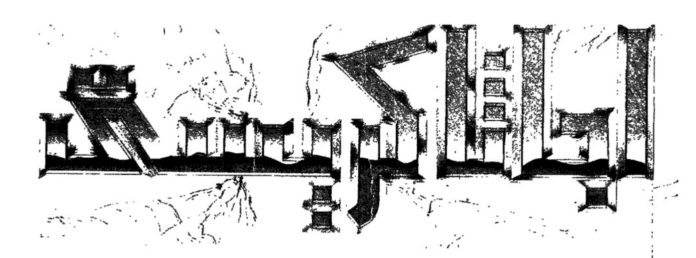


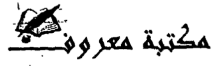
القضية الكبرى



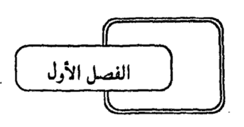
اجاثا كريستى

القضية الكبرى

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال



مكتبة معروف
الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة: ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٢٧٠ الإسكندرية



الفصل الأول

من منا لم يشعر ابدا بذلك الانقباض الذى يحس به المرء فجأة وهو يتذكر تجربة عايشها من قبل أو منظرا مألوفا مر به وكان له أكبر الأثر فى حياته ويقول :

- ولكن سبق أن فعلت هذا ؟

ولماذا تحدث فينا هذه الكلمات البسيطة كل هذا التأثير العميق ؟

هذا هو السؤال الذى كنت ألقيه على نفسى وأنا جالس فى ركن من المقصورة أتابع مناظر أقليم اسكس وهى تتوالى أمام عينى .

كم من الوقت انقضى منذ ان قمت بنفس هذه الرحلة وأى أحساس ذلك الذى ينتابنى ويجعلنى أشعر بأننى خلفت أحسن سنى عمرى ورائى .. فقد أصبت خلال تلك الحرب التى ستظل بالنسبة لى الحرب على الرغم من أنه وقعت بعدها حرب أشد فظاعة وبشاعة كنت فى سنة ١٩١٦ مقتنعا بأننى أصبحت شابا ناضجا فى حين اننى لم أكن ادرى عندئذ أن حياتى الحقيقية انما بدأت فى ذلك الوقت .

وكنت ماضيا ، دون أن ادرى بعد الى لقاء ذلك الرجل الذى كان له أكبر الأثر فى تكييف حياتى وتشكيلها .. كنت ذاهبا فى ذلك الوقت لقضاء بضعة أيام مع صديقى جون كافنديش ، وكانت أمه قد تزوجت للمرة الثانية وأصبحت تملك بحكم زواجها بيتا ريفيا معروفا باسم " قصر ستايلز " . ولم أكن أرى فى هذه الرحلة الا متعة اللقاء باصدقاء قدامى ، وما كنت أظن عندئذ أننى لن أليث ان أغرق فى تعقيدات جريمة قتل غامضة .

ذلك أننى التقيت فى قصر ستايلز بهركيول بوارو ، ذلك الرجل العجيب القصير

القامة الذى سبق أن تعرفت به فى بلجيكا ، وما زلت أذكر دهشتى وأنا أراه يقطع شارع القرية الرئيسى بمشيته التى يشوبها عرج خفيف وبوجهه الذى يتوسطه شاربه العجيب .

هركيول بوارو ! .. لقد أصبح صديقى الحميم منذ ذلك الوقت ، وقد التقيت أثناء مطاردتنا لأحد القتلة وتذكرت زوجتى الراحلة .. أجمل وأوفى وأرق رفيقة عرفها أى رجل ، وهى ترقد الآن فى سلام فى أرض الأرجنتين كما تمنت ، دون أن تشعر بأية آلام ومن غير أن تعرف ضعف الشيخوخة ، ولكنها خلفت وراءها للأسف رجلا وحيدا يائسا .

آه ، لو أستطيع أن أعود الى الخلف وان ابدأ حياتى من جديد ! .. لو أجد نفسى بطريقة السحر فى ذلك اليوم من سنة ١٩١٦ حيث ذهبت الى قصر ستايلز لأول مرة !.. لقد تغيرت أمور كثيرة منذ ذلك اليوم ، واختفت وجوه مألوفة . أما القصر نفسه فقد انتقلت ملكيته الى قوم آخرين .. فقد مات جون كافنديش .. ولكن زوجته مارى ، تلك المخلوقة الفاتنة الغامضة فكانت لا تزال على قيد الحياة فى مكان ما من مقاطعة ديفون .. أما لورنس فيقيم الآن فى أفريقيا الجنوبية هو وزوجته وأولاده نعم ، تبدلت أمور كثيرة .. وتناول التغيير كل مكان ولكن شيئا واحدا بقى كما هو وبصورة عجيبة ذلك أننى كنت عائدا الى قصر ستايلز للقاء هركيول بوارو .

فقد دهشت دهشة كبيرة قبل ذلك ببضعة أيام عندما تسلمت منه خطابا يحمل اسم قصر ستايلز ، لأننى لم أكن قد رأيته منذ أكثر من سنة . وكان هذا اللقاء الأخير قد أثار خوفى واضطرابى ، فقد بلغ بوارو من الكبر عتيا وأصيب بالتهاب المفاصل . ولكن قد انتقل الى مصر على أمل أن تتحسن صحته ولكنه قال لى فى خطابه أن حالته بقيت كما هى ولم يطرأ عليها أى تغيير . غير أن خطابه كان يدل على الرغم من ذلك ، على أنه لا يزال على شئ من الحيوية .

***

" ألا تشعر بشئ من الدهشة يا صديقى وأنت ترى عنوان المكان الذى اكتب اليك منه ؟ .. ألا يعيد اليك بعض الذكريات القديمة ؟ .. نعم ، أننى فى قصر ستايلز تصور أن القصر قد أصبح الآن بنسيونا يديره رجل من ضباط الجيش القدامى ، وأن كانت زوجته هى التى تهتم بالشئون المالية .. وهى امرأة كفء بلا شك ولكنها سليطة اللسان ، وهذا أمر يؤسف له بالنسبة للضابط المسكين . ولو أننى كنت مكانه لما رضيت بهذا الوضع أبدا .

" ذلك أننى رأيت الاعلان الذى نشرته الجرائد ، وقد شعرت بالرغبة فى أن أرى من جديد ذلك المكان الذى قضيت فيه أيامى الأولى فى انجلترا ، فان المرء اذا ما بلغ سنى يحلو له ان يتذكر الماضى .

ومن ناحية أخرى وجدت هنا رجلا نبيلا صديقا لمخدوم ابنتك ، وقد حث آل فرانكلين على قضاء الصيف هنا . وقد جاء دورى الآن لكى اقنعك بالمجئ ، وسوف نكون أسرة واحدة معا . سيكون الأمر جميلا ولهذا أرجو أن تعجل يا عزيزى هاستنجز وان تسرع بالمجئ . اننى حجزت لك غرفة ملحقا بها حمام ، فان قصر ستايلز قد امتدت اليه يد التجديد ، وقد ساومت حتى حصلت لك على أجر مناسب جدا .

ان آل فرانكلين وابنتك الظريفة جوديث هنا منذ بضعة أيام وقد تم تدبير كل شئ ولا داعى اذن لأن تحاول التملص ..

الى اللقاء اذن

صديقك هركيول بوارو

* * *

وأغراني احتمال اللقاء به وفرصة رؤيتي لابنتي فنزلت عند رغبته ، وخاصة وأنه لم يكن هناك ما يمنعني من ذلك ، فقد التحق ابني الأكبر بالبحرية في حين تزوج الآخر وراح يشرف على مزرعتنا بالأرجنتين . وتزوجت ابنتي جريس بضابط من الجيش وانتقلت معه للاقامة في الهند ، أما ابنتي الصغرى جوديث ، وكانت أقرب الى قلبي من غيرها وان كنت لم أستطع ان افهمها أبدا ، فقد كانت فتاة غامضة متحفظة تركب رأسها دائما ولا تتقبل نصيحة من احد ، وطالما أحزنني مسلكها هذا ولكن زوجتي كانت تفهمها أكثر مني وكانت تؤكد لي أن هذا الأمر منها لا يعتبر قلة ثقة وانما هو نوع من الرزانة اللاشعورية . وكانت تبدي اهتماما كبيرا نحوها وتقول ان مشاعر جوديث واحساساتها حارة دائما أكثر من اللازم ، وان تحفظها الغريزي يحرمها من صمام الأمان . وكان لها لحظات غريبة من الكآبة والتعصب المشوب بالمرارة ولكنها رغم ذلك كانت اذكى أخواتها جميعا ، وقد نزلنا عن طيب قلب عند رغبتها في أن تتم تعليمها الجامعي وحصلت على شهادتها الجامعية في العام الماضي ، والتحقت بوظيفة مساعدة لطبيب يزاول أبحاثا خاصة بأمراض المناطق الحارة .

وقد تساءلت أحيانا في شئ من الخوف اذا لم يكن تمسك جوديث بعملها وأخلاصها لمخدومها لا يعنيان أنها تسلم قليلا من قلبها في هذه المغامرة . ولكن الطبيعة الجدية لعلاقاتها كانت تبعث الاطمئنان الى قلبي ، وأظن ان جوديث كانت تحبني في قرارة نفسها ولكنها كانت صريحة بطبعها ، وتزدري ما ندعوه نحن بالافكار العاطفية البالية ولكن انصافا للحقيقة يجب أن أقول أنني كنت أشعر بشئ من القلق فيما يتعلق بها .

وكنت قد بلغت هذا الحد من أفكاري عندما توقف القطار في محطة ستايلز سنت ماري . وكانت المحطة لا تزال على العهد بها لم يتغير فيها شئ وبقيت دون ما سبب ظاهر مكانها وسط الحقول .

ولكننى لم البث أن تحققت من كر الأيام وسيارة الأجرة تنهب بى شوارع القرية ، فقد تغيرت قرية ستايلز سنت مارى بصورة ملموسة .. محطات بنزين ودار للسينما وفندقان اضافيان وصفوف من المساكن العادية ذات الايجار المعتدل .

ولم تلبث السيارة أن عبرت بوابة قصر ستايلز وهناك خيل لى فجأة أننى أعود الى أغوار الماضى ، فقد وجدت الحديقة مطابقة لذكرياتى ولكن الطرقة الطويلة امتدت اليها يد الأهمال وأخذت الأعشاب المتوحشة تنمو وتشق لها طريقا خلال الحصى ، وعند أحد المنحنيات رأينا القصر وكان مظهره الخارجى هو هو لم يتغير ولكن الواجهة والشبابيك كانت فى حاجة الى طبقة من الطلاء .

وعندما جئت الى القصر فى أول مرة ، وكان ذلك منذ سنوات عديدة ، كانت هناك مخلوقة منحنية فوق أحد أحواض الزهور ، وفى هذه المرة تكرر الأمر ورأيت مخلوقة أخرى منحنية فوق حوض للزهور وخيل لى عندئذ ان قلبى سيتوقف عن الخفقان ولكن لم تلبث تلك المخلوقة أن اعتدلت فابتسمت عندئذ فى شئ من الارتياح لأنه كان هناك اختلاف كبير بين هيلين هوارد وبين المرأة التى تقف امامى فى هذه اللحظة ، فقد كانت مخلوقة هشة متقدمة فى السن ذات شعر غزير أبيض تمشطه فى حلقات ، ووجنتين متوردتين وعينين زرقاوين باهتتين ونظرة باردة تتناقض مع رشاقة حركاتها التى بدت لى مفرطة بعض الشئ .

وسألتنى تقول :

هل أنت الكابتن هاستنجز ؟ .. يا الهى ! .. ان يدى ملوثتان بالطين . يسرنى ان أراك بيننا . اننا سمعنا الكثير عنك ، ولكن اسمح ان أقدم نفسى . أنا مسز لوتريل . أشتريت أنا وزوجى هذا البيت على أثر نزوة ونحاول ان نستغله الآن وما كنت أظن ابدا أنه سيأتى يوم أدير فيه بنسيونا . ولكن يجب ان أعترف منذ الآن يا كابتن هاستنجز أننى امرأة أعمال واننى أتشدد بقدر ما استطيع فى استهلاك الكماليات .

وضحكنا معا كما لو ان فى قولها هذا دعابة طيبة ثم خطر لى فجأة ان ما ذكرته مسز لوتريل قد لا يتعدى الحقيقة فقد رأيت خلف رقتها وظرفها صلابة شديدة وسألتها عن صديقى فقالت :

– آه . مسكين مستر بوارو .. لو تعرف كيف يتلهف على رؤيتك . ان من يرى حالته ولا يتأثر انما يكون قلبه قد من حجر ، واننى أرثى له من سويداء قلبى .

كانت مسز لوتريل تتكلم فى بعض الأحيان بلهجة ايرلندية ، ولكن كان من الواضح ان ذلك مجرد تصنع منها . وخلعت قفازها الذى تستعمله فى الفلاحة ثم مضينا نحو البيت .

واستطردت تقول :

– ان ابنتك مخلوقة فاتنة . والجميع هنا معجبون بها اعجابا لاوصف له . ولكننى امرأة من " الدقة القديمة " . وأرى أن أرغام فتاة مثلها على قضاء كل وقتها منحنية فوق مجهر انما هو جريمة لا تغتفر وانها بدلا من ذلك يجب أن تخرج وان ترقص وان تخالط قوما فى مثل سنها .

– اين هى الآن ؟

كشرت مسز لوتريل وقالت :

– يا للفتاة المسكينة ! .. انها سجينة كعادتها فى ذلك المعمل الذى استأجره منى الدكتور فرانكلين وأعده وفق ما يريد . ان به عددا كبيرا من الفئران والأرانب والخنازير الصغيرة ، واعترف اننى لا أحب هذا الفرع من العلم .. آه ، ها هو زوجى .

وكان الكولونيل لوتريل قد ظهر من أحد أركان البيت ، وكان رجلا طويل القامة نحيفا له وجه شاحب وعينان زرقاوان ونظرة حلوة . وكان يبدو بالحرى عصبى المزاج وكان قد اعتاد على أن يفتل شاربه الصغير وهو يتكلم .

بسط الكولونيل يده الى وسألنى :

- هل أتيت بقطار الساعة الخامسة والأربعين ؟
قالت زوجته فى لهجة لاذعة :
- هل هناك قطار آخر غيره . اذهب به لكى يرى غرفته . ولعله يريد أن يرى صديقه بزارو بعد ذلك ، الا اذا كنت تؤثر أن تتناول الشاى قبل ذلك يا كابتن هاستنجز؟

أكدت لها اننى لا أريد شيئا واننى أفضل ان اذهب لكى أحيى صديقى دون ابطاء وقال الكولونيل :
- حسنا . اذا أردت أن تتبعنى . آه .. هل صعد أحد بحقائب الكابتن يا ديزى ؟
اجابته مسز لوتريل فى لهجة حادة :
- هذا عملك انت يا جورج اننى أعتنى بالحديقة ولا استطيع مباشرة كل شئ .
- آه . هذا صحيح . سأهتم بذلك .

وارتقيت الدرجات الأمامية خلفه ، والتقينا بعتبة الباب برجل ذى شعر أبيض هش الجسم تقريبا له وجه صبيانى تعلوه امارات الدهشة ويعرج عرجا خفيفا وكان يمسك فى يده منظارا مكبرا . وقال وهو يتلعثم شيئا ما :
- هناك عش ..أو عشان .. بجوار شجرة الجميز .
وما أن دخلنا بهو البيت حتى تحول لوتريل الى وقال :
- هذا هو نورتون .. أنه رجل ظريف يحب العصافير والأزهار .
وكان بالردهة رجل طويل القامة يقف بجوار التليفون وقال متذمرا :
- وددت لو استطيع أن أقتل جميع المقاولين ... انهم لا يستطيعون أداء أى عمل مناسب أبدا .

وكان غضبه شديدا ومضحكا بحيث لم يسعنا الا أن نضحك وشعرت بالميل اليه على الفور . وكان لا يزال وسيما على الرغم من أنه تجاوز الخمسين ، يدل وجهه الملوح

على أنه قضى جل عمره فى الهواء الطلق . ثم أنه كان ينتمى الى ذلك النوع من الناس الذى أصبح نادر الوجود وأعنى به الانجليزى المثالى الصريح الذى لا يعرف اللف أو الدوران والذى اعتاد ان تطاع أوامره . ولهذا لم أشعر بأية دهشة عندما قدمه لى الكولونيل لوتريل قائلا أن اسمه سير ويليام بويد كارنجتون . وكنت أعلم أنه كان حاكما لاحدى ولايات الهند حيث أصاب فيها نجاحا كبيرا . وكان المعروف عنه أنه بارع فى أصابة الهدف وأنه صياد قدير وقلت فى نفسى انه واحد من هؤلاء الناس الذين لم يعد عهدنا المنحط يصنعهم .

صاح يقول وهو يضحك :

– آه . يسرنى أن أرى هذا الصديق هاستنجز بلحمه وشحمه أخيرا . ان صديقنا البلجيكى كثير الحديث عنك .. ثم ان ابنتك الفاتنة بيننا هى الاخرى ، وهى فتاة جميلة والحق يقال .

– أجبت وأنا أضحك :

– لا أعتقد أن جوديث قد حدثتك عنى كثيرا .

– كلا طبعا . انها عصرية أكثر من اللازم لكى تتحدث عنك . كانت الفتيات فى عهدنا يترددن دائما فى التسليم بأن لهن أبا أو أما .

تنهدت :

– هذا صحيح . ان الأولاد يعتبرون اهلهم مصيبة كبيرة .

راح بويد كارنجتون يضحك من جديد وقال :

– لا أستطيع أن أعرف مشاعرك لأنه ليس لى أولاد لسوء الحظ . ان ابنتك جوديث جميلة جدا ولكنها أبية النفس وارى أن هذا أمر يدعو الى الانزعاج حقا .

وتناول سماعة التليفون وقال :

– ارجو أن لا تنزعج يا لوتريل اذا أنا حطمت هذا التليفون اللعين .. اننى لا أتمتع

بالصبر أبدا .

قال الكولونيل ضاحكا :

– افعل يا صديقى فانك ان فعلت انما تريحنا منه .

– ومضيت خلفه الى الجناح الأيسر للقصر . وتوقف أمام باب فى آخر الطرقة . كان بوارو قد حجز لى نفس الغرفة التى سبق أن اقمت فيها .

ومع ذلك فقد حدثت تغييرات كثيرة . فقد رأيت بطول الطرقة أبوابا كثيرة واستطعت ان اتحقق ان الحجرات الفسيحة قد أقيمت بها حواجز خشبية قسمتها الى غرف صغيرة . ولكن غرفتى ، ولم تكن كبيرة ، بقيت كما هى ، وكل ما طرأ عليها من تغيير هو أنه الحق بها حمام صغير وكانت تضم الآن أثاثا ومفروشات حديثة ورخيصة الأمر الذى خيب ظنى لأننى كنت أفضل أثاثا يناسب البيت نفسه .

وكان بعضهم قد صعد بحقائبى . وقال الكولونيل ان غرفة بوارو تقع أمام غرفتى مباشرة وهم بأن يقودنى اليها عندما ارتفع صوت فى آخر البهو يقول بلهجة الأمر :

– جورج !

انتفض الكولونيل كما يفعل الجواد الثائر ورفع يده الى فمه وقال :

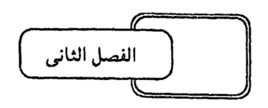
– أظن .. أظن أن هذا هو كل شئ يا كابتن هاستنجز .. دق الجرس اذا حتجت الى فى أى شئ .

– جورج !

– اننى قادم يا صديقتى .. اننى قادم .

نظرت اليه وهو يبتعد مسرعا ثم عبرت الطرقة بقلب خفاق وطرقت باب بوارو .

***



الفصل الثانى

من رأيى أنه ليس هناك مايثير الحزن أكثر من التدهور والضعف اللذين يتسبب فيهما تقدم السن .

وقد سبق ان وصفت صديقى العزيز بوارو أكثر من مرة ، ولهذا لن أتناول الا التغييرات التى طرأت عليه فقد أصيب بالتهاب المفاصل ولم يعد فى مقدوره التحرك الا بواسطة مقعد متحرك . وكان ممتلئ الجسم بدينا فيما سبق أما الآن فقد ذاب جسده تقريبا . وامتلأ وجهه بالغضون . وصحيح أن شعره كان لا يزال أسود اللون هو وشاربه ولم أكن اريد ان اجرح شعوره لأى سبب ومع ذلك فقد خطر لى ان هناك غلطة ما فقد جاء على وقت دهشت فيه عندما علمت ان سواد شعره راجع الى نوع من الصبغة . ولكن الأمر كان ظاهرا الآن فقد كان يخيل لمن يراه أنه يلبس باروكة وأنه لم يزين شفته العليا الا لكى يطرب الأولاد . وكانت عيناه وحدهما هما اللذان لم يتناولهما أى تغيير كانتا دائمتى النشاط والحيوية ، ثم أنه كانت ترتسم فيهما فى هذه اللحظة نظرة تدل على انفعال كبير . وصاح يقول :

– آه .. صديقى هاستنجز .. صديقى العزيز !

وانحنيت فوقه ، كما هى عادته قبلنى فى حرارة وهو يقول :

– عزيزى هاستنجز !

واضطجع فى مقعده الى الوراء وقد أمال رأسه جانبا وراح يتأملنى ثم قال :

– نعم . انك لم تتغير .. مازلت معتدل القامة مربع الكتفين ، وشعرك الاشيب يكسبك نوعا من الوقار .. انك بقيت كما أنت يا صديقى العزيز .. والنساء .. أما

زلن يهتممن بك ؟

صحت محتجا :

- بوارو .. هل يجب أن ؟

- يمكننى أن أقول لك يا صديقى أن هذا اختبار .. الاختبار رقم ١ .. وعلى العكس من ذلك اذا جاءتك الفتيات الصغيرات وتحدثن اليك فى رفق فان فى استطاعتك عندئذ ان تقول ان هذه هى النهاية فهن يقلن عندئذ : ياله من رجل مسكين! يجب ان نكون رفيقات به . أنه لمن الفظاعة أن يكون هكذا .. ولكنك مازلت شابا يا هاستنجز ومازالت هناك احتمالات كثيرة بالنسبة لك .

ضحكت وقلت :

- بوارو .. انك تتجاوز الحد حقا .. ولكن انت ، كيف حالك ؟

ابتسم وقال :

- لم أعد أكثر من حطام . لا أستطيع ان أمشى . اننى أصبحت عاجزا تقريبا . ولكننى أحمد الله على اننى مازلت أستطيع ان آكل وحدى على كل حال . أما الباقى فلابد لى من المساعدة كما لو كنت طفلا ، فيجب أن يحملونى الى الفراش وان يغسلونى ويلبسونى ثيابى . ومهما يكن فليس هذا بشئ غريب ، ولحسن الحظ أن المظهر الخارجى هو الذى امتدت اليه يد التلف والفساد أما الداخل فباق كما هو .. وما زال فى حالة جيدة .

- طبعا . اننى واثق ان قلبك لا يزال قويا سليما .

- قلبى ؟ .. لم أكن أفكر فيه . انما كنت أتكلم عن عقلى يا هاستنجز ... ان عقلى مازال يعمل بصورة رائعة .

كان فى مقدورى ان أرى ان عقله لم يطرأ عليه أي تغيير فيما يتعلق بتواضعه وسألته :

هل تروق لك الاقامة هنا ؟

هز كتفيه وقال :- انها تكفيني ..ان هذا البنسيون ليس فى مستوى الرتيز طبعا . وكانت الغرفة التى خصصت لى فى البداية صغيرة قليلة المفروشات . وقد حصلت على هذه الغرفة دون أية زيادة فى الأجر . أما الطعام فهو الطعام الانجليزى برداءته حقا . فهم لا يجيدون طهو الكرنب أبدا والبطاطس أحيانا ما تكون جامدة وأحيانا ما تكون ناضجة أكثر من اللازم . والخضروات ليس لها طعم واحد بصفة عامة وهو طعم الماء . أما عن نقص الملح والبهارات فحدث عنهما ولا حرج .

- لا يبدو لى كل هذا ممتعا .

- ولكننى لا أشكو .

غير انه على الرغم من كل ذلك استأنف شكواه قائلا : - ثم هناك ذلك التجديد المزعوم أيضا ... حمامات وأعداد كبيرة من الصنابير ، ولكن هل تعرف ماذا يخرج من كل هذه الصنابير البراقة ؟ .. ماء فاتر فى أغلب الأوقات .. ثم ان المناشف رقيقة جدا تبتل عند أول لمسة .

قلت فى تفكير : - كان الأمر غير ذلك فيما سبق .

***

والحق اننى مازلت أتذكر سحب الدخان التى كانت تندفع من صنابير المياه الساخنة فى غرفة الحمام الوحيدة بقصر ستايلز ، وهى غرفة كبيرة فيها بانيو كبير مكسو بخشب الأكاجو قائم فى وسط الغرفة المربعة ... وكانت المناشف كبيرة وسميكة .

واستطرد بوارو يقول :

- ولكن لا يجب أن أشكو .. ويسرنى أن أتألم من اجل غرض نبيل .

قلت وقد خطرت ببالى فكرة فجأة :

- قل لى يا بوارو .. أظن .. انك لا تعانى من أى ضيق ؟ .. اننى أعرف ان

الحرب تسببت فى هبوط اسعار الكثير من الاسهم ثم ان الظروف الاقتصادية أصبحت منذ ذلك الوقت ...

أسرع بوارو يطمئننى فقال : - كلا ، كلا يا صديقى .. أننى فى بحبوبة كبيرة .. واذا أردت الحق فأنا ثرى ... ولم آت هنا لأسباب اقتصادية .

- هذا جميل اذن ... أظن اننى أفهم شعورك ، فان المرء كلما تقدم فى السن كلما أحس بحنين الى العودة الى الماضى . وبمعنى آخر فانه يشق على أن أرى نفسى فى هذا المكان مرة أخرى لانه يعيد الى ذاكرتى أشياء كثيرة وأحساسيس لا أظن اننى شعرت بها من قبل . وأظن انك تشعر بنفس الشئ .

- أبدا ... اننى لا أشعر بشئ من هذا .

قلت فى شئ من الحزن :

- ومع ذلك فقد كان وقتا جميلا .

- تكلم عن نفسك يا هاستنجز . أما فيما يتعلق بى فان قدومى الى ستايلز يشق على نفسى ، فقد كنت فى ذلك الوقت جريحا ولم أكن بأكثر من لاجئ بين غيرى من اللاجئين ، منفيا من بلدى ... وأعيش من احسان وكرم بلد أجنبية . وأؤكد لك ان الأمر لم يكن جميلا أبدا . ولم أكن أدرى عندئذ ان انجلترا ستكون بيتى ووطنى واننى سأجد فيها سعادتى .

قلت : - اننى نسيت كل هذا .

- تماما . انك تنسب دائما الى غيرك نفس الأحاسيس التى تشعر انت بها ... كان هاستنجز سعيدا ... لابد اذن أن يكون الجميع سعداء .

قلت محتجا وأنا أضحك :- كلا ... أبدا .

- ولكن ذلك لم يكن صحيحا على كل حال ، فانك كنت تنظر خلفك والدموع مغرورقة فى عينيك وتتنهد وتقول : اوه ، ياللايام السعيدة ! . وكنت أنا لا أزال شابا

ولكن الواقع يا عزيزى انك لم تكن سعيدا كما كنت تظن ، فقد صرخت أنت الآخر وكنت تغلى من الغضب لعدم استطاعتك العودة الى الخدمة الفعلية . وكنت مكتئبا جدا لاقامتك فى أحد المستشفيات ثم انك عقدت أمورك بقدر المستطاع ، على ما اذكر بأن احببت امرأتين فى وقت واحد .

ضحكت مرة أخرى وأحمر وجهى رغما عنى وقلت :

- ان لك ذاكرة قوية يا بوارو .

- ها ها .. مازلت أذكر تنهداتك الحزينة التى كنت تطلقها وانت تنطق بشتى الحماقات عن هاتين المرأتين الجميلتين .

- وهل تذكر ماذا قلت لى أيضا ؟ .. انك قلت " لن تكون أى من هاتين المرأتين لك ولكن تشجع يا صديقى .. فقد نصطاد مرة أخرى ومن يدرى .. عندئذ ؟ ".

وأمسكت عن الحديث ، فقد اشتركت مع بوارو فى التحقيق فى قضية أخرى .. وكان ذلك فى فرنسا فى هذه المرة .. وفى هذه المرة التقيت بالمرأة الوحيدة ..

ربت بوارو على ذراعى فى رفق وقال :

- اننى أعرف يا هاستنجز .. أعرف .. ان الجرح حديث ولم يندمل بعد .. ولكن لا يجب أن تخلد الى الحزن .. انظر الى الامام لا الى الخلف ..

أتيت بحركة يائسة وقلت : - انظر الى الأمام .. وما الذى أمامى بعد ؟ ..

- هناك أولا مهمة يجب انجازها قبل كل شئ يا صديقى .

- مهمة ؟ .. اين ؟ ..

- هنا بالذات .

نظرت اليه مشدوها فاستطرد يقول :

- انك سألتنى منذ لحظة عن السبب فى وجودى فى ستايلز ، ولعلك لم تلحظ اننى تهربت فى الرد عليك .. ولكننى سأرد الان ..اننى هنا لكى اطارد قاتلا يا هاستنجز .

نظرت اليه من جديد وقد ازدادت دهشتى . وأعترف لخجلى الشديد اننى ظننت لمجرد لحظة أنه يهذى وأخيرا تمتمت أقول :

- هل ... هل تجد فى قولك هذا ؟

- طبعا .. ولولا ذلك ما طلبت منك الحضور . ان أطرافى وهنت ولكن عقلى مازال سليما والقاعدة التى نظمت عليها حياتى لم تتغير كما تعرف فيكفى أن أجلس فى مقعدى فى هدوء وأن أفكر . وما زال هذا فى مقدورى . بل انه الشئ الوحيد الذى أستطيع عمله . أما عن الجزء العملى فى أبحاثى فسيتكفل صديقى القديم هاستنجز بالقيام به .

عدت أقول : - هل أنت جاد فى هذا القول ؟

- طبعا .. أنا وأنت يا هاستنجز سنطارد صيدا جديدا .

كان لابد لى من عدة دقائق لكى أقتنع ان بوارو لم يكن يمزح ، ولكن على الرغم من أن ملامحه بدا لى غريبا فلم يكن هناك من سبب لكى أشك فى قوله .

وقال وهو يبتسم ابتسامة خفيفة : - هل اقتنعت أخيرا ؟ كنت تظن فى البداية أننى أهذى وأخرف .

أسرعت أقول محتجا : - أبدا .. أبدا .. ولكن هذا المكان يبدو لى غير مناسب لوقوع جريمة قتل .

- أتظن ذلك .. ؟

- اننى لم أر جميع من يقيمون به طبعا .

- وبمن التقيت حتى الآن ؟

- لم ألتق الا بالكولونيل لوتريل وزوجته وبرجل آخر يدعى نورتون ، ويبدو لى أنه غير مؤذ وأخيرا ببويد كارنجتون ، وهو رجل وسيم وجذاب .

أومأ بوارو برأسه ايماءة خفيفة وقال :- حسنا يا هاستنجز .. سأقول لك هذا ..

عندما ترى جميع من يقيمون بالبيت سيبدو لك قولى هذا غريبا كل الغرابة .

– ومن بالبيت غير هؤلاء ؟

– هناك الدكتور فرانكلين وزوجته والآنسة كرانن ، الممرضة التى تعنى بمسز فرانكلين وابنتك جوديث وامرأة تدعى مس كول ، وهى فى الخامسة والثلاثين من العمر تقريبا .. ثم هناك أخيرا رجل يدعى اللرتون ، وهو أشبه بالدون جوان وأزيد فأقول ان كل هؤلاء قوم ظرفاء .

– وواحد منهم قاتل ؟ .

– قال بوارو فى صوت خطير : – واحد منهم قاتل .

– ولكن كيف .. أعنى . ما الذى يحملك على هذا الاعتقاد .. ؟

ولم أستطع النطق الا بكل مشقة وذلك لفرط دهشتى .

– أهدأ يا هاستنجز .. وسنبدأ من البداية .. أرجو أن تناولنى هذه الحافظة ، التى فوق الطاولة .. حسنا . والمفتاح الآن ..

وفتح الحافظة الجلدية وأخرج منها بضع قصاصات من ورق الجرائد وربطة من الأوراق المكتوبة على الآلة الكاتبة وقال :

– اقرأ كل هذا يا هاستنجز . لا داعى لأن تزعج نفسك بقصاصات الجرائد الآن ، فهى ليست الا تقارير عن بعض المآسى . وهى مآسى ايحائية فى بعض الأحيان ولكنها غير واضحة فى أكثر الأوقات . ولكى تكون لنفسك فكرة عن هذه القضايا أنصحك بأن تقرأ الملخص الذى كتبته .

وأخذت أقرأ وأنا فى شدة الدهشة .

***

(١) قضية أترنجتون :

ليونارد أترنجتون : – عادات سيئة . الخمر والمخدرات . طباع منحرفة وميول

سادية . زوجة شابة جذابة بائسة جداً معه . مات نتيجة تناوله طعاما فاسداً . وشك الطبيب فى الأمر وكشف التحقيق عن أنه مات مسموما بسم الزرنيخ وعثروا فى البيت على كمية من مبيد الحشرات اشتريت منذ وقت بعيد . والقى البوليس القبض على مسز أترنجتون بتهمة القتل . وأسفر التحقيق أنها تعلقت منذ وقت حديث بموظف شاب كان يزمع السفر الى الهند . وليس هناك أي دليل على أنها خانت زوجها ، ولكن كان بينها وبين ذلك الشاب ميل كبير . وقد خطب الشاب بعد ذلك فتاة التقى بها أثناء سفره الى الهند ولا ندرى اذا كان خطابه الذى يشير فيه الى ذلك قد جاءها قبل مقتل زوجها أو بعده . وهى تزعم أنه وصلها قبل موته . وكانت كل الأدلة التى تدينها غير مباشرة . ولم يكن هناك أى مشبوه آخر محتمل . وقد استبعد البوليس أن يكون زوجها قد مات قضاء وقدرا . وأثارت العطف عليها أثناء نظر القضية . وذلك بسبب طبع زوجها السيئ وسوء معاملته لها . وكان الملخص الذى حرره القاضى فى صالحها فقد ألح على أن يصدر المحلفون قرارهم متخذين فى اعتبارهم الشك الذى يحيط بالقضية . وحصلت مسز أترنجتون على البراءة ولكن الرأى العام أصر على اعتبارها مذنبة . واعتزلت معارفها القدامى الذين عاملوها فى جفاء وأصبحت حياتها شديدة الصعوبة بعد ذلك . ماتت بعد سنتين من صدور الحكم بأن ازدردت كمية كبيرة من مخدر منوم وأسفر التحقيق عن أنها ماتت قضاء وقدرا .

(ب) قضية الآنسة شاربلس :

فتاة عانس عاجزة تعانى من آلام حادة ترعاها ابنة أختها فريدا كلاى . ماتت على أثر حقنة كبيرة من المورفين . اعترفت فريدا كلاى بغلطتها مؤكدة أن آلام خالتها كانت لا تطاق وأنها حاولت تخفيف آلامها فحسب . أما البوليس فكان يعتقد أنها لم تخطئ ولكن الأدلة لم تكن كافية لتقديمها للمحاكمة .

(جـ) قضية أدوارد ريجس :

عامل زراعى شك فى أن زوجته تخونه مع ساكن يقيم لديهما يدعى بن كريج . وقد وجد هذا الأخير مقتولا هو ومسز ريجس واتضح أن كلا منهما لقى مصرعه برصاصة من بندقية ريجس . وقد أسرع الأخير وسلم نفسه للبوليس زاعما أنه لابد أن يكون قتلهما ولكنه لا يتذكر شيئا . حكم عليه بالسجن مدى الحياة .

(د) قضية ديريك برادلى :

كان على علاقة بفتاة واكتشفت زوجته الحقيقة فهددته بالقتل . مات بعد ذلك مسموما ودس له السم فى كأس البيرة . ألقى البوليس القبض على زوجته وقدمت للمحاكمة وأدينت بعد أن أدلت باعترافات كاملة .

(و) قضية ماتيو ليتشفيلد :

كان طاغية فى بيته . متقدم فى السن . له أربع فتيات حرمهن من المال ومن متع الحياة . عاد الى بيته ذات يوم وهاجمه مجهول وضربه بآلة حادة فوق رأسه أفضت به الى الموت . وبعد التحقيق الذى أجراه البوليس ذهبت ابنته الكبرى مرجريت وسلمت نفسها قائلة أنها هى التى قتلت أباها لكى تستطيع أخواتها الاستمتاع بالحياة قبل أن يمضى بهن قطار العمر . وكان ليتشفيلد يملك ثروة كبيرة . واعتبر القضاء مرجريت غير مسئولة وأرسلت الى برادمور حيث ماتت بعد قليل .

***

كنت أقرأ ما سبق ودهشتى تزداد من لحظة لأخرى . وطرحت الأوراق بعيدا عنى أخيرا ونظرت الى بوارو مستفهما فقال :

- حسنا يا صديقى ..

أجبت فى بطء : - أنك ذكرت قضية برادلى فى غموض فقد تتبعتها فى وقتها وأظن أننى أذكر أن المرأة كانت جميلة جدا .

هز رأسه موافقا واستطردت أنا أقول :

- ولكن يجب أن تزيدنى أيضاحا . ما معنى كل هذا .. ؟

- قل لى أولا كيف ترى الأمور ؟

أجبت والحيرة تنتابنى : أننى قرأت بيانا عن خمس قضايا مختلفة . وقعت فى أماكن متفرقة وفى طبقات اجتماعية متباينة . ولكننى لم أستطع أن أجد بينها أي تشابه . فاحداها مأساة تلعب فيها الغيرة دورا كبيرا والأخرى تدور حول زوجة يائسة أرادت التخلص من زوجها والثالثة كان المال هو الدافع اليها أما الرابعة فقد أرتكبت دون أى غرض لأن الجانية لم تحاول الافلات من العقاب والخامسة كانت جريمة بشعة حقا ولابد أنها أرتكبت بسبب الشراب .

وأمسكت بضع لحظات ثم سألته فى شئ من البرود :

- هل توجد فى هذه القضايا المختلفة نقطة مشتركة غابت عنى .. ؟

- أبدا .. أنك كنت فى غاية الوضوح . والنقطة الوحيدة التى كان يجب ان تذكرها هى أنه لم يكن يوجد فى أى من هذه القضايا أى شك حقيقى .

- أعترف أنى لا أفهمك جيدا .

- لقد برأ القضاء مسز أترنجتون ، ومع ذلك فقد كان الجميع متأكدين أنها هى الجانية . كانت الأدلة غير كافية لادانة فريدا كلاى ولكن لم يكن هناك احتمال وجود جان آخر ، وزعم ريدس أنه لا يذكر أنه قتل زوجته وعشيقها . ولكن المسئولين لم يواجهوا فى هذه القضية أيضا احتمال وجود قاتل آخر . أما مرجريت ليتشفيلد فقد اعترفت ومن هذا ترى يا هاستنجز أنه لم يكن يوجد فى أى من هذه الجرائم غير مشبوه واحد .

قلت مقطبا : - هذا صحيح . ولكننى مازلت لا أفهم ماذا يمكن أن نستنتج من ذلك .

- انتظر .. أننى سأنتقل الى نقطة لا تعرفها بعد . لنفرض أن هناك عنصرا خارجا

بين كل هذه القضايا .

- ماذا تعنى .. ؟

- دعنى أقدم لك الأمر بطريقة أخرى . هناك شخص معين سأدعوه " س " . لم يقم بأى دور فى هذه القضايا كما هو ظاهر ، وكان موجودا أثناء ارتكاب احدى هذه الجرائم، اذا صحت معلوماتى ، على بعد مائتين وخمسين كيلو مترا من مكان الجريمة ساعة ارتكابها . ومع ذلك فيجب أن أقول أنه كان على علاقة وثيقة بأترنجتون قضى بعض الوقت فى قرية ريجس وأنه كان يعرف أسرة برادلى كذلك ، ولدى صورة التقطت فى الشارع يظهر فيها مع فريدا كلاى . ثم انه كان موجودا على مقربة من بيت ليتشفيلد عندما قتل هذا الأخير ، فما رأيك فى كل هذا ؟

نظرت اليه بعينين متسعتين وقلت فى بطء : - هذا كثير يمكن القول بأن هناك مصادفات غريبة فى قضيتين أو ثلاث من هذه القضايا على الأكثر . ولكن فى الجرائم الخمس فى وقت واحد فان من الصعب تصديق ذلك . ومهما بدا الأمر غريبا فلابد من وجود رابطة ما بين هذه الجرائم المختلفة .

- ها أنت قد وصلت الى نفس النتيجة التى وصلت أنا اليها .

- وهى ان ذلك المدعو " س " هو القاتل .. ؟ هذا صحيح ..

- فى مثل هذه الظروف يجب أن أخبرك يا هاستنجز ان هذا المدعو " س " موجو الآن فى هذا البيت .

- هنا .. ؟ فى ستايلز ؟

- وما هو الاستنتاج المنطقى الذى يمكن أن نستخلصه من ذلك ؟

وكنت أعرف ما سوف يقول بعد ذلك ، وقد استطرد يقول فى خطورة :

- نعم يا صديقى .. انه يعد لكى تقع جريمة قتل هنا .

***



الفصل الثالث

نظرت اليه لحظة مذهولا لا أستطيع الكلام ، ولكننى قلت أخيرا :

- آه .. كلا .. انك سوف تمنع هذا .

رمانى بنظرة رقيقة وقال : - أى صديقى الشجاع الوفى .. لو تدرى كم أقدر الثقة التى تضعها فى ... ومع ذلك فأننى لست واثقا أن هناك ما يبررها فى هذه الحالة بالذات .

- هراء .. أنك جدير بأن تمنع هذا .

عاد يقول فى صوت خطير : - فكر لحظة يا هاستنجز .. ان من الممكن القاء القبض على قاتل . ولكن كيف السبيل للحيلولة دون ارتكاب جريمة قتل .

- حسنا .. انك .. انك .. أعنى أنك اذا كنت تعرف مسبقا ..

وأمسكت عن الكلام فجأة وقد أدركت صعوبة الأمر .

- أرأيت .. ؟ ليس الأمر بمثل هذه السهولة . والواقع أنه ليس هناك غير ثلاث وسائل . الأولى تقوم أساسا على تحذير الضحية المحتملة ، وهى وسيلة لا تفلح دائما لأن من الصعوبة اقناع أى شخص بأن هناك خطرا يتهدده خصوصا اذا ما أتى الخطر من قريب له أو عزيز عليه ، وهو فى هذه الحالة يثور ولا يصدقك . ويمكن أنذار الجانى كذلك بأن تقول له بطريقة مستترة " أننى أعرف نواياك ، واذا مات فلان فسوف تدان يا صديقى " . وهذه الوسيلة تثمر عادة خيرا من الأولى ولكنها تفشل مع ذلك غالبا

لأن الجانى مغرور دائما ويعتقد أنه أذكى الناس وأن أحدا لن يشتبه فيه وأنه سيضلل رجال البوليس . والنتيجة أنه يستمر فى مشروعه على الرغم من كل شئ ... والتعويض الوحيد الذى نحصل عليه هو أدانته فيما بعد .

وأمسك عن الكلام لحظة ثم قال فى تفكير : – أننى أنذرت مجرما مرتين فى حياتى كلها ، قبل أن يرتكب جريمته . مرة فى مصر والأخرى فى مكان آخر .. ولكن المجرم كان مصمما على القتل فى كل من هاتين الحالتين . ولعل الأمر كذلك فى هذه الحالة التى نحن بصددها الآن .

– ولكنك تكلمت عن وسيلة ثالثة .

– نعم .. وهى تتطلب مهارة كبيرة ، فلابد لنا أن نعرف بكل دقة أين وكيف سيضرب القاتل ضربته لكى نتصرف فى اللحظة المناسبة ونضبطه متلبسا قبل ارتكابه الجريمة لا بعدها . وأن من الضرورة القصوى فى هذه الحالة أن لا يكون هناك أى شك فى النية الاجرامية وأستطيع أن أؤكد لك أن هذه الوسيلة صعبة التنفيذ جدا ولا يمكننى أن أضمن نجاحها ، ولعلنى مغرور أنا الآن ، ولكننى لست مغرورا الى هذا الحد على كل حال .

– وأية وسيلة تنوى أن تتبعها ؟.

– الوسائل الثلاث معا بدون شك ، ففى الحالة التى نحن بصددها تعتبر الوسيلة الأولى أصعبها كلها .

– كنت أظن أنها ، على العكس ، أسهلها .

– ذلك شريطة أن تعرف الضحية ، ولكن ألا تفهم أننى لا أعرف من هى ؟

– ماذا .. ؟

أطلقت هذه الصيحة متعجبا دون تفكير ولكننى لم ألبث أن رأيت صعوبة المهمة . لم يكن هناك ريب من وجود صلة بين الجرائم المختلفة التى قرأت ملخصا هى منها

ولكن الأمر الثابت هو أننا لم نعرف الدافع اليها .. لم يكن الدافع واضحا .. وفى مثل هذه الظروف لم يكن من المستطاع أن نعرف من هى الضحية التى يهددها خطر الموت .

هز بوارو رأسه موافقا وهو يرى أننى أدركت طبيعة الموقف وقال :

– أرأيت يا صديقى .. ؟ ان الأمر كما قلت لك منذ لحظة ليس بمثل هذه السهولة .

– ألم تجد حتى الآن أية صلة تجمع بين هذه الجرائم المختلفة ؟ .

– أبدا ..

فكرت لحظة ثم سألت : – هل أنت واثق أنه ليس هناك أي دافع مالى ، كما حدث فى قضية أفلين كارليل ؟

– يمكنك أن تطمئن أن مثل هذا الدافع هو ما أبحث عنه عادة يا هاستنجز .

وكان ذلك حقا ، فقد كان أول شئ يفكر فيه بوارو دائما عندما يضطلع بالتحقيق فى أية جريمة هو دافع المال .

ورحت أفكر ثانية . هل يمكن أن يكون الأمر مجرد انتقام ؟ كان متطابقا مع الحقائق ، ولكننا حتى اذا واجهنا هذه النظرية فلم تكن هناك أية صلة بين الجرائم من هذه الناحية . وأتذكر أننى قرأت فيما مضى قصة سلسلة من الجرائم كان الدافع فيها غير ظاهر ، ولكن أسفر التحقيق فيما بعد أن القتلى كانوا أعضاء هيئة من المحلفين وأن جرائم القتل أرتكبها رجل ادانته هذه الهيئة . وربما كان الأمر كذلك فى الجرائم الخمس المذكورة ، ولكن يجب أن أعترف بكل خجل بأننى احتفظت لنفسى بهذا الرأى وأنا أقول فى نفسى أننى سأكون فخورا جدا اذا قدمت لبوارو حل القضية وقلت :

– والآن . من هو قاتلك الغامض ؟

هز بوارو رأسه فى عزم وقال : – هذا شئ لن أقوله لك يا صديقى .

– ولم لا ؟ .

* * *

ومض بريق من الخبث فى عينى المخبر العجوز وقال : - لأنك مازلت هاستنجز الذى أعرفه .. ان وجهك مازال شفافا كما هو ولا أريد أن تخرج من عندى وتحدق فى صاحبنا الذى اشتبه فيه فاغر الفم وقد انطبعت على جبينك هذه الكلمات : " اننى أنظر الى قاتل " ..

- ولكن يمكنك أن تثق أننى أعرف كيف أتكتم عندما تكون هناك ضرورة لك .

- ولكنك عندما تحاول أن تتكتم يكون الأمر أسوأ يا صديقى . كلا .. يجب أن يحتفظ كل منا بالأمر سرا . وسوف نتصرف فى اللحظة المناسبة .

قلت : - أيها الشيطان العجوز .. أود لو أن ..

وأمسكت وأنا أسمع طرقة على الباب ، فقال بوارو : - أدخل ..

ظهرت ابنتى جوديث على عتبة الباب . وكنت أود أن أصفها ولكننى لا أجيد الوصف .

وجوديث طويلة القامة مهيبة الطلعة ذات وجه جميل ترتسم عليه سمات الجد والكبرياء طالما خيل الى أنها تخلق حولها هالة من التراجيديا .

وقالت وهى تبتسم : صباح الخير يا أبى .

ولكنها لم تأت لكى تعانقنى ، فلم يكن هذا من طبعها ، ثم ان ابتسامتها خجلة ومرتبكة بعض الشئ . ومع ذلك ، وعلى الرغم من افتقارها الى العفوية فقد خيل لى أنها كانت مسرورة برؤيتى . وقالت :

- حسنا .. هأنذا ..

وأحسست بأننى مضحك شيئا ما كما يحدث لى غالبا عندما أخاطب الشباب .

وقالت جوديث : - جميل منك أنك أتيت .

قال بوارو : - ولم تكن تخيفه أية كذبة . كنت أتحدث معه عن الطعام الذى يقدمه قصر ستايلز .

سألته ابنتي : - أهو ردئ الى هذا الحد ؟

- ما كان يجب أن تسألى هذا السؤال يا ابنتى .. الا تفكرين فى شئ آخر غير أنابيب الاختبار والميكروسكوب ؟! ان بأصابعك أثر كحول الميثيلين الأزرق .. لن يطيب لزوجك أبدا أن لا تعنى بمعدته .. فان الرجال كما تعرفين ..

- من المحتمل جدا أنه لن يكون لى زوج .

- بل ستتزوجين من غير شك .. لماذا تحسبين ان الله خلقك اذن .. ؟

- لأشياء كثيرة طبعا .

- الزواج بادئ ذى بدء .

- حسن جدا .. أبحث لى اذن عن زوج ظريف وسوف أعنى بمعدته .

قال بوارو وهو ينظر الى : - أنها تسخر منى .. ولكنها ستدرك ذات يوم حكمة المسنين .

وطرق الباب من جديد . وكان الطارق هذه المرة هو الدكتور فرانكلين ، وهو رجل طويل القامة ، جاف الطباع بارز تقاطيع الوجه له فم ينطق بالارادة والقوة وشعر أشقر وعينان زرقاوان . كان يبدو فى الخامسة والثلاثين من عمره وكان أشد الرجال الذين التقيت بهم طيشا ونزقا ، فقد كان لا ينفك يصطدم بالأشياء الموجودة حوله . وما أن دخل حتى أوقع الحاجز الموجود أمام مقعد بوارو وهو يعتذر . وهممت بأن أضحك ولكننى لاحظت أن جوديث تحتفظ بكل سمات الجد والهدوء ، ولم يكن هناك ريب فى أنها اعتادت على مثل هذه الأشياء .

قالت : - هل تتذكر أبى ؟

أجفل الدكتور فرانكلين وقطب حاجبيه وحدق فى لحظة ثم بسط يده يقول فى ارتباك : - طبعا .. طبعا .. سمعت أنك قادم .

ثم تحول الى جوديث وقال : - ما رأيك .. ؟ هل تظنين أنه لابد لنا من استبدال

ملابسنا ..؟ لأنه اذا لم يكن ذلك ضروريا فاننا نستطيع مزاولة عملنا بعد العشاء .. اذا استطعنا ان نعد بعض اللوحات ..

قالت جوديث : - كلا .. أننى أفضل أن اتحدث مع ... .

- أوه . نعم .. طبعا .

وابتسم معتذرا .. وكانت ابتسامته خجلى وصبيانية شيئا ما ..

- انني آسف .. لقد غرقت في تجاربى بحيث أصبحت أنانيا .. معذرة ..

ودقت ساعة حائط في هذه اللحظة نألقى فرانكلين اليها نظرة سريعة وقال :

- يا الهى .. لقد مر بنا الوقت سريعا . وستواجهنى المتاعب فقد وعدت بربارا أن أقرأ لها قبل العشاء .

وابتسم لنا وغادر الغرفة مسرعا ، ولكن بعد أن اصطدم بالباب .

وقلت : - كيف حال مسز فرانكلين ؟

أجابت جوديث : - كما هى .

- انه لأمر محزن بالنسبة لها .

قالت ابنتى : - ومحزن بالنسبة لطبيب ، فان الأطباء يحبون الأصحاء .

تمتمت : - ما أقسى قلوبكم يا معشر الشباب .

قالت ابنتى فى برود :- انما أبدى حقيقة فحسب .

تدخل بوارو فقال : - ومع ذلك فقد أسرع هذا الطبيب الشهم لكى يقرأ لزوجته .

قالت جوديث : - هذا أمر مضحك . ان فى مقدور ممرضتها أن تفعل ذلك . فيما يتعلق بى فأننى أكره أن يقرأ لى أحد .

قلت : - ان الاذواق تختلف .

قالت جوديث : - ان مسز فرانكلين امرأة غبية حقا ..

قال بوارو : - اننى لا أوافقك فى هذا الرأى يا ابنتى .

- انها لا تقرأ الا الروايات الرخيصة دائما ولا تبدى أى اهتمام بأعمال زوجهاوليست على علم بما يجرى فى الدنيا من أحداث ولا تحسن الحديث الا عن صحتها لكل الذين يريدون الانصات اليها .

قال بوارو : - ولكننى أعتقد أنها تستخدم عقلها بطريقة لا تعرفينها تماما

- انها انثوية جدا .. تموء وتهرهر .. أظن أنك تحبهن هكذا يا عمى هركيول .

قلت : - أبدا .. أنه يفضلهن بدينات يتدفقن صحة وحيوية ، ولا سيما الروسيات

- أهكذا تفشى أسرارى يا هاستنجز .. ؟ كان أبوك يا عزيزتى جوديث يميل دائما لذوات الشعر الأحمر ، وقد تسبب له ميله هذا فى مشاكل كثيرة .

رددت جوديث البصر بيننا وهى تبتسم وقالت : - يا لكما من رجلين غريبى الأطوار ؟

ودارت على عقبيها فنهضت وأنا أقول : - يجب أن أفرغ حقائبى .

مد بوارو يده نحو الجرس . وبعد دقيقة أقبل خادمه الخاص ، ودهشت حين رأيت أنه رجل مجهول تماما وسألته :

- وأين جورج ؟

ذلك أن جورج أمضى مع بوارو سنوات عديدة .

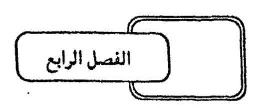
- أن أباه مريض ، ومضى ليكون الى جواره . ولكننى أرجو ان يعود ذات يوم . وفى أثناء ذلك يهتم كورتيس بى .

ونظر الى خادمه الجديد ، وكان رجلا طويل القامة متين الجسم له وجه ينطلق بالغباء .

ولاحظت وأنا أخرج أن بوارو يغلق بعناية كبيرة الحافظة التى تضم الأوراق التى أطلعنى عليها .

وعبرت الطرقة فى طريقى الى غرفتى وذهنى مضطرب .

***



الفصل الرابع

هبطت الى غرفة الطعام فى تلك الليلة يخامرنى احساس بأن الحياة أصبحت فجأة غير حقيقية .

وقد تساءلت مرة أو مرتين وأنا أستبدل ثيابى ان لم يكن بوارو قد تصور كل هذه القصة . أنه أصبح الآن ، على كل حال شيخا هده المرض ولكنه يؤكد أن عقله لا يزال كما هو فهل هذا صحيح .. ؟ أنه قضى كل حياته فى مطاردة المجرمين وليس عجيبا أن يتصور أن هناك جرائم حيث لا توجد ؟ ولاريب أنه شقت عليه البطالة بصفة خاصة وليس غريبا اذن أن يخترع قصة مطاردة جديدة .. لقد جمع بعض الحقائق وخيل له أنه يجد فيها شيئا لا وجود له .. أعنى شخصا غامضا .. قاتلا مجنونا . وطبقا لكل الاحتمالات فان مسز أترنجتون قتلت زوجها وان العامل الزراعى قتل زوجته وأن فتاة حقنت خالتها بكمية قاتلة من المورفين وأن زوجة غيور اتخلصت من زوجها بعد أن هددته بالقتل وأن فتاة مسكينة مجنونة ارتكبت جريمة قتل ثم اعترفت بها فيما بعد .. كانت كل هذه الجرائم تبدو كما هى تماما ولا شئ أكثر .

ومع ذلك فقد كنت أثق ثقة عمياء فى بوارو ، وقد أكد لى أن جريمة قتل سوف تقع وان قصر ستايلز سوف يكون مسرحا لفاجعة للمرة الثانية . والوقت وحده هو الكفيل باثبات صحة هذا الادعاء أو كذبه . ولكن اذا كان الأمر صحيحا فانه يتعين علينا أن نمنع حدوثه . واذا كنت لا أعرف شخصية القاتل فان بوارو يعرفها .

ولكننى كلما أزددت تفكيرا فى الأمر كلما ازداد جزعى فان صديقى العزيز أثبت أنه على وقاحة كبيرة حقا فقد طلب معاونتى ولكنه رفض أن يمنحنى ثقته ، فلماذا ..؟

ان السبب الذى أبداه لى لم يكن كافيا وقد لقيت كفايتى من دعابته السخيفة التى تدور حول شفافية وجهى ، فأنى أستطيع أن أكتم السر كغيرى من الناس . ولكن بوارو كان عنيدا دائما فى هذه الناحية ، واذا كان يحلو له فى بعض الأوقات أن يزيد من امتهانى بخصوص طبيعتى الشفافة وأن يزعم أن الجميع يستطيعون قراءة ما يدور فى ذهنى فانه كان يحاول دائما تخفيف وقع هذا الأمر على نفسى فينسب شفافيتى هذه الى صدق خلقى الذى يمقت كل صور الخداع .

ولكن اذا كانت هذه القصة لا تعدو ان تكون وهما صوره له خياله فمن السهل تفسير تحفظه . ولم أكن قد اهتديت الى أى حل للمشكلة عندما دق جرس العشاء . وهبطت وذهنى يقظ وعينى ساهرة وقد عقدت العزم على محاولة اكتشاف القاتل المجهول ، فقد رأيت أن أتقبل فى الوقت الحالى قصة بوارو على أنها حقيقية ، ومعنى هذا ان هناك تحت سقف البيت ، شخصا سبق أن قتل خمس مرات ويتأهب لارتكاب جريمة سادسة ، ولكن من يكون هذا الشخص ؟

وفى غرفة الصالون ، وقبل أن أمضى الى غرفة الطعام تعرفت بمس كول وبالميجور اللرتون ، وكانت الأولى شابة طويلة القامة فى الثالثة والثلاثين أو الرابعة والثلاثين من عمرها ، وكانت لا تزال جميلة جدا ، ولكننى أحسست للوهله الأولى بنفور طبيعى من الثانى ... وكان رجلا وسيما فى الأربعين من العمر ، عريض الكتفين أسمر البشرة ، مرح الحديث تتضمن عباراته فى الغالب معنى مزدوجا .. تحت عينيه تلك الجيوب التى يعزوها عادة الى حياة خليعة داعرة . وقد وضعته على الفور فى طبقة المنغمسين فى ملذات العيش وشاربى الخمر ولاعبى الميسر والماجنين .

وبدا لى أن الكولونيل لوتريل لا يميل هو الآخر اليه أبدا ، وأن بويد كارنجتون يعامله فى شئ من البرود . والحق أن اللرتون لم يكن يلقى نجاحا الا مع النساء ، فقد كانت مسز لوتريل تزقزق مسرورة وهو يطريها فى غير اكتراث وبوقاحة مستترة ... بل

اننى انزعجت وأنا أرى ابنتى جوديث هى الأخرى تستمتع بصحبة ذلك الرجل وتبذل جهدا لمتابعة حديثه على غير عادتها . وطالما تساءلت لماذا تروق صحبة أحط الرجال لأكثر النساء حشمة وجمالا . وكنت أعرف بالغريزة ان اللرتون رجل قذر ، وتسعة رجال من عشرة كانوا يؤيدوننى فى هذا الرأى فى حين أن تسع نساء من عشر ، بل لعلهن جميعا يفتتن به .

وبينما كنا جلوسا حول العشاء ، وبينما كانوا يضعون أمامنا أطباق الطعام رحت أنقل بصرى بين الموجودين محاولا مواجهة مختلف الاحتمالات . فلو أن بوارو كان مصيبا ، وعلى فرض ان عقله لا يزال يعمل بصورة ممتازة حقا فلا ريب ان أحد هؤلاء الأشخاص مجرم أو مجنون ، وعلى الرغم من أنه لم يصرح لى بشئ فقد أستنتجت ان "س " . الغامض رجل فمن يكون بين الجالسين حولى .

انه ليس الكولونيل لوتريل على كل حال لأنه رجل ضعيف الارادة دائم التردد . أما نورتون ، وهو الرجل الذى التقيت به على عتبة الباب وبيده منظار مكبر فكان يبدو هو الاخر بعيد الاحتمال ... كان رجلا ظريفا على شئ من التفاهة ولا يتمتع بأية حيوية . وقد قلت لنفسى بالطبع أن كثيرا من المجرمين ما هم فى الواقع الا أناس تافهون لا يتمتعون بأية حيوية فى الظاهر وانهم لهذا السبب بالذات يحاولون اثبات وجودهم بارتكاب الجرائم ، فانهم يغتاظون اذ يتجاهلهم الناس ، ومن المحتمل أن نورتون ينتمى الى تلك الطبقة ، ولكننى رأيت أن هناك نقطة فى صالحه وهى ذلك الحب الذى يبديه نحو الطيور والزهور ، فطالما فكرت فى أن حب الطبيعة عند الرجل دليل على اخلاقه الحسنة .

بويد كارنجتون ؟ ... كان هذا أمرا غير معقول ، فان رجلا معروفا فى العالم أجمع بأنه صياد بارع ورجل أعمال ناجح يحبه الجميع ويحترمونه لا يمكن أن يكون مجرما .

واستبعدت فرانكلين كذلك فقد كانت ابنتى تحترمه وتعجب به .

ولكنني ترقفت كثيرا عند الميجور اللرتون ، فهو رجل قذر جدير بأن يذبح بجدته ، وكان فى هذه اللحظة بالذات يروى قصة فشل منى به حمل الجميع على الضحك ، وأدركت أنه اذا كان هو " س " . الغامض فلابد أنه ارتكب جرائمه لكى يجنى منها فائدة ما .

ولم يؤكد لى بوارو بالطبع بصورة قاطعة أن " س " رجل ، ولهذا رحت أتأمل مس كول على احتمال أن تكون هى " س " . كانت تبدو امرأة عادية ولكنها كانت مضطربة وعصبية بدون نزاع . وكانت هى ومسز لوتريل وجوديث النساء الوحيدات الموجودات فقد كانت مسز فرانكلين تتناول طعامها فى غرفتها أما الممرضة التى تهتم بها فكانت تتناول الطعام عادة بعد أن نفرغ نحن منه .

واذ فرغنا من العشاء بقيت لحظة واقفا بجوار نافذة غرفة الصالون أفكر فى ذلك اليوم البعيد الذى رأيت فيه لأول مرة سنتيا مردوك ، تلك الفتاة الفاتنة ذات الشعر الأحمر تجتاز وهى تجرى تلك فى المرجة بالذات .. ما كان أجملها ببلوزتها البيضاء !

وكنت غارقا فى أفكارى فأجفلت عندما جاءت جوديث ودست يدها تحت ذراعى وجذبتنى نحو الشرفة وسألتنى دون تمهيد : - ماذا هناك ؟

أجفلت وقلت :

- ما الخبر ؟ . ماذا تعنين ؟

- انك كنت غريب الأطوار طوال الوقت . لماذا رحت تحدق فى الموجودين أثناء الطعام ؟

أحسست بالارتباك ، ومع ذلك فقد خيل لى ما من أحد منهم قد لحظ اهتمامى بهم وقلت : - آه . الحق اننى كنت أفكر فى الماضى .. ربما كنت أرى أشباحا ..

- أنك أقمت هنا فى الماضى ، عندما كنت شابا أليس كذلك ؟ .. وقد لقيت امرأة عجوز مصرعها قتلا ، فهل هذا صحيح ؟

- نعم . ماتت بالسم .

- وكيف كانت ؟

فكرت فى الأمر وقلت : - كانت امرأة طيبة جدا وفائقة الكرم ... كانت تبذل الكثير للجمعيات الخيرية .

- أوه ... هذا النوع من الكرم !

نطقت جوديث بهذه العبارة فى ازدراء ثم أردفت فألقت سؤالا أثار دهشتى ، فقد قالت :

- هل كان الناس سعداء هنا ؟

كنت أعرف انهم لم يكونوا كذلك فأجبت : - كلا .

- لماذا ؟

- لأنهم كانوا يشعرون أنهم سجناء نوعا ما ، فقد كانت مسز انجلثورب ، وهى التى تملك المال ... وكانت تنفقه فى بخل شديد ... ولم يكن باستطاعة أولاد زوجها أن يعيشوا عيشة محترمة .

توترت يد جوديث فوق ذراعى وقالت : - هذا أمر سئ .. بالغ السوء .. نوع من تجاوز السلطة غير مسموح به . ان المسنين والمرضى لا يجب أن يكون لهم الحق فى تقييد حياة الشباب والاصحاء واستعبادهم وتنغيص حياتهم وتبديد طاقتهم التى يمكن أن يستخدموها فيما هو أنفع وأجدى ... هذه أنانية .

أجبت فى لهجة جافة : - ليست الأنانية حكرا على المسنين .

- أعرف ذلك يا بابا . أنك تظن طبعا أن الشباب أنانيون هم الاخرون . لعلنا كذلك . ولكنها أنانية نظيفة ، فاننا لا نريد أن نفعل الا ما نتمنى ولكننا لا نريد أن يفعله الاخرون مكاننا . اننا لا نريد أن ندفع غيرنا الى العبودية .

- كلا . انكن تقنعن بأن تطأوهم بنعالكن اذا ماتواجدوا صدفة فى طريقكن .

ضغطت جوديث على ذراعى وقالت : - لا تكن قاسياً هكذا . اننى لا أطأ أحدا بنعالى ، ولكن يجب أن اعترف أنك لم تحاول أبدا أن تملى على أى منا أن يسلك سلوكا معينا ، وأنا وأختى وأخواى نشكرك كثيرا من أجل هذا .

قلت فى اخلاص : - لعلنى كنت أريد أن أفعل ذلك ، ولكن أمكم أرادت أن تترك لكم مسئولية أعمالكم ... وتبعة أخطائكم .

وأحسست مرة أخرى بيد ابنتى تتوتر على ذراعى وقالت :

- أعرف ذلك . كنت تود أن تشملنا برعايتك كما تفعل الدجاجة مع صغارها . اننى أمقت هذا ، ولا أستطيع احتماله . ولكنك توافقنى طبعا على أن الأشخاص الذين لا نفع فيهم يجب التضحية بهم من أجل النافعين .

- يحدث هذا أحيانا . ولكن لا حاجة أبدا لأن نلجأ الى وسائل تعسفية . يحق لكل امرئ أن يختفى وأن ينسحب ...

- نعم . ولكن هل هذا هو الذى يحدث ؟

كانت لهجتها من الحدة بحيث رفعت عينى اليها . ولكن الظلام كان قد جن فلم أستطع أن أميز وجهها فى وضوح . واستطردت تقول فى صوت خافت مضطرب :

- هناك اعتبارات مالية ... وشعور بالمسئولية ... ونفور من جرح كرامة من نحب ... وهناك أشخاص معدومو الضمير .. لا هم لهم إلا التلاعب بهذه المشاعر ... ان بعض الناس أشبه بمصاصى الدماء .

صحت : - عزيزتى جوديث !

اذهلتنى حدتها ، ولكن يبدو أنها أدركت انها تمادت فى تحمسها قليلا لأنها راحت تضحك فجأة ثم قالت :

- لاشك أنك تجدنى مندفعة أكثر من اللازم ، ولكن الحديث فى هذا الموضوع يستهوينى . اننى عرفت حالة ... أوه ، كان رجلا وحشا . وعندما خطر لشخص ان

يقاومهم أن يحرر الناس الذين يحبهم من جبروته رموه بالجنون ؟ ... الجنون ! ... انه أقدم على عمل حكيم لم يكن أى شخص آخر يستطيع أن يقدم عليه ... عمل حكيم وشجاع .

أحسست بانفعال شديد .. اين سمعت مثل هذا القول ؟ .. انني سمعت مثل هذا القول منذ وقت طويل .

سألتها على الفور : - عم تتحدثين يا جوديث ؟ .

- أوه ، عن شخص لا يمكن أن تعرفه ... أصدقاء لفرانكلين ... رجل مسن يدعى ليتشفيلد ارغم بناته على الموت جوعا تقريبا على الرغم من أنه كان ثريا . لم يكن يسمح لهن بالخروج أبدا ويمنعهن من رؤية أى أحد ... كان مجنونا حقا ... ولكنه لم يكن بذلك الجنون الذى يصفه الأطباء .

- وقد قتلته ابنته الكبرى ... أليس كذلك ؟

- أوه ، أظن انك قرأت هذه القصة فى الجرائد . يمكنك أن تقول انها جريمة قتل اذا أردت ، ولكننى أقول لك أنه لم يكن هناك أى دافع شخصى ... وأرى أن تلك الفتاة كانت شجاعة حقا . ولو انني كنت مكانها لما وجدت ما يكفى من الجرأة ...

- ما يكفى من الجرأة لكى تسلمى نفسك أو لكى ترتكبى الجريمة ؟

- للامرين معا .

- قلت فى لهجة صارمة : - يسرنى أن أسمع ذلك ولكن لا يطيب لى أن أسمعك تقولين أن هناك حالات تبرر جريمة القتل . ماذا كان رأى الدكتور فرانكلين فى هذه القضية .

- قال ان ذلك الوحش لقى جزاءه الحق . الواقع يا أبى أن هناك أناسا يفعلون كل شئ من شأنه أن يتسبب فى قتلهم .

- لا أريد أن تنطقى بمثل هذه الآراء يا جوديث ... من الذى حشا رأسك بمثل هذه

أفكار ؟

- لا أحد .

- حسنا . دعينى أقول لك ان كل ذلك حماقات شديدة الخطر .

- حسنا . فلنبق عند هذا الحد .

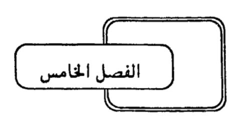
وسكتت لحظة ثم عادت تقول فى مرح : - الواقع اننى أتيت لكى أنقل اليك رسالة من مسز فرانكلين . انها تريد أن تراك اذا كان لا يزعجك أن تصعد الى غرفتها .

- سوف يسرنى ذلك . يحزننى انها أحست بالتعب الى حد أنها لم تستطع الهبوط لتناول العشاء .

أجابت ابنتى فى برود : - انها فى صحة جيدة ولكن يحلو لها أن تتظاهر وتتمارض .

وابتعدت وأنا أفكر أن الشباب مجردون من كل رحمة حقا .

* * *



الفصل الخامس

لم أكن قد التقيت بمسز فرانكلين غير مرة واحدة كانت فى نحو الثلاثين وتنتمى الى ذلك النوع الذى ندعوه بالعذراء ... عينان واسعتان داكنتان وشعر أسود مفروق ووجه بيضاوى متناسق القسمات .

وجدتها مستلقية فوق الفراش تستجم وتسند رأسها فوق احدى الوسائد وترتدى ثوبا مكشوفا من لونين أبيض وأزرق باهت . وكان فرانكلين وبويد كارنجتون يتناولان القهوة . واستقبلتنى بابتسامة رقيقة وبسطت لى يدها قائلة :

- يسرنى انك أتيت يا كابتن هاستنجز . سوف تكون جوديث سعيدة بوجودك . ان هذه الطفلة قد أرهقت نفسها فى العمل كثيرا حتى الان .

أجبت وأنا أخذ يدها الرقيقة ذات الأصابع الطويلة الهشة فى يدى :

- يبدو عليها أنها فى صحة جيدة .

تنهدت بربارا فرانكلين وقالت : - نعم . انها محظوظة من هذه الناحية ولا يسعنى الا أن أحسدها وأظن انها لا تدرى ما هو المرض .

وتحولت الى الممرضة وقالت : - ما رأيك يا مس كرافن ؟ أوه ، اسمحى لى أن أقدم لك الكابتن هاستنجز .. ان كرافن مخلصة لى جدا ولا أدرى ماذا يكون من أمرى من غيرها .

كانت الممرضة امرأة شابة طويلة القامة وجميلة لها شعر جميل أحمر ولاحظت أن يديها رقيقتان وبيضاويتان على عكس ممرضات المستشفيات . كانت قليلة الكلام وأكتفت بأن أحنت رأسها احناءة خفيفة . وقالت مسز فرانكلين :

- الواقع أن جون يرهق جوديث المسكينة بالعمل . انه مخدوم قاس لا يرحم ، أليس كذلك يا جون ؟

وكان زوجها واقفا بجوار النافذة يطل الى المرجة ويصفر بين أسنانه ويخشخش بعض القطع الفضية فى جيبه . وأجفل عند سؤال زوجته وقال :

- ماذا تقولين يا بربارا ؟

- أقول انك ترهق مس هاستنجز بصورة تدعو الى الخجل . والان وقد أقبل الكابتن هاستنجز فسوف نتآمر أنا وهو حتى لا يستمر هذا الاستغلال .

ويبدو أن الدكتور فرانكلين لم يكن يستسيغ المزاح لانه تحول فى ضيق ظاهر الى جوديث مستفهما وقال :

- اذا كنت أطالبك بأثر من طاقتك فيجب أن تقولى لى ذلك صراحة .

- ولكن أبدا . هذه مجرد مزحة . وبمناسبة العمل كنت أريد أن أسألك عن هذه البقعة الموجودة فى اللوحة الثانية ... تلك التى ..

- آه .. نعم . اذا لم يكن هناك أى مانع فسنهبط الآن الى المعمل ... اننى أريد أن أتأكد ..

وغادرا الغرفة معا وهما يستأنفان حديثهما ..

تنهدت بربارا فرانكلين وأنقلبت على وسادتها وتكلمت الممرضة فجأة فقالت فى لهجة بغيضة :

- اذا أردتم الحقيقة فان مس هاستنجز هى التى تبدو قاسية لا ترحم .

تنهدت مسز فرانكلين مرة أخرى وقالت : - اننى أعرف جيدا أنه كان يجب أن أهتم أكثر بأعمال زوجى ، ولكن لا طاقة لى بذلك فاننى أشعر اننى أقل من المستوى . أشعر أن فى داخلى شيئا ليس كما يجب ومع ذلك ...

وقاطعها بويد كارنجتون عندئذ فقال : - هراء يا بابس ... أنك كاملة ليس فيك

أى عيب فلا تزعجى نفسك .

– ولكن لا يسعنى الا أن أزعج نفسى يابيل ، فان اليأس يتملكنى بسهولة ... لا أستطيع أن أحتمل رؤية هذه الفئران والخنازير وغيرها .

وأردفت تقول والرعشة تسرى فى بدنها : – اننى أعرف ان هذه حماقة . ولكن رؤية هذه الحيوانات تزيدنى مرضا . وددت ان لا أفكر الا فى الأشياء الجميلة ... فى الطيور والزهور ولعب الأطفال ، وأنت تعرف ذلك يا بيل .

تقدم بويد كارنجتون وأخذ اليد التى بسطتها له متوسلة وخفض عينيه نحوها . ولانت أساريره وهو يقول فى رقة :

– انك لم تتغيرى يابابس ... مازلت كما كنت وأنت فى السابعة عشرة .

ونظر الى وقال : – أنا وبربارا صديقان قديمان من أيام الشباب .

احتجت المرأة الشابة قائلة " – أوه ... اننا صديقان حميمان .

– أعترف بأنى أكبرك بخمسة عشرة عاما ، ولكننى لعبت معك وأنت طفلة كما لو كنت دمية وحملتك فوق ظهرى ، وعندما عدت بعد ذلك كنت قد أصبحت فتاة جميلة تستعدين لدخول المجتمع وقد ساهمت فى ذلك قليلا وعلمتك كيف تلعبين الجولف ... هل تذكرين ؟

– أوه يا بيل . وهل تظن أننى أستطيع أن أنسى كل هذا ؟

وتحولت الى بوجهها الذى يشبه وجه العذراء وقالت : – كان أبواى يقيمان فى انجلترا ، وكان بيل يأتى فى بعض الأحيان للاقامة فى بيت عمه سير افرارد بكناتون .

– انه قصر كبير .. ولا أظن أن فى مقدورى أن أجعله صالحا للسكنى .

– أوه يا بيل . لو تستطيع ذلك فانه ليكون أمرا جميلا .

– هذا صحيح يابابس .. ولكن الشئ الذى يضايقنى هو اننى لا أعرف كيف أتصرف .. لا أستطيع أن أفكر فى أكثر من اقامة بعض الأحواض واعداد بعض المقاعد

المريحة ... لابد من امرأة لكى تدبر مثل هذا الأمر .

- قلت لك اننى على أستعداد لهذا العمل اذا أردت .. اننى لا أهزل يا بيل

- اذا كنت تحسين بانك تستطيعين الانتقال ففى مقدورى أن أذهب بك هناك .

ونظر الى الممرضة مستفهما وقال : - ما رأيك يا مس كرافن ؟

- بكل تأكيد يا سير ويليام .. اننى واثقة انه سيكون فى هذه النزهة خير كبير لمسز فرانكلين ولكن على شرط أن تكون عاقلة وأن لا تجهد نفسها .

قال بويد كارنجتون : - اتفقنا اذن . حاولى أن تنامى الان قليلا يا عزيزتى بابس لكى تكونى على استعداد غدا .

وأستأذنا منها فى الانصراف وخرجنا معا . وقال فجأة ونحن نهبط السلم :

- لا يمكن أن تعرف كم كانت جميلة وفاتنة وهى فى السابعة عشرة من عمرها يا هاستنجز . كنت قد عدت من بورما وكانت زوجتى قد ماتت ، واعترف بأننى احببتها حبا جنونيا ولكنها تزوجت بعد سنتين أو ثلاث بفرانكلين . ولا أظن أن زواجها كان سعيدا ولا أعتقد أنه يجب ان نبحث عن سبب آخر لصحتها الضعيفة فان زوجها لم يفهمها أبدا ولم يعرف كيف يقدرها حق قدرها . وهى حساسة جدا بطبعها ، ومرضها يرجع سببه الأكبر الى شدة ما تعانية من الانفعال . أما اذا وجدت من يهتم بها ومن يسرى عنها فانها تتغير على الفور ولكن هذا الغبى الأحمق لا يهتم الا بأنابيب الاختبار وبتجاربه .

وضحك محنقا وخطر لى أنه قد لا يكون مخطئا . ومع ذلك فقد عجبت لميله لمسز فرانكلين فهى وان كانت جميلة وفاتنة الا أنها كانت فى صحة رديئة . وكان هو من ناحيته يتقد حيوية بحيث كنت اتوقع أن أراه ثائر الطبع ونافذ الصبر أمام امرأة عصيبة مثلها . ولكن لم يكن هناك شك فى أن بربارا كانت قبل ذلك بسنوات فتاة جميلة جدا ، وان انطباعات الشباب تظل خالدة عند كثير من الرجال وخصوصا المثاليين

الذين على شاكلة بويد كارنجتون ، والحب الأول يترك دائما آثارا لا تمحى .

وفى البهو اندفعت مسز لوتريل نحونا واقترحت أن نشترك معها فى لعب البريدج ولكننى اعتذرت متعللا بأننى يجب أن أنضم الى بوارو .

ووجدته فى الفراش . وكان كورتيس منهمكا فى تنسيق الغرفة ، ولم يلبث أن انصرف فى هدوء وأغلق الباب خلفه .

وصحت أقول على الفور : – لعنة الله عليك يا بوارو على عادتك بأن تحتفظ لنفسك دائما ببعض الأسرار . اننى قضيت طوال الأمسية أحاول الاستدلال على رجلك الغامض .

– لا ريب أن هذا الجهد الصغير قد جعلك تبدو ساهما . ألم يلحظ أحد ذلك ؟ ألم يسألك أحد عما بك ؟

صعد الدم الى وجهى شيئا ما وأنا أتذكر أسئلة جوديث . وأظن أن ارتباكى لم يغب عن بوارو لأننى رأيت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، ولكنه لم ينطق بشئ فى هذه الناحية واكتفى بأن قال :

– وما هو الاستنتاج الذى توصلت اليه ؟

– وهل تصدقنى القول اذا كنت على صواب ؟

– كلا طبعا .

تأملت وجهه مليا وأنا أقول : – كنت قد فكرت فى نورتون ...

ولكن بوارو ظل جامد الاسارير فأردفت : – ولكن هذا لا يعنى أننى وجدت شيئا يدينه . بيد أنه بدا لى أكثر احتمالا من الاخرين . فاننى أظن أن القاتل الذى نطارده ينتمى الى النوع ... المنزوى .

– هذا جائز ... ولكن هناك طرقا كثيرة من الانزواء ... أكثر مما تتصور .

– ماذا تعنى ؟

- لنفرض أن رجلا أجنبيا تحركه النوايا السيئة يأتى هنا قبل الجريمة بأسابيع ... ان من الأفضل له أن لا يلحظه أحد وأن يزاول عملا عاديا كالصيد .

- أو دراسة العصافير .. وهذا ما كنت أقول بالذات .

- ومن ناحية أخرى فان من الأفضل أن يكون القاتل شخصا نموذجيا كان يكون جزارا مثلا فان فى تلك ميزة أخرى لأن أحدا لن يلحظ بقع الدم على ثيابه .

قلت معترضا : - ولكن سيعرف الجميع اذا كان الجزار قد تشاجر .. مع الخباز مثلا ..

- لن يحدث هذا الا اذا كان الجزار قد اتخذ هذه المهنة لكى يتسنى له قتل الخباز .

حدقت فيه فى اهتمام وأنا أتساءل هل يجب أن أبحث فى كلماته هذه عن اشارة خفية ؟ ... اذا صح هذا فيبدو أنه يشير الى الكولونيل لوتريل . فهل افتتح هذا الأخير هذا البنسيون ليتسنى له أن يقتل أحد نزلائه .

وهز بوارو رأسه وقال : - لن تجد جواب المشكلة فى وجهى .

تنهدت وقلت : - انك تثير الحنق حقا . ومهما يكن فان نورتون ليس الشخص الوحيد الذى اشتبه فيه . ما رأيك فى المدعو اللرتون ؟

ظل بوارو على جموده وقال فى هدوء : - ألا يروق لك ؟

- أوه ، أبدا .

- آه ... أنك تعتبره من الأوغاد ، أليس كذلك ؟

- تماما . ألست من رأيى

- طبعا .. ولكنه رجل يجد حظوة كبيرة لدى النساء .

أفلتت منى صيحة تدل على الازدراء وقلت : - ان النساء حمقاوات حقا ... ما الذى يجدنه فى رجل مثله ؟

- لا أستطيع القول .. ولكن هذا يحدث غالبا ، فهن يملن الى هذا النوع من الرجال

دائما .

- ولكن لماذا ؟

هز بوارو كتفيه وقال : - لا ريب انهن يرين فيه شيئا يغيب عنا .

- مثال ذلك ؟

- لعله الخطر ... ان كلا منا يجب ان يجد فى الحياة شيئا من الخطر . فبعضنا يبحث عنه فى حلبات مصارعة الثيران والبعض فى السينما فان الطبيعة البشرية تنفر من الأمان ، ولهذا ينشد الرجال الخطر بشتى الطرق أما النساء فيلجأن الى المغامرات الجنسية ، وبهذا تفلت منهن الفرصة فى أغلب الأوقات للاهتداء الى الشاب الشهم الذى قد يكون زوجا فاضلا .

وركزت أفكارى فى هذا الرأي بضع دقائق ثم عدت الى موضوعى وقلت :

- سوف يكون من اليسير على يا بوارو أن أكتشف شخصية " س " يكفى أن أتحرى هنا وهناك لكى أعرف من الذى كان متصلا بأفراد أسر القتلى الخمس التى استعرضنا قضاياها .

وكنت قد نطقت بقولى هذا فى زهو كبير ولكن بوارو أكتفى بأن ألقى الى نظرة ساخرة وقال :

- اننى لم أطلب منك الحضور هنا يا هاستنجز لكى أراك تتبع بطريقة خرقاء وبصعوبة نفس الطريق الذى تبعته أنا من قبل . ودعنى أقول لك أن الأمور لم تكن من البساطة كما تتصور فان أربعا من هذه القضايا وقعت فى الاقليم الذى نحن فيه الآن والأشخاص الذين يضمهم قصر ستايلز ليسوا جماعة من الأغراب جاءوا هنا صدفة ، وهذا البيت ليس فندقا بالمعنى المعروف لهذه الكلمة . ان آل لوتريل من أهالى الاقليم وكانا فى موقف مالى حرج وقد اشتريا هذا البيت واندفعا فى مشروع يحف به الخطر . وضيوفهما الحاليون أصدقاء لهما وبعضهم أتوا بتوصية من بعض الأصدقاء الآخرين

فسير ويليام مثلا هو الذى حث آل فرانكلين على القدوم ، وهؤلاء حثوا بدورهم نورتون ومس كول اذا لم أخطئ ، وهكذا . ومعنى هذا أن هناك فرصة كبيرة فى أن شخصا معروفا منهم معروف للآخرين كذلك . ثم هناك نقطة أخرى فاليك مثلا قضية المزارع ريجس . ان قريته التى وقعت فيها المأساة لا تبعد كثيرا عن أملاك بويد كارنجتون . وأقارب مسز فرانكلين كانوا يقيمون هم الاخرون فى نفس المنطقة ، وحانة القرية يؤمها السياح ويختلف اليها بعض أصدقاء أسرة فرانكلين . ومن الجائز أن يكون نورتون ومس كول قد اقاما فيها بعض الوقت هما أيضا . كلا يا صديقى . أتوسل اليك ان لا تلجأ الى هذه المحاولات لكى تكتشف سرا أرفض أنا أن أطلعك علية .

– هذا أمر مضحك حقا ... كما لو أننى سأمضى وأذيع هذا السر فى كل مكان... أؤكد لك يا بوارو اننى سئمت دعابتك بخصوص وجهى الشفاف ليس هذا غريبا أبدا .

– وهل أنت واثق ان هذا هو سبب ترددى ؟ ... الا تفهم أنه قد يكون خطرا عليك أن تعرف الحقيقة .. ألا ترى أننى حريص على سلامتك ؟

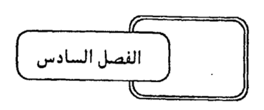
نظرت اليه بعينين متسعتين ، فحتى هذه اللحظة لم أكن قد واجهت هذا الجانب من المسألة ، ولكننى أدركت الان صواب نظريته ، فان القاتل الماهر الواسع الحيلة الذى يثقل ضميره خمس جرائم قتل لن يتورع عن أى شئ اذا ما أدرك اننا نتعقبه . وأسرعت أقول :

– ولكن معنى هذا أنك أنت نفسك فى خطر يا بوارو ؟

أتى صديقى بحركة تدل على ازدرائه التام وقال :

– اننى اعتدت على ذلك ، وأعرف كيف أذود عن نفسى . ومهما يكن فان صديقى المخلص الوفى هاستنجز بجوارى وسيعرف كيف يدافع عنى .

***



كان من عادة بوارو ان يرقد مبكرا ، فتركته لكى ينام وهبطت الى الطابق الأرضى بعد أن توقفت بضع لحظات لكى أتحدث مع كوريتس .

بدا لى أنه رجل جاف شيئا ما بليد الذهن وان كان مخلصا وجديرا بالثقة ، التحق بخدمة بوارو بعد عودته من مصر وأكد لى أن صحة سيده لا بأس بها فى مجموعها على الرغم من أن قلبه كان مكدودا وانه يعانى من نوبات مخيفة بعض الشئ كالمحرك الذى يصيبه الضعف فى بطء .

وكنت أعرف بالطبع ان بوارو قضى على العموم حياة جميلة ، ومع ذلك فقد أحزننى أن أرى صديقى يضطر الى مقاومة المرض بشجاعة . وحتى الان وهو ضعيف وعاجز عن الحركة كان ذهنه القوى يدفعه الى متابعة المهنة التى أظهر فيها ذكاء خارقا وأصاب فيها كل نجاح .

وبلغت الطابق الأرضى وقلبى منقبض وأنا لا أدرى كيف أستطيع مواجهة الحياة وحدى اذا ما قضى بوارو .

وكانوا يلعبون البريدج فى الصالون ، وكانوا قد فرغوا من أحد الأدوار فدعونى الى الاشتراك معهم فقبلت على أمل أن يسرى اللعب عنى وانسحب بويد كارنجتون وحللت أنا مكانه لكى أشترك فى اللعب مع نورتون والكولونل لوتريل وزوجته .

وقالت مسز لوتريل : - هل يمكن أن نغلب غريمينا هذه المرة يا مستر نورتون ؟ ان اشتراكنا معا فى المرة السابقة كان مثمرا .

ابتسم نرتون وقال أنه قد يكون من الأوفق عمل قرعة . وقبلت مسز نورتون على

مضض . وكانت النتيجة أن انضممت أنا الى نورتون ضد الكولونل لوتريل وزوجته . ولا حظت أن مسز لوتريل لم تستطع اخفاء استيائها فقد جزت على شفتها السفلى واختفت فتنتها ولهجتها الايرلندية المصطنعة ،ولم ألبث أن أدركت سبب هذا التغيير .

فقد لعبت بعد ذلك كثيرا مع الكولونل لوتريل ورأيت انه ليس لاعبا رديئا أبدا وأنه انما كان يلعب فى حرص شديد . ولكن ذهنه كان يشرد أحيانا فيرتكب بعض الأخطاء الكبيرة . وكانت هذه الأخطاء تزداد عندما يشترك مع زوجته فقد كانت تثير أعصابه فيخطئ رغما عنه . وكانت هى لاعبة ممتازة ولكنها كانت تثير حنق زميلها ، فقد كانت تحب الاستفادة من كل الاحتمالات بأقصى ما تستطيع وتتجاهل أصول اللعب اذا لم يفطن غريمها الى ذلك ولكنها كانت فى الوقت نفسه تحرص على أن يحترمها كل من يلعب معها . وكانت الى جانب كل هذا تحاول أن " تغش " . وان ترى أوراق غريمها . صفوة القول كانت لا تلعب الا لكى تربح دائما .

كما أدركت ماذا كان يعنى بوارو عندما قال انها سليطة اللسان ، فانها عندما كانت تلعب البريدج كانت تتخلى عن كل تحفظ وتعنف زوجها بكلمات جارحة اذا ما ارتكب أية غلطة . وأحسست بالارتباك الشديد واغتبطت عندما انتهى الدور واعتذرت أنا ونورتون متعللين بأن الوقت تأخر وأسرعنا بالانسحاب . وترك زميلى العنان لمشاعره فقال :

– اننى أكاد أجن وأنا أراها تنكد عيشة هذا الرجل المسكين هكذا . وهو يتقبل كل شئ فى خضوع واستسلام . لم يتبق شئ كثير من حماسه الذى كان معروفا به فى الجيش .

قلت : – صه !

فقد تكلم فى صوت مرتفع وخشيت أن يكون لوتريل قد سمعه وقلت :

– يمكنه أن يقاومها يوما ما .

ولكن نورتون هز رأسه وقال : - انه لن يفعل شيئا من هذا ، فقد اعتاد على ذلك... نعم يا ديزى ... كلا يا ديزى ... معذرة يا ديزى ... يقول ذلك دائما وهو يفتل شاربه لن يستطيع أن يفرض نفسه حتى اذا شاء .

هززت رأسى فى حزن لأننى خشيت ان يكون نورتون على حق . وتوقفنا فى البهو ولاحظت أن الباب الجانبى مفتوح وأن الهواء كان يندفع الى الداخل فقلت :

- ألا يجب أن نقفله ؟

تردد نورتون بضع لحظات قبل أن يرد : - لا أدرى ... أظن ... أن بعضهم ما زال بالخارج .

داخلنى الشك فجأة وسألت : - من تعنى ؟

- يبدو لى أن ابنتك ... واللرتون لم يعودا بعد .

وقد حاول أن يتكلم فى غير اكتراث ، ولكن هذه الملاحظة ، بعد حديث بوارو ضايقتنى أكبر الضيق .

جوديث ... واللرتون ! ... ابنتى الهادئة الذكية ؟ .. لا يمكن أن تشعر بأى ميل الى شخص من هذا النوع ، فلا ريب أنها تعرفه على حقيقته .

وعدت الى غرفتى ورحت انضو عنى ثيابى وأنا لا أكف عن ترديد ذلك . ولكن ذلك الضيق الغامض ظل يلازمنى ولم يشأ أن يفارقنى .

وما ان تمددت على الفراش حتى رحت أتقلب دون أن أجد الى النوم سبيلا . وكما يحدث عادة خلال الأرق يتجسم كل شئ الى حد المبالغة ، وأحسست بأننى أغرق فى لجج من اليأس . لو أن زوجتى العزيزة كانت لا تزال على قيد الحياة ، فقد ركنت طوال سنوات عديدة الى حكمها وتقديرها للامور فقد كانت حكيمة ، وكانت تفهم الأولاد وشعرت الان بأننى عاجز من غيرها وأنه لا حيلة لى وقد غدوت الان المسئول الوحيد عن أمنهم وسلامتهم وخشيت أن لا أكون عند مستوى هذه المهمة . وأنا أعرف اننى

لست على قدر كبير من الذكاء وانني طالما ارتكبت بعض الحماقات والأخطاء . ولكن اذا كان ولابد أن تفسد جوديث حياتها ، واذا كان ولابد أن تتألم ..

وأضأت المصباح الذى بجوار الفراش وقد ازداد وجيب قلبى لفرط الانفعال وجلست فوق الفراش لم يكن هناك أى جدوى من كل ذلك ، وكان لابد لى من أن استريح قليلا فنهضت ومضيت الى غرفة الحمام ووقفت لحظة أتأمل علبة الاسبرين التى فوق الرف... كلها ... كنت بحاجة الى شئ أكثر فاعلية وقلت لنفسى اننى قد أجد عند بوارو منوما ففتحت الباب واجتزت الطرقة ووقفت مترددا أمام بابه ... شعرت بالأسى لايقاظى هذا العجوز المسكين لكى أطلب منه قرصا . وكنت لا أزال مترددا أمام الباب عندما سمعت صوت خطوات فى الطرقة . ولكن الضوء كان ضعيفا جدا فلم أتبين وجه القادم الا عندما اقترب منى وتوترت أعصابى على الفور وقطبت جبينى لأن القادم كان يبتسم ابتسامة تدل على ارتياحه ولم ترق لى أبدا .

وقال مشدوها :

- مساء الخير يا هاستنز ... أما زلت مستيقظا ؟

أجبت فى حدة : - لا أستطيع النوم .

- آه ... حسنا . تعال معى .. سأعطيك شيئا .

ومضيت معه الى غرفته ، وكانت ملاصقة لغرفتى وأحسست باغراء كبير يدفعنى الي دراسة الرجل عن كثب بقدر ما أستطيع ، وقلت :

- انك تنام متأخرا جدا .

- لم انم قبل ذلك أبدا .. خصوصا اذا كانت أمامى احتمالات اللهو والترفيه . لا يجب اضاعة هذه الليالى الجميلة .

وراح يضحك ضحكة لم ترق لى كابتسامته منذ لحظة .

وتبعته حتى غرفة الحمام ،وهناك فتح دولابا وأخرج منه أنبوبة من الأقراص وقال :

- اليك ما تريد . سوف يساعدك هذا على أن تنام نوما عميقا ، وسوف ترى أحلاما جميلة فان هذا المخدر مدهش .

أحدثت لهجته المتحمسة صدمة خفيفة فى نفسى .. هل يتعاطى هذا الرجل المخدرات ؟ وقلت :

- أليس فى هذا أى خطر ؟

- الخطر فى أن تأخذ منه أكثر من اللازم ، فهو من هذه المخدرات التى تجاوز الجرعة القاتلة منه الجرعة العادية بقليل .

وابتسم مرة أخرى وقد زم ما بين شفتيه بطريقة بغيضة .

- كنت أظن أن مثل هذا المخدر لا يمكن الحصول عليه بدون أمر الطبيب .

- وأنت على صواب فى هذا الظن ، ولكننى أعرف كيف أدبر أمورى .

وأعرف اننى تصرفت بعد ذلك تصرفا أحمق ، ولكن يحدث أحيانا أن يخضع الانسان لمثل هذه النزوة فقد قلت : - أظن انك كنت تعرف اترنجتون .

وأدركت على الفور ان الضربة أصابت الهدف فقد قست نظراته على الفور وبدا التحدى فى عينيه ، ومع ذلك فقد أجابنى فى غير اكتراث وقال :

- نعم . كنت أعرفه .. يا للرجل المسكين ! ..

واذ لزمت الصمت استطرد يقول :- كان يتعاطى المخدرات طبعا ، وبكمية كبيرة . يجب أن يعرف المرء متى يتوقف ، أما هو فلم يعرف ... انها قضية محزنة ... وكانت زوجته محظوظة وان كانت هيئة المحلفين لم تعطف عليها .

وناولنى قرصين وهو يسألنى فى غير اهتمام :

- هل كنت تعرف أترنجتون جيدا ؟

نطقت بالحقيقة وقلت : - كلا .

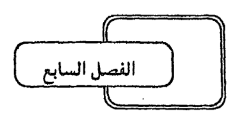
وبدت عليه الحيرة لحظة ثم ضحك ضحكة صغيرة وقال : - كان رجلا غريبا ... لم

يكن مريحا أبدا ولكنه كان يعرف كيف يكون ظريفا فى بعض الأحيان .

وشكرته من أجل القرصين ثم عدت الى غرفتى .

وتمددت على فراشى من جديد وأنا أتساءل اذا لم أكن قد أتيت بحماقة ما ، لأننى أصبحت مقتنعا الان أن " س " . المشهور لم يكن غير اللرتون ، وقد جعلته يفهم أننى أشتبه فى شئ ما .

***



لا جدال فى أن قصتى عن الأيام التى قضيتها فى ستاليز تبدو مفككة . والحق اننى كلما فكرت فى تلك الفترة أتذكر على وجه الخصوص سلسلة من الأحاديث والعبارات التى يكاد يكون لها ذكراها المثيرة .

وكنت قد أدركت أول كل شئ الضعف الشديد الذى أصاب صحة صديقى بوارو . كنت مقتنعا كما أظن أننى سبق أن قلت ذلك أن ذهنه كان لا يزال قويا ولكن جسده قد اعتراه الوهن والهزال بحيث رأيت على الفور أن دورى سيكون أكثر فاعلية عن المعتاد وأنه يتعين على أن أرى وأسمع نيابة عنه .

كان كورتيس كلما صفا الجو يحمله الى الطابق الأرضى وينقله الى مقعده الذى ينزله قبل ذلك ثم يقوده الى الحديقة ويمضى به الى مكان بعيد عن التيارات الهوائية . أما فى الأيام الأخرى التى لا يصحو فيها الجو فكان يذهب به الى الصالون . وكان بوارو يجد من يتحدث اليه فى كل مرة ولكنه لم يكن يستطيع اختيار الشخص الذى يريد أن يتحدث اليه طبعا .

وفى اليوم التالى لقدومى قادنى فرانكلين الى الورشة القديمة بالحديقة وكان قد حولها الى معمل لأبحاثه العلمية . وأرجو أن يسمح لى القارئ منذ الان بأن أقول له اننى لا أفهم أى شئ فى المسائل العلمية وان من المحتمل ان أنطق فى بعض الأوقات باصطلاحات غير ملائمة مثيرا بذلك ازدراء الاختصاصيين .

وبقدر ما أستطيع أن أحكم فان فرانكلين كان يقوم بتجارب خاصة ببعض القلويات التى يحتوى عليها فول كالابار ، ولا سيما مادة الفيزوستجمين المعروفة باسم الأزرين

فى نفس الوقت . وهى مادة سامة شديدة المفعول وقد عرفت عنها الكثير فى حديث دار ذات يوم بين الدكتور فرانكلين وبوارو . وقد حاولت جوديث ان تزودنى ببعض الايضاحات عن هذه المادة ولكنها استخدمت كلمات فنية كانت بالنسبة لى كاللغة العبرية تماما ، وقد استحققت ازدراء ابنتى عندما سألتها عن فائدة هذه المواد للبشرية وأظن انه ليس هناك ما يثير حنق العلماء الا مثل هذا السؤال فقد رمتنى بنظرة تنطق بالازدراء وانطلقت فى تفسير آخر لم أفقه معناه كسابقه .

ولكن كل ما فهمته منها ان بعض القبائل الافريقية أبدت مناعة كبيرة ضد مرض غامض يتسبب فى الموت عرف باسم المرض الجوردانى نسبة الى الدكتور جوردان الذى كان أول من أكتشفه ، وهو مرض استوائى نادر جدا وشديد الخطر راح ضحيته بعض الرجال البيض .

وزدت من غضب ابنتى وحنقها عندما قلت لها أليس الأوفق بدلا من كل هذا اكتشاف عقار جديد لعلاج النكاف فرشقتنى بنظرة رثاء مشوبة بالازدراء وحاولت أن تبرهن لى أن الغرض الوحيد الذى يجب أن يسعى اليه الطبيب ليس رخاء الجنس البشرى وانما التبحر فى النواحى العلمية والتوسع فيها .

وأرتنى من خلال مجهر بضع بطاقات معدنية وصورا لبعض أهالى أفريقيا الغربية وكانت مناظر أطربتنى جدا ، ولكن نظرة أخيرة الى عينى فأر مخدر فى قفص جعلتنى أشعر بالغثيان فأسرعت الى الخارج لكى استنشق الهواء الطلق .

وكما سبق أن قلت أثار اهتمامى حديث دار بينى وبين فرانكلين وبوارو فقد سمعت الدكتور يقول :

– كل هذا يدخل ضمن اختصاصك أنت أكثر منى أنا كما ترى ، فان المفروض أن فول كالابار من شأنه ان يظهر البراءة أو الادانة . ومهما يكن فان القبائل الافريقية مقتنعة بذلك أو كانت تعتقد ذلك على الأقل الى وقت غير بعيد لأن هؤلاء السود

بدأوا يتطورون ، ولكنهم ظلوا يمضغون هذا الفول معتقدين بأنه لن يضرهم اذا كانوا أبرياء وانه على العكس سيقتلهم اذا كانوا مذنبين .

– وكانوا يموتون طبعا ؟

– ليسوا جميعا ، وهذا هو الشئ الذي يثير حيرتنا حتى الآن .

– أظن ان خلف كل هذا خدعة من خدع سحرة القبائل .

– الواقع ان هناك نوعين من فول كالابار ، وهما متشابهان الى حد أنه يصعب التفرقة بينهما ، وكل منهما يحتوى على الفيزوستجمين والجيزيرين ، ولكن فى الامكان عزل مادة معينة فى أحد هذين النوعين يبطل مفعولها مفعول القلويات التى يحتوى الفول المذكور عليها . وهذه القلويات الأخيرة هى التى يتناولها السود أثناء طقوسهم السرية فلا تؤثر عليهم ، ومن المعروف أنهم لا يمرضون بالمرض الجوردانى أبدا وان لها مفعولا عجيبا فى النظام العضلى للانسان ، ولكن لسوء الحظ ان هذه المادة غير مستقرة وكثيرة التهرب ، ومع ذلك فقد حصلت على نتائج مشجعة وان كانت لا تزال أمامى أبحاث طويلة يجب أن أقوم بها ، وهى مهمة لابد لى من انجازها حتى ولو بعت روحى للشيطـ ....

وأمسك فجأة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ثم قال :

– أرجو المعذرة اذا كنت قد صدعت رأسك بتجاربى وأبحاثى ، ولكن عذرى أننى شديد الاهتمام بها .

قال بوارو فى لهجة حالمة : – لو أستطيع التمييز بين المذنب والبرئ بنفس السهولة التى ينسبونها لهؤلاء السود لأصبح عملى أشبه بلعبة من لعب الأطفال . آه .. لو أجد مادة لها حقا نفس الخواص التى يعزونها الى فول كالابار .

قلت : – كنت أظن أنه لا يمكن أن يكون هناك أى شك فى هذه الناحية .

تحول الدكتور الى وقال : – ما هو الشر ؟ ... وما هو الخير ؟ ... ان الاراء

تختلف من قرن لاخر وأحيانا فى بلد عن آخر وما يمكن تحديده هو طبعا طبيعة الاحساس بالذنب أو بالبراءة . ولكن مثل هذه التجربة ليس لها أية قيمة حقا .

- اعترف أننى لا أفهمك تماما .

- أى صديقى العزيز ، تصور رجلا يعتقد أنه له الحق الالهى فى أن يقتل .. مرابيا مثلا أو قوادا أو أي شخص آخر من شأنه أثارة الرأى العام .. سيرتكب ما تدعوه انت عملا اجراميا أما هو فسيعتبر أنه قام بعمل برئ تماما .

- ومع ذلك فيبدو لى أن جريمة القتل يجب أن يصحبها بالضرورة لدى الجانى احساس بالذنب .

قال الدكتور فرانكلين فى مرح : - آه .. يمكننى أن أعترف لك بأن هناك كثيرين أحب أن أقتلهم وأن ضميرى لن يؤرقنى بعد ذلك . لأننى أعتقد أن ٩٠٪ من الجنس البشرى يجب ابادتهم لكى يعيش الباقون بعد ذلك عيشة أفضل .

ونهض وانصرف وهو يصفر بين اسنانه ، وتابعته بعينى فى ذهول . وأعادتنى ضحكة بوارو الى الواقع وهو يقول :

- يخيل لى أنك رأيت وكرا للثعابين يا صديقى .. لنبتهل الى الله أن لا يضع طبيبنا نظريته موضع التنفيذ .

- واذا وضعها موضع التنفيذ مع ذلك ؟

***

- ٢ -

وبعد أن ترددت لحظة عقدت العزم على أن أذهب وأستطلع رأى جوديث فيما يتعلق باللرتون . كنت متلهفا لكى أسمع ردها ، وكنت أعرف أنها عاقلة وجديرة بأن تعنى بنفسها وأنها لن تنقاد بسهولة لفتنة خادعة لرجل كاللرتون .

ولم أتعرض لهذا الموضوع الا لكى أطمئن وأتأكد من ظنونى ، ولكننى لم أصل

لسوء الحظ الى النتيجة المرجوة لأننى تناولته بطريقة خرقاء ، وما من شئ يثير سخط الأبناء كما تثيرهم نصائح الآباء ، ومع ذلك فقد حاولت أن أتكلم بمرح وبغير اكتراث ولكننى لم أفلح كما كنت أتوقع لأن جوديث غضبت على الفور وسألتنى فى ترفع :

–أهذا تحذير أبوى ضد الذئب الشرير ؟

– كلا يا جوديث .. كلا بالطبع .

– أظن أن الميجور اللرتون لا يروق لك .

– هذا صحيح .. أرجو أن لا يروق لك أنت أيضا .

– ولماذا .. ؟

– لأنه ليس من طرازك .

– وأي نوع من الرجال تعتقد أنه من طرازى ؟

ولجوديث موهبة وهى أنها تثير حنقى دائما ، وقدنظرت إلىّ وعلى شفتيها نظرة ازدراء وقالت بعد لحظة :

– انت لا تحبه بالطبع أما أنا فأجده مسليا وجذابا .. وما من امرأة الا وتشاركنى هذا الرأى .. أما الرجال فلا يرون الأمور من نفس الزاوية .

– هذا صحيح ..

وأردفت أقول بطريقة خرقاء : – وقد بقيت معه أمس الى وقت متأخر جدا .

– أنت غبى جدا فى الواقع يا بابا .. ألا تدرك أننى وقد بلغت هذه السن أستطيع أن أعنى بشئونى بنفسى وأنه ليس لك أى حق فى الرقابة على ما أفعل أو على طريقتى فى اختيار أصدقائى . ان ما يغيظ الأبناء انما هو تدخل أهاليهم الأحمق فى حياتهم . أننى أشعر من نحوك بحب كبير ولكننى راشدة وحياتى ملك لى .

وعجزت عن الرد فدرت على عقبى وابتعدت مسرعا وأنا أشعر باستياء كبير لأننى شعرت بأننى أسأت أكثر مما أحسنت . وكنت لا أزال غارقا فى أفكارى بعد بضع

لحظات عندما ردنى صوت مس كرافن الى عالم الواقع قائلة فى خبث :

- فيم تفكر يا كابتن هاستنجز ؟

وسرنى أنها تطفلت على حبل أفكارى وتحولت اليها على الفور . كانت امرأة جميلة حقا ولعلها كانت تميل قليلا الى المزاح والدعابة ولكن لم يكن هناك أى جدال فى أنها تتمتع بقسط وافر من الذكاء والظرف معا .

وكانت قد أجلست مريضتها فى مكان مشمس على مقربة من معمل الدكتور فرانكلين وسألتها :

- هل تهتم بأبحاث زوجها ؟

هزت الفتاة رأسها فى سخرية وقالت : - أوه ، ان هذه الأبحاث تستغلق على فهمها ، فهى ليست فائقة الذكاء ولا يمكن لأحد أن يفهم أهمية أبحاث الدكتور فرانكلين الا اذا كان من رجال العلم والطب . أنه ذكى جدا .. بل اننى أقول أنه متألق.. يا للشاب المسكين .. أننى أرثى له قليلا .

- ترثين له ؟

- نعم . فقد رأيت رجالا كثيرين يتزوجون بنساء لا تناسبهم .

- أتظنين ان هذه هى حالة الدكتور فرانكلين ؟

- ألا تظن أنت كذلك .. ليست بينهما أية نقاط مشتركة .

- ومع ذلك فانه يبدو أنه يحبها كثيرا وأنه يلبى كل رغباتها .

ضحكت الممرضة بطريقة لم ترق لى كثيرا : انها تدبر أمرها فى سبيل ذلك .

- هل تعتقدين أنها .. تستغل مرضها ؟

ضحكت ثانية وقالت : - لن تحتاج الى أية دروس فى هذه الناحية ، فان " سعادتها " . تحصل على كل ما تريد . بعض النساء هكذا .. اذكى من القرود . اذا اعترض أحد رغباتهن أكتفين بأن يطوحن رءوسهن الى الخلف ويغمضن عيونهن بطريقة

تثير الشفقة أو تصيبهن بأزمة عصبية . ومسز فرانكلين تنتمى الى النوع الأول فهى لا تنام الليل وفى الصباح تبدو مصفرة اللون شديدة الارهاق .

- ولكنها مريضة حقا .. أليس كذلك ؟

رمتنى مس كرافن بنظرة غريبة وقالت فى صوت جاف أوه ، طبعا ..

وغيرت موضوع الحديث فجأة وسألتنى اذا كنت قد أقمت فى ستايلز خلال الحرب الأولى حقا فأجبت :

- نعم .. هذا صحيح .

وخفضت صوتها لكى تلقى على السؤال التالى : وهل وقعت جريمة قتل حقا .. ؟ أظن أن امرأة عجوزا قتلت .. قالت لى احدى الخادمات ذلك . هل كنت موجودا عندئذ ؟

- نعم .. كنت هنا .

قالت وهى ترتجف رجفة يسيرة : - هذا يفسر كل شئ ..

- يفسر .. ماذا ؟

رشقتنى بنظرة جانبية وقالت : - ألا تشعر بالجو الذى يسود هذا المكان .. ؟ أما أنا فأشعر به ويخامرنى احساس بأن فى هذا البيت شيئا عجيبا .

وفكرت فى صمت لحظة .. هل كانت تقول حقا .. ؟ وهل يمكن أن تترك جريمة قتل ارتكبت عمدا بصمة قوية فى المكان الذى وقعت فيه بحيث تبقى كل هذه السنوات العديدة .. ؟ أن المشتغلين بعلم النفس يؤكدون ذلك . ولكن ألا تزال توجد فى ستيلز آثار لهذا الحادث البعيد ؟ لقد حلقت بين هذه الجدران وفى هذه الحدائق أفكار تدور حول الجريمة .. أفكار أخذت تتطور وتتضاعف الى أن تحددت وتجسمت أخيرا فى صورة جريمة قتل .. أفما زالت هذه الأفكار تحلق فى جو ستايلز حتى الآن ؟ .

وانتزعتنى الممرضة من أفكارى قائلة : - أننى وجدت نفسى ذات مرة فى مكان

ارتكبت فيه جريمة قتل ولم أنسها أبدا .. كانت احدى مريضاتى هى التى ماتت قتلا وقد استجوبنى البوليس واضطررت الى الادلاء بشهادتى أثناء التحقيق . وكانت تجربة شاقة لى .

- اننى أدرك ذلك فأنا الآخر ..

وأمسكت وأنا أرى بويد كارنجتون مقبلا نحونا ، وبدا كالعهد به دائما ، ان شخصيته القوية ونشاطه العجيب يطردان الأوهام والهواجس المخيفة . كان قويا ومعتدلا بحيث بدا أنه يشع بالبشر والرشاد .

- صباح الخير يا مس كرافن . صباح الخير يا هاستنجز .. أين مسز فرانكلين .. ؟

أجابت المرأة الشابة : - صباح الخير يا سير ويليام .. ان مسز فرانكلين فى آخر الحديقة ، تحت شجرة الزان على مقربة من المعمل .

- وأظن أن زوجها فى المعمل .. ؟

- نعم . مع مس هاستنجز .

- يا للفتاة التعسة .. ما كان يجب أن تحبس نفسها فى المعمل فى مثل هذا اليوم الجميل .. يجب أن تحتج يا هاستنجز .

تدخلت الممرضة فقالت : - أوه .. ولكن مس هاستنجز سعيدة جدا بذلك ، فهى تحب عملها ثم اننى واثقة أن الدكتور لا يستطيع الاستغناء عنها .

عاد بويد كارنجتون يقول وقد تحول الى : - يا للرجل المسكين ، لو أن لى مساعدة جميلة كابنتك جوديث فأننى أفضل أن أنظر اليها هى لا الى الأرانب والخنازير .

كانت هذه الدعابة من النوع الذى لا يروق لجوديث ولكن يبدو أنها راقت لمس كرافن لأنها راحت تضحك عن طيب قلب وقالت :

- أوه .. لا يجب أن تقول مثل هذه الأشياء يا سير ويليام . أننا نعرف ماذا يكون مسلكك فى مثل هذه الظروف . ولكن هذا الدكتور المسكين رجل مجد .. ولا يهتم الا

بأبحاثه .

قال بويد كارنجتون فى مرح : - ان زوجته جلست فى مكان تستطيع أن تراقبه منه على كل حال .. أظنها غيورة .. ؟

- يبدو أنك تعرف أشياء كثيرة يا سير ويليام .

وبدا أن الممرضة قد أطربها هذا المزاح وقالت أخيرا على مضض منها : - حسنا .. يجب أن أذهب الآن لكى أشرف على طعام مسز فرانكلين .

وابتعدت فى خطوات بطيئة تتبعها عينا بويد كارنجتون . وقال هذا الأخير :

- فتاة جميلة .. ؟ شعر ساحر وأسنان براقة .. امرأة جميلة حقا .. أنه لأمر كئيب أن تعنى بامرأة مريضة بدون انقطاع ، فان مخلوقة مثلها يجب أن تستحق مصيرا أفضل .

- مهما يكن فانها ستتزوج ذات يوم .

- أرجو ذلك .

وتنهد . وخطر لى أنه يفكر فى زوجته الميتة ثم غير الموضوع فجأة وقال :

- اننى ذاهب الى كناتون غدا لكى أرى سير العمل هناك ، فهل ترافقنى ؟

- يسرنى ذلك . ولكن يجب أن أرى أولا أن كان بوارو بحاجة الى .

ووجدت صديقى جالسا فى الفراندة وقد تدثر فى ثيابه . وقد شجعنى على الذهاب على الفور قائلا :

- ولكن طبعا .. اذهب يا هاستنجز .. أظن أنه قصر جميل .. ؟

- سوف يسرنى أن أزوره ، ولكنى لم أشأ أن أتركك .. ؟

- أى صديقى المسكين .. اذهب مع سير ويليام انه رجل ظريف ، أليس كذلك ؟

أسرعت أقول فى حماس : - جدا .

وابتسم بوارو ثم قال : - نعم .. كنت أعرف أنه سيروق لك ...

وسرتنى النزهة كل السرور ، ولم يكن الجو جميلا فحسب ، فقد كان اليوم من أجمل أيام الصيف ، وطابت لى صحبة بويد كارنجتون ، فقد كان يملك تلك المغنطيسية الشخصية التى ترتاح اليها القلوب ، وكان محدثا لبقا وقد روى لى الكثير من الفكاهات عن الوقت الذى قضاه مديرا فى الهند وأطلعنى على تفاصيل عجيبة عن عادات بعض قبائل أفريقيا الشرقية وأيقظ فى نفسى اهتماما كبيرا بحيث أننى كدت أنسى ما أعانيه من قلق بسبب جوديث وبسبب تصريحات بوارو .

وكذلك أعجبتنى الطريقة التى حدثنى بها عن صديقى فقال أنه يحترمه كثيرا ويقدر مهنته ، وعلى الرغم من صحة بوارو المعتلة فأنه لم يرث له من هذه الناحية وقال ان بوارو وقد لقى نجاحا كبيرا فى الحياة وأن هذا النجاح هى المكافأة التى يستحقها وأنه لابد أن يجد فى ذكرياته ارتياحا وفخرا ، وأردف يقول :

- وانى على استعداد لأن أراهن بأن عقله سليم كما كان دائما .

قلت : - أستطيع أن أؤكد لك أنه كذلك .

- انه لخطأ كبير ان نعتقد أن رجلا ضعيفا جسديا يمكن أن يكون ضعيفا عقليا فى نفس الوقت ، فهذا ليس صحيحا ، ان الشيخوخة لا تؤثر على العقل كما يظن المرء عامة . ومهما كانت الأمور فاننى لن أجازف أبدا بارتكاب جريمة قتل تحت انف هركيول بوارو .. حتى ولو كان ذلك اليوم !

أجبت وعلى شفتى ابتسامة : - انك على حق ، لأنه سيكشف أمرك على الفور .

- لست أشك فى هذا . ثم أننى لا أصلح أبدا لكى أكون مجرما ، فأننى سأعجز عن تدبير أية خطة وسأفتقر الى الصبر والدقة وهما شيئان لابد لكل قاتل منهما ، واذا اقترفت جريمة قتل فلن يكون ذلك عمدا وانما سأرتكبها بدافع لحظتها .

- وبذلك يتعذر الاهتداء اليك .

- لا أظن ذلك . من المحتمل أنى سأترك ورائى قرائن كثيرة تشير الى . وأحمد الله على أننى لا أميل الى الجريمة . ان الشخص الوحيد الذى قد أقتله هو المهدد المبتز لنقود الغير ، فأننى أبغض هذا النوع من الرجال وأحبذ التخلص منه بدون رحمة . فما رأيك .. ؟

- واعترفت بأننى أشاركه وجهة نظره .

وبدأ يتفقد سير العمل عندما أسرع مهندس شاب للقائنا .

كان قصر كناتون يرجع عهده الى عهد آل تيودور وظل كما هو منذ سنة ١٨٤٠ ولم تمتد اليه يد الترميم أو الاصلاح فيما عدا جناح أضيف اليه بعد ذلك ببضع سنين .

وقال لى زميلى ان عمه كان أشبه بالنساك . لم يكن يحب الاختلاط بالناس ولم يستخدم غير ركن واحد من أركان القصر الكبير وأنه قضى عمره أعزب لم يتزوج ولم ينفق أكثر من عشر دخله بحيث أنه بعد تسديد ضرائب التركة وجد بويد كارنجتون نفسه على رأس ثروة طائلة .

وأردف يقول وهو يتنهد : - كان رجلا وحيدا حقا .

ولزمت الصمت لأننى كنت وحيدا أنا الآخر ، فمنذ أن ماتت زوجتى العزيزة ويخيل لى أننى لم أعد أكثر من نصف مخلوق بشرى . وبعد لحظة حاولت فى شئ من التردد أن أشرح شعورى فقال بويد كارنجتون فى بطء :

- اننى أفهمك يا هاستنجز .. ولكنك حصلت على شئ لم أعرفه أنا .

وأمسك ثم أطلعنى على موجز عن المأساة التى عاشها فقد كانت زوجته امرأة رائعة مات كل أفراد أسرتها تقريبا بسبب أدمانهم للخمر وانتهت هى نفسها بأن وقعت ضحية لنفس الوباء ، فبعد أقل من سنة من زواجهما عادت الى هذه الرذيلة وماتت بسبب ظمئها الى ذلك الشراب ، ولم يلمها أو يحقد عليها لأنه أدرك أن قانون الوراثة كان أقوى من أن تقاومه . وبعد أن ماتت بدأ يعيش وحيدا وكئيبا وعقد العزم على

أن لا يتزوج ثانية وأردف يقول :

- ان المرء يشعر بالأمان أكثر عندما يكون وحيدا .

تمتمت أقول بعد لحظة : - أجل .. أننى أفهم سبب شعورك هذا .. فى البداية على الأقل .

- أرأيت .. ؟ على الرغم من الظواهر فقد وسمتنى هذه المأساة كثيرا وشيبتنى قبل الأوان .

وسكت لحظة ثم قال : - صحيح أننى وقعت مرة .. تحت اغراء كبير .. ولكن الفتاة كانت صغيرة ولم يكن من اللائق أن أربط حياتها برجل بغيض مثلى .. كنت كبيرا فى السن بالنسبة لها .. فلم تكن الا طفلة جميلة .. وطاهرة ..

وأمسك من جديد وهز رأسه ، فسألته : - أما كان يجب أن تترك لها أن تقرر ذلك هى نفسها ؟

- لا أدرى يا هاستنجز . خطر لى أنه لا يجب ذلك . ولكننى أعتقد أنها كانت تميل الى ، غير أنها كانت صغيرة كما قلت لك وخيل لى أننى سأظل أراها دائما كما رأيتها وقتئذ ..

وأمسك مرة أخرى ، وأيقظت كلماته فى نفسى صورة مألوفة لدى فى غموض ، ولا أدرى لماذا . ثم قسا صوته فجأة وانتزعنى من أفكارى اذ قال :

- اننى أدرك الآن اننى تصرفت كالأحمق ، فان من الحماقة حقا أن تترك كل الفرص تفلت منك ، ومهما يكن فهأنذا الآن فى ذلك القصر الكبير الرحب لا أجد امرأة تؤنس وحدتى .

سألته : - وماذا حدث لهذه الفتاة ؟

- أوه .. تزوجت طبعا . وقد قدر على أن أعيش أعزب .. على أننى اعتدت هذه الحياة على كل حال .. ولكن تعال وشاهد هذه الحديقة .. أنها جميلة جدا على الرغم

من أن يد الاهمال قد امتدت اليها .

وأخذنا نطوف بالبيت . وكان جميلا بدون أي جدال ، ولم أستغرب أن يكون صاحبه فخورا به . ومن ناحية كان بويد كارنجتون يعرف كل الجيران ، وقد عرف الكولونيل لوتريل منذ سنوات كثيرة وتمنى أن يوفق فى ستايلز واستطرد يقول :

– ان تومى لوتريل المسكين يعيش فى ضنك شديد كما تعرف . انه رجل شهم وجندى طيب ، وبارع فى اصابة الهدف ، وقد اشترك مرة فى رحلة صيد فى أفريقيا وأحمد الله على أنه لم يأت بزوجته معه ومع ذلك فقد كانت امرأة جميلة جدا فى ذلك الوقت ولكنها كانت شرسة دائما ومن العجيب أن نرى أن لوتريل ، وهو الذى كانت مجرد نظرة واحدة منه كفيلة باضطراب أشجع الجنود يضطرب بدوره أمام زوجته . ان لهذه المرأة لسان أفعى ولكن يجب أن نعترف بأنها قديرة جدا وأنها هى وحدها التى تستطيع أن توفق فى استثمار قصر ستايلز ، أما زوجها فهو غير موهوب لمثل هذا العمل .

قلت : – ان تصرفها يثير الحنق دائما .. فيخيل اليك أنها تريد أن تنقض عليك .

بدا الطرب على بويد كارنجتون وقال : – هذا صحيح ان الظواهر خداعة دائما ، ولكن هل اتفق انك لعبت معها البريدج ؟ .

قلت مبتسما : – آه .. نعم .

– اننى اتخذت لنفسى قاعدة وهى أننى أحرص على أن لا ألعب البريدج مع أية امرأة ، وليتك تفعل مثلى .

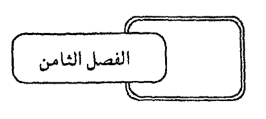
اعترفت له أننى أحسست أنا ونورتون بعدم الارتياح يوم قدومى لأول مرة ونحن نلعب البريدج مع آل لوتريل وقال :

– ان نورتون هذا شاب كريم ولكنه كئيب بعض الشئ .. يقضى حياته فى مراقبة العصافير ولكنه لم يقتل منها عصفورا واحدا أبدا ، وأنا شخصيا لا أستطيع أن أفهم

كيف يجد الانسان سروره وهو يضرب فى الغابات لمشاهدة العصافير من خلال منظار مكبر .

وما كنا ندرى فى تلك اللحظة أن عادة نورتون ستلعب دورا هاما فى الأحداث التالية .

***



الفصل الثامن

- ١ -

ومضت الأيام وانا أنتظر . وجعلنى الانتظار فى حالة قصوى من الانفعال ولم يكن قد وقع شئ بعد . ومع ذلك فقد وقعت أحداث صغيرة وملاحظات عن مختلف أضياف ستاسلز ومقتطفات من أحاديث مختلفة لو أننى أستطعت أن أجمع بينها كما يجب لأوضحت لى الكثير .

وكان بوارو هو الذى أطلعنى ، كما هى عادته على شئ أفلت منى تماما فقد شكوت للمرة المائة من اصراره ورفضه العجيبين فى اطلاعى على السر وقلت له أن ذلك غير لائق منه خاصة وأننا كنا نتبادل قبل ذلك ما لدينا من معلومات حتى ولو كنت من الغباء بحيث لا أستنتج مما لدى من معلومات النتيجة الحتمية التى تظهر للعيان .

وهز يده فى فروغ صبر وقال : - حسنا يا صديقى أعترف أن تصرفى هذا غير لائق منى ، فانك تحاول أن تعرف من هو " س " ولكنى لم أطلب منك الحضور الى ستايلز لهذا الغرض . وليس من الضرورى أن تهتم أنت بهذه النقطة ما دمت أنا أعرف الرد عليها ، ولكن الأمر الذى أجهله والذى لابد لى من معرفته هو اسم الضحية المقبلة ، ولا حاجة بك الى حل الألغاز والتخمين لأن غرضنا هو أن نحول دون موت انسان اذا كان هذا فى استطاعتنا .

واستولى على الجزع شيئا ما عندئذ وقلت فى بطء سبق أن قلت لى كل ذلك طبعا ولكننى لم أفهم حقا ..

- حان الوقت لكى تفهم اذن .قل لى يا هاستنجز من تظن يكون الضحية المقبلة .

نظرت اليه مشدوها : - ليست لدى اية فكرة .

- كان يجب أن تكون لديك فكرة ، فأنا لم استدعك الا لهذا الغرض .

تذكرت انطباعاتى فى هذه الناحية فقلت : - لاريب أن هناك صلة بين الضحية وبين " س " . واذا ما قلت لى من هو " س " .

هز بوارو رأسه فى قوة وقال : - ولكنك لست غبيا كما تريد أن تبدو يا هاستنجز انك درست القضايا الخمس التى عرضتها عليك .. وصحيح انك لا تعرف من هو "س " ولكنك تعرف طريقته التى يتبعها فى ارتكاب جرائمه .. وسوف يتبعها ثانية .

- أوه .. اننى أفهم .

- انك تفهم طبعا . ولكن يغيظنى منك انك تستسلم لكسل عقلك ، فأنت تحب أن تخمن دائما ولا تشغل ذهنك .. ما هى النقطة الرئيسية فى طريقة س ؟ .. أليست فى أن الجريمة تكون دائما كاملة بعد ارتكابها ؟ أى أن فيها الدافع والفرصة والوسيلة والأهم من ذلك كله ان فيها مجرما على استعداد لأن يتهم نفسه وان يدان .

ادركت غبائى وقلت بعد لحظة : - نعم - يجب اذن أن أبحث عن شخص تنطبق عليه كل هذه الشروط .. الضحية المقدرة .

اضطجع بوارو فى مقعده الى الخلف وقال وهو يتنهد - أخيرا .. انك فهمت مهمتك الآن .. أنك رجل نشيط يمكنك أن تتحرك وأن تتبع الناس وأن تشترك معهم فى الحديث وان تتجسس عليهم خفية .

هممت بأن احتج ، ولكننى أمسكت واستطرد هو يقول : - ويمكنك الاستماع الى احاديثهم فان ركبتيك مازالتا لينتين وتستطيع أن تنحنى لكى تنظر من ثقب الباب .

قلت فى عزم : - لن انظر من ثقب الباب .

أطبق بوارو عينيه وقال : - حسن جدا .. لن تنظر من ثقب الباب وستبقى الجنتلمان الانجليزى الكامل وسيلقى بعض الناس مصرعهم قتلا ، ولكن هذه النقطة

الأخيرة لا أهمية لها طبعا فان الشئ الذى له المكانة الأولى عند الرجل الانجليزى هو الشرف ، وشرفك له قيمة أكثر طبعا من حياة انسان .. حسن جدا .. هذا مفهوم .

- ولكن بوارو ..

قال صديقى فى لهجة باردة : - انصرف وارسل لى كورتيس .. انك عنيد ، ثم انك غبى وهذا أخطر شئ .. وددت لو أن أجد شخصا أستطيع الركون اليه .. ولكن أظن أنه لابد لى من أن أقنع بك وأن أنحنى لصدقك واخلاصك .. وحيث انك لا تستطيع استخدام خلايا مخك فاستخدم على الأقل عينيك واذنيك وأنفك اذا كان لابد من ذلك ، بقدر ما تسمح به مبادئك عن الشرف طبعا .

***

- ٢ -

وكان أن غامرت فى اليوم التالى وعرضت على بوارو نظرية خطرت ببالى أكثر من مرة.. وقد توخيت الحذر فى سبيل ذلك لأننى لم أكن أدرى كيف سيتلقاها ، وبدأت أقول :

- اننى فكرت كثيرا وأعرف طبعا اننى لست شخصا فريدا ، وقد قلت لى ذلك أكثر من مرة ، وهذا صحيح من ناحية فأنا لم أعد غير نصف الرجل الذى كنته فيما مضى فمنذ ان ماتت زوجتى ..

وأمسكت .. وأعرب بوارو عن عطفه مزمجرا فاستطردت : - ولكن أظن أن الرجل الذى يلزمك حقا موجود هنا ، أنه رجل ذكى واسع الخيال والحيلة فى نفس الوقت وقد اعتاد على اتخاذ القرارات وله خبرة كبيرة وأعنى به بويد كارلجتون .. أن فى مقدورك أن تعتمد عليه يا بوارو وأن تطلعه على الأمر .

تأملنى بوارو لحظة ثم قال : - كلا بالطبع .

- لماذا .. لا يمكن ان تنكر أنه رجل ذكى .. أنه أذكى منى بكثير على كل حال .

- اطرح هذه الفكرة من ذهنك يا هاستنجز .. لن تطلع أحدا على هذا السر وليكن هذا مفهوما جيدا .. اننى أمنعك منعا باتا من الكلام فى هذه القضية مع أى أحد .

- حسنا . كما تشاء . ولكننى كنت أعتقد أن بويد كارنجتون ..

- كلام فارغ .. اننى اتساءل ما الذى يثير اهتمامك فى بويد كارنجتون هكذا .. ولكن من هو قبل كل شئ .. انه شاب مغرور معجب بنفسه لأنهم كانوا يفخمونه عندما كان مديرا فى الهند .. وأنا معك فى أنه ذكى جدا وجذاب ، ولكننى أؤكد لك أنه لا يتمتع بما يميزه عن غيره .. أنه يكرر نفسه ، ويروى نفس النكتة مرتين ثم أنه ضعيف الذاكرة ينسب لنفسه أية قصة تكون قد رويتها له قبل ذلك ببضعة أيام .. رجل فريد ؟ .. هو ؟ .. ما هو الا مدع مغرور ومتذبذب .

وصحيح ان بويد كارنجتون كان ضعيف الذاكرة ، وأتذكر الآن أنه أتى بحماقة كدرت بوارو جدا فقد روى له هذا الأخير نادرة وقعت له حين كان يعمل فى البوليس البلجيكى واذا ببويد كارنجتون يرددها على مسامعنا ونحن مجتمعون فى الحديقة بعد ذلك بيومين وينسبها الى صديق له يعمل فى البوليس الفرنسى ..

ولم يسعنى الا أن أسكت ثم استأذنت منه فى الانصراف بعد قليل .

* * *

- ٣ -

ومضيت الى الحديقة .. ولم يكن بها أحد .. واجتزت المرجة وغابة الأشجار ثم ارتقيت ربوة صغيرة أقيم فوقها مستنبت زجاجى للزهور ، وجلست فوق مقعد مستطيل وأشعلت غليونى وغرقت فى التفكير .

من الموجودين فى ستايلز يمكن ان يكون لديه دافع لقتل أى شخص ؟ .. لم أر أحدا حقا وغاظنى اننى لم أكن أملك ما يكفى من معلومات عن الأشخاص المقيمين معى .

ولكن ما هى الدوافع الرئيسية للقتل ؟ .. المال والغيرة والانتقام .

كان بويد كارنجتون الثرى الوحيد بيننا واذا ما اختفى فمن الذى يرثه ؟ .. أيكون واحدا من المقيمين فى ستايلز حاليا ؟ .. بدأ لى ذلك قليل الاحتمال ولكنها كانت نقطة لابد لى من أن أجلوها على كل حال فلعله أوصى بثروته للأبحاث العلمية واشترط أن يشرف فرانكلين على هذه الأبحاث .. واذا أضفنا الى هذا الاحتمال الملاحظة التى أبداها الدكتور بأنه يجب أستبعاد ٩٠٪ من الجنس البشرى لكى يعيش الباقون عيشة راضية فان ذلك يضع بويد كارنجتون فى موقف شديد الخطر .

ويجوز أن يكون نورتون أو مس كول من أقاربه البعيدين الذين يحق لهم أن يرثوه وهذا أمر بعيد الاحتمال جدا ولكن من يدرى .

والكولونيل لوتريل ؟ .. أنه صديق قديم لبويد كارنجتون ومن المحتمل أن يكون مذكورا فى الوصية طبعا .

ورحت أواجه بعد ذلك شتى الاحتمالات ، وكانت كلها لا تعدو الخيال .. كانت مسز فرانكلين مريضة ولكن مم تشكو بالذات ؟ .. ألا يجوز أن زوجها يدس لها السم بكمية قليلة لكى تموت فى بطء ؟ .. أن من السهل عليه أن يرتكب مثل هذه الجريمة لأنه طبيب . ولكن ما الدافع اليها ؟ وتملكنى القلق فجأة حين خطر لى أن جوديث قد يكون لها يد فى ذلك .. وكان لدى من الأسباب ما يحملنى على الاعتقاد بأن علاقتها بالدكتور علاقة عملية بحتة .. ولكن هل يقتنع الرأى العام بذلك ؟ .. ألا يمكن أن يأتى شرطى غبى فيثير الشبهات والظنون .. كانت جوديث فتاة جميلة بلا جدال ، وقد حدث أن تسببت فتيات جميلات فى كثير من الجرائم وان كان ذلك بطريقة غير مباشرة.. وافزعتنى هذه الفكرة كثيرا .

ثم تأملت بعد ذلك حالة اللرتون .. هل يمكن أن يكون هناك من يريد أن يقتله ؟.. اذا كان هناك قاتل حقا كما يؤكد بوارو فاننى أفضل أن يكون اللرتون هو الضحية بدلا

من أى شخص آخر ، فلا بد من أن نجد أسبابا كثيرة تحدو الى قتله ، ومس كول وهى وأن لم تكن فى مقتبل العمر الا أنها ما زالت جميلة ويمكن أن تدفعها الغيرة الى قتل اللرتون لو أنها كانت صديقة له فى وقت من الأوقات .. ولكن لم يكن هناك ما يحملنى على أن أعتقد ذلك .. ومن ناحية أخرى ربما كان اللرتون هو " س " الغامض .

هززت رأسى وأنا فى شدة الانفعال ، فان أفكارى هذه لم تؤد بى الى أى شئ ، ولم ألبث أن سمعت صوت خطوات فوق الحصى .. فكان فرانكلين يمضى فى خطوات سريعة الى البيت وهو مطرق برأسه ويداه فى جيبه .. وكان يبدو حزينا مكدودا وتعيسا فى نفس الوقت .

وكنت مشغولا جدا بمتابعته بعينى بحيث أجفلت عندما ظهرت مس كول فجأة على بعد خطوتين وقلت أبرر دهشتى :

- لم أسمعك وأنت قادمة .

ألقت نظرة الى مستنبت الزهور وقالت : - أثر من آثار العهد الفيكتورى .

- وتعشش فيه خيوط العنكبوت .. سأنفض هذا المقعد لكى تجلسى اذا أردت .

وقلت لنفسى أن هذه فرصة طيبة لكى أزداد معرفة بأحد المقيمين بقصر ستايلز ، ورحت أنفض المقعد وأنا أفحصها خلسة .. كانت بين الخامسة والثلاثين والأربعين ذات وجه نحيل حلو القسمات وعينين جميلتين جدا .. كان يبدو عليها أنها متحفظة ومستعدة للدفاع عن نفسها تدل هيئتها على أنها تألمت كثيرا فى الحياة وأنها أصبحت تتحدى الدنيا بأسرها .

وقلت وأنا أنفض المقعد بمنديلى للمرة الأخيرة : - أظن اننى لا أستطيع أن أفعل غير ذلك .

- أشكرك .

وابتسمت لى ثم جلست .. وجلست بجوارها .. وقرقع المقعد بصورة مخيفة ولكن

الكارثة التى خشيتها لم تقع .. وقالت مس كول :

- قل لى .. فيم تفكر ؟ .. كان يبدو أنك غارق فى تفكير عميق .

أجبت فى بطء : - كنت أراقب الدكتور فرانكلين .

- آه .. حقا ؟

ولم أر أى سبب لكى أخفى عنها نتيجة مراقبتى له فأردفت : - بدا لى أنه تعيس جدا .

قالت زميلتى فى هدوء : - ولكنه كذلك .. ألم تلحظ ذلك من قبل ؟

قلت فى شئ من الدهشة : لعمرى .. كلا .. كنت أظن حتى هذه اللحظة أنه لا يهتم بشئ فيما عدا أبحاثه .

- وهذه هى الحقيقة .

- أترين أنه تعيس لهذا السبب ؟ كنت أظن أن رجلا مثله يجب أن يكون سعيدا بأبحاثه .

- لا أعارضك فى ذلك .. ولكن على شرط أن لا يزعجه شئ فى أبحاثه وأن يستطيع أن يبذل كل ما فى مقدوره .

نظرت اليها حائرا فاستطردت : - لقد عرضوا على الدكتور فرانكلين في الخريف الماضى أن يمضى ويزاول أبحاثه فى أفريقيا ، وهو كما تعرف رجل قدير وقد سبق أن قام بأبحاث فى مجال الطب فى المناطق الاستوائية .

- ولكن لماذا لم يذهب ؟

- اعترضت زوجته على ذلك .. شعرت بأنها لن تحتمل الجو هناك وكرهت البقاء وحدها فى انجلترا .. ثم أنه كان يتعين عليها أن تضغط مصروفاتها لأن راتب زوجها المعروض عليه لم يكن كبيرا .

- وأظن أنه رأى أنه لا يستطيع الذهاب وحده بسبب صحة زوجته ؟

- هل تعرف حقيقة مرضها يا كابتن هاستنجز ؟

- كلا .. ولكنها مريضة حقا .. أليس كذلك ؟

- يروق لها أن تبدو كذلك .

كانت لهجتها جافة .. وكانت عواطفها كلها مع الزوج .وقلت في شئ من التردد :

- أظن أن المرأة الضعيفة الصحة تميل دائما الى ان تكون أنانية .

- طبعا .. ان المرأة الضعيفة الصحة حقا تبدى شيئا من الأنانية ، ومن الصعب حقا أن نلومها .

- اذن فأنت تعتقدين أن حالة مسز فرانكلين ليست خطيرة ؟

- أوه .. لا أريد أن أقطع برأى فى هذا الصدد ولكن يبدو أنها تفعل حقا ما تريد فى كل الظروف .

- أظن أنك تعرفين الدكتور فرانكلين وزوجته معرفة وثيقة ؟

- أوه ، كلا .. لم أكن قد ألتقيت بهما قبل أن آتى هنا الا مرة أو مرتين .

وما عرفته منهما عرفته عن طريق ابنتك .

ورأيت فى شئ من المرارة أن جوديث تفضى بأسرارها الى الغرباء بأسهل مما تفعل مع أبيها .. واستطردت مس كول تقول :

- انها أمينة جدا مع مخدومها وتستنكر أنانية مسز فرانكلين كل الاستنكار .

- وهل تعتقدين أنت أيضا أنها أنانية ؟

- نعم .. ولكننى أفهم وجهة نظرها .. اننى أفهم المرضى بطريقة عامة وأدرك أن يرضخ الدكتور لرغبات زوجته ولكن جوديث ترى أنه يجب أن يزاول أبحاثه بهدوء من غير أن يهتم بنزواتها كل هذا الاهتمام . ان ابنتك عالمة كلها حماس .

أجبت فى شئ من الألم : - أعرف ذلك .. وهذا يتسبب لى بعض المشاكل أحيانا فكل هذا يبدو غير طبيعى ، ولعلنى لا أحسن التعبير عما أريد أن أقول ولكن يبدو

لى أنها يجب أن تكون أكثر آدمية .. وأن تمرح .. وأن تغازل بعض الفتيان .. ومهما يكن فان للشباب أن يلهو ويمرح لا أن ينحنى فوق المختبرات .. كلا .. ليس هذا طبيعيا .. اننا كنا نلهو ونتغزل ونحن شباب .. وأنت تعرفين ذلك طبعا .

وسادت فترة صمت قطعته مس كول أخيرا فقالت فى صوت فاتر عجيب :

- كلا .. لا أظن ذلك .

أحسست بالارتباك ، فقد تكلمت على غير وعى فهى كما لو كنا فى نفس السن ولم ألبث أن أدركت انها تصغرنى بخمسة عشر عاما وهكذا أقدمت دون أن أدرى على عمل بعيد عن اللباقة .. وحاولت أن أصلح غلطتى ولكنها قالت :

- لا تعتذر ، فاننى عنيت ما قلت بالضبط وهو أننى لا أظن اننى أعرف .. فأنا لم أكن شابة أبدا ولم أعرف ما هو اللهو أو المرح .

وأحسست بارتباكى يزداد ازاء المرارة التى شابت لهجتها وقلت : - أغفرى لى .

ابسمت إبتسامة باهتة وقالت :- أوه .. لا بأس ..خل عنك ولنتكلم فى شئ آخر .

وأسرعت بتغيير مجرى الحديث فقلت : - هل تعرفين الأشخاص الآخرين الذين يقيمون هنا ؟

- اننى أعرف آل لوتريل منذ طفولتى وأنه لما يحز فى نفسى أن اراهما مضطرين الى هذا العمل ، وانني أرثى للكولونل بالذات لأنه رجل كريم .. أما هى فهى رقيقة جدا على غير ما يعتقد الجميع ، واذا كانت تبدو بخيلة فذلك لأنها اضطرت أن تعيش على الكفاف طوال حياتها ، والشئ الوحيد الذى يغيظنى فيها هو خوفها المفرط من أن تعود الى ما كانت عليه من فقر .

- حدثينى عن مستر نورتون .

- ليس لدى الكثير عنه .. أنه رجل ظريف جدا وخجول .. ولعله ليس ذكيا جدا ، ومن ناحية أخرى كان دائما ضعيف الصحة .. كان يعيش مع أمه ، وهى امرأة غبية

سوداوية الطبع كانت تستبد فى معاملتها له .. وقد ماتت منذ بضع سنوات .. وهو يعشق الطيور والزهور وأشياء اخرى من نفس النوع .أنه طيب جدا ويرى أمورا كثيرة .

- من خلال منظاره المكبر ؟

ابتسمت مس كول وقالت : - لم أكن أعنى المعنى الحرفى لهذه العبارة .. انما أردت أن أقول أنه يرى الأمور كما يراها الأشخاص الهادئون المتزنون .. أنه كريم ويعرف كيف يكون ودودا ومجاملا ولكنه ضعيف الارادة متذبذب ، ولا أدرى هل تدرك ما أريد أن أقول قلت : - نعم .. أظن ذلك .

قالت اليزابث كول : - وهذا ما يضايق فى مثل هذه الأماكن .

وكان صوتها يفيض بالمرارة من جديد ، واستطردت تقول : - أن البسيونات التى يديرها اناس مفلسون تقريبا من أفاضل المجتمع مملوءة دائما بالفاشلين الذين قهرتهم الحياة ولم يوفقوا فى أى شئ وتملكهم اليأس والاعياء .

وسكتت . وغمرنى الحزن فهى لم تبعد عن الحقيقة لأننا كنا جميعا مجموعة من الناس رءوسنا وخطها المشيب وقلوبنا كئيبة حزينة ، وأنا نفسى كنت وحيدا أثير الاشمئزاز والتقزز ، والمرأة الجالسة بجوارى فى ذلك الوقت كانت هى الأخرى مخلوقة تفيض بالمرارة والحسرات ، أما الدكتور فرانكلين فقد تعرقلت مشاريعه ومرضت زوجته، ونورتون الهادئ الرزين كان يمشى وهو يعرج ويراقب العصافير من خلال منظاره المكبر وبوارو الذى كان فيما سبق متألقا لامعا أصبح الآن شيخا عاجزا عن الحركة .

كان كل شئ مختلفا جدا عندما أتيت الى ستايلز لأول مرة .

وتنهدت فى حسرة وأنا أتذكر ذلك .

وأسرعت زميلتى تسألنى : - ما الخبر ؟

- لا شئ .. اننى أقمت هنا وأنا شاب وكنت أفكر فى التناقض بين الأيام الماضية والوقت الحاضر .

- اننى أفهم .. أظن أن الناس كانوا سعداء فى ذلك الوقت .

ومن الغريب اننا نلاحظ أحيانا أن الذكريات القديمة تبدو كأنها تتعقد وتتشابك كتلك المناظر التى نراها فى الصندوق السحرى .. هكذا بدت أمام مخيلتى عندئذ فى تشابك عجيب للأحداث .. ثم راحت قطع الفسيفساء تستعيد وضعها الحقيقى .

وأدركت أن الندم الذى يغمرنى انما أشعر به فى الواقع عن الماضى لحب الماضى بالذات وليس للأحداث ذلتها .. لأن السعادة الحقيقية لم يكن لها وجود فى ستايلز ، وتذكرت الوقائع الحقيقية بدون أي تحيز .. كان صديقى جون وزوجته تعيسين أغضبتهما حياتهما الفاشلة وخيبة آمالهما . وكان لورنس غارقا فى حزنه الأبدى ، وكانت سنتيا حزينة لوضعها غير الطبيعى اذ كانت تعيش عالة على صاحبة القصر ، وتزوج انجلثورب بامرأة تكبره سنا طمعا فى ثروتها . لم يكن أى منهم سعيدا ابدا ، وقد تجدد الوضع الآن وثبت أن قصر ستايلز مكان يطبق عليه النحس .

وقلت : - أظن اننى تركت نفسى أنساب خلف عاطفة كاذبة .. الواقع أن أحدا لم يكن سعيدا هنا .. وأظن أن ما من أحد سعيد الآن .

- ولكن ابنتك ..

- ان جوديث ليست سعيدة هى الأخرى .

وكنت قد نطقت بكلماتى هذه وأنا مقتنع تماما بأننى غير مخطئ .. كلا .. لم تكن جوديث سعيدة .. وقلت فى شئ من التردد :

- قال بويد كارنجتون بالأمس أنه رجل وحيد ، ومع ذلك فقد بدا لى أنه شديد الاغتباط باقامته فى هذا البيت وبمن فيه .

- ان سير ويليام يختلف عن الاخرين انه لا ينتمى الى جماعتنا فهو قدم من الخارج حيث يعرفون الحرية والنجاح . وقد أفلح فى حياته وهو يعرف ذلك .. انه ليس عاجزا مثلنا .

وكانت قد اختارت عباراتها بعناية كبيرة فتحولت اليها وقلت فى حيرة : - لماذا استخدمت هذه العبارة ؟

أجابت : - لأنها تعبر عمّا أريد ، فيما يتعلق بى أنا على كل حال فانا امرأة عاجزة .

- هل ينبغى ان أفهم انك كنت غير سعيد انت أيضا ؟

سألتنى فى هدوء : - انك تعرف من انا .. أليس كذلك ؟

- يا الهى ... اننى أعرف اسمك .

- كول ليس اسمى .. أعنى .. أنه اسم أمى وقد اتخذته بعد أن ..

- بعد ماذا ؟

- ليتشفيلد هو اسمى فى الواقع .

لم أفهم فى بداية الأمر .. كل ما هناك ان الاسم بدا لى مألوفا بعض الشئ ولكننى لم ألبث أن تذكرت فتمتمت :

- ماتيو ليتشفيلد .

أومأت برأسها بالايجاب وقالت : - ارى انك على علم بالأمر . هل تفهم الآن معنى العبارة التى نطقت بها ؟ كان ابى مريضا وطاغية . وكان يحرمنا من كل ملذات الحياة فمنعنا من الخروج ومن لقاء صديقاتنا فى البيت وحرمنا من النقود على الرغم من انه كان ثريا وأمسكت ورفعت عينيها الداكنتين الى وقالت :

- وعندئذ .. اختى .. اختى ..

ولكنها لم تستطع ان تنطق بالمزيد فقلت :

- ارجوك .. كفى ان هذا الحديث يشق عليك وانا أعرف القضية فلا داعى لاستعادة هذه الذكريات المؤلمة .

- ولكن لا يمكن ان تكون عرفت كل شئ ... ان ماجى ... هذا عجيب ... لا

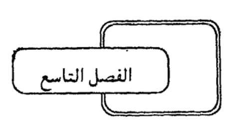
يمكن تصديقه ... انها ذهبت وسلمت نفسها للبوليس واعترفت ، ولكننى حتى الان لا أستطيع أن أصدق .. يخيل لى أن ذلك غير حقيقى وان الأمور لا يمكن أن تكون جرت كما قالت .

- هل تعنين أن الحقائق تكذب اعترافها ؟

- كلا . ولكن ماجى لم .. لم يكن هذا من شيمتها ... لم تكن هى بالضرورة .

وجاءت بعض الكلمات على شفتى ولكننى لم أنطق بها . فلم تحن الساعة بعد لكى أقول لاليزبث كولى انك على صواب ، فلم تكن ماجى .

***



الفصل التاسع

كانت الساعة قد بلغت السادسة تقريبا عندما رأيت لوتريل يمشى فى الممر وفى يده بندقيته ويمامتان كان قد قتلهما . وأجفل حين ناديته وبدت عليه امارات الدهشة وهو يرانا جالسين فى مكاننا وقال :

- ماذا تفعلان هنا ؟ ... ان هذا المبنى قديم ويوشك على الانهيار .. ثم ان ثيابك ستتسخ يا اليزابث .

أجابته المرأة الشابة : - كلا . لقد كان الكابتن هاستنجز ظريفا وضحى بمنديله .

تمتم الكولونل قائلا : - حقا ؟ ... لا بأس اذن .

ونهضنا ودنونا منه . كان يبدو شاردا كما لو كان هناك ما يشغله . وقال :

- اننى ذهبت وقتلت هاتين اليمامتين ... لقد ألحقتا بنا أكبر الضرر .

قلت : - سمعت أنك تجيد اصابة الهدف .

- من قال لك هذا ؟ ... بويد كارنجتون طبعا ... كنت كذلك فيما سبق . أما الآن فلا - فقد تقدمت فى السن . قلت : - لاريب أن نظرك اصبح ضعيفا ؟

- أبدا ... ان نظرى سليم كما هو ... صحيح اننى ألبس نظارة لكى أقرأ ، ولكن بصرى سليم على المدى البعيد .

وسكت بضع لحظات ثم قال : - نعم ... سليم ... ولكن ليس لهذا أية أهمية . وانتهت عبارته بتمتمة غير واضحة . وقالت مس كول وهى تردد البصر حولها :

- ما أجملها ليلة .

***

هبطت الشمس الى الغرب فى بطء واضطرام ذهبى وأرجوانى أبرز الخضرة الداكنة لأوراق الشجر . وكانت ليلة جميلة من تلك الليالى الهادئة الساكنة التى يحلو للمرء أن يتذكرها عندما يجد نفسه منفيا فى منطقة استوائية بعيدة . وحاولت بطريقة خرقاء التعبير عما يجيش فى صدرى . ووافقنى الكولونل وقال فى قوة :

- نعم . طالما فكرت فى ليال كهذه وأنا فى الهند وكنت أصبو عندئذ الى ان اعتزل الخدمة لكى أستطيع الاستقرار .

هززت رأسى واستطرد هو يقول : - نعم .. لكى أستقر ... وأعود الى الوطن ... لكن عندما يحين الوقت لذلك نجد ان كل شئ قد تغير .

وقلت فى نفسى ان هذا صحيح وانه ما كان ليخطر على باله انه سيأتى عليه يوم يدبر فيه بنسيونه وترافقه امرأة شكسة تنغص عليه حياته ولا تفتأ تزجره وتعنفه .

وعدنا الى البيت فى بطء وهناك وجدنا نورتون وبويد كارنجتون جالسين فى الشرفة وانضممت أنا والكولونل اليهما فى حين مضت مس كول الى الداخل .

وأخذنا نتسامر بعض الوقت . وكان يبدو على لوتريل المرح والانطلاق على غير عادته وقال نورتون :

- كان الجو حارا لا يطاق اليوم .. وأكاد أموت من الظمأ .

قال الكولونل : - آه سأقدم لكم كأسا يا أصدقائى وشكرناه . ونهض ومضى الى غرفة الطعام . وكنا نجلس أمام النافذة الكبيرة فسمعناه يفتح البوفية لكى يأخذ زجاجة وبعد لحظة سمعناه يرفع عنها سدادتها وفجأة ارتفع صوت مسز لوتريل يقول فى حدة :

- ماذا تفعل يا جورج ؟

ورد عليها الكولونل همسا ولم نستطع أن نسمع منه غير هذه الكلمات "الأصدقاء.. نشرب كأسا معا " ...

وارتفع صوت زوجته من جديد وقالت محنقة غاضبة : - لن تفعل شيئا من هذا يا

جورج . هل تظن اننا نستطيع ان نتخلص من ورطتنا اذا ما رحت تقدم الشراب الى لجميع ؟ ... ان المشروبات هنا يجب أن تسدد ثمنها . اننى لا يجب أن أفعل واذا لم أهتم بكل شئ فسوف نتعرض للافلاس . يجب أن اراقبك كما لو كنت طفلا . وهذا وحده شئ يثير الضيق حقا فليس لديك ذرة من الادراك . أعطنى هذه الزجاجة قلت لك اعطنى اياها .

وجازف الكولونل فنطق بكلمات مبهمة فى صوت اجش يعترض عليها ولكنها قاطعته فى حدة قائلة :

- لست أبالى .. ستعود الزجاجة الى مكانها .

وسمعنا بعد ذلك صرير مفتاح يدور فى قفل وعادت تقول : لا فائدة .

وسمعنا صوت الكولونل فى وضوح هذه المرة وهو يقول : - انك تتمادين يا ديزى ولن أطيق هذا أبدا .

- لن تطيق هذا ؟ ... ومن أنت حتى تصدر لى الاوامر . وددت لو أن اعرف ذلك... من الذى يدير هذا البيت ؟ ... انا طبعا وانصحك ان لا تنسى ذلك .

ومرت لحظات قبل ان يعود لوتريل . وبدا كأنه شاخ فجأة ورثيت له من كل قلبى عندئذ . قال فى صوت وتكلف : - آسف ايها الاصدقاء ، ولكن يبدو انه لم يعد لدينا ويسكى .

ومع ذلك فلم يكن هناك أى شك فى انه كان يعلم اننا سمعنا الحديث الذى دار بينه وبين زوجته ، واذا كان لم يدرك ذلك فان موقفنا كان كفيلا بان يجعله يفهم لأننا كنا فى شدة الارتباك . وحتى نورتون أثبت غباءه حين اسرع وقال انه لا يريد أن يشرب شيئا حقا قبل العشاء ثم غير مجرى الحديث وابدى بعض الملاحظات التى لا رابط لها . وانا نفسى احسست بالجمود ، بل ان بويد كارنجتون ، وهو الوحيد الذى كان فى استطاعته ان ينقذ الموقف لم يجد ما يقول .

ورأيت ، من ركن عينى مسز لوتريل تهبط الى الحديقة وبيدها قفازها ومعزق . وكان واضحا انها امرأة قديرة حقا تعرف ما تريد ولكننى اعترف مع ذلك بأننى احسست بالحقد نحوها فى تلك اللحظة لاننى أعتقد أنه ليس من حق أحد ان يحقر او يهين غيره .

واستمر نورتون فى حديثه ، وكان قد التقط احدى اليمامتين من المكان الذى تركهما لوتريل فيه وراح يقول لنا كيف كانوا يسخرون منه فى المدرسة وهو غلام لأنه أحس بالغثيان اذ رآهم يذبحون أرنبا . ثم روى لنا قصة صيد فى اسكتلندا : لقى احد الصيادين مصرعه أثناءها بطلقة من بندقية أنطلقت خطأ . وتناولنا فى حديثنا بعد ذلك حوادث أخرى مختلفة وأخيرا تنحنح كارنجتون وقال :

- وقع ذات مرة حادث غريب لاحد جنودى . كان قد ذهب الى ايرلندا فى اجازة وعندما عاد وسألته اذا كان قد استمتع باجازته قال : - طبعا يا صاحب الفخامة .. لم أستمتع فى حياتى مثلما استمتعت بأجازتى هذه ... كانت أجازة موفقة قتلت فيها أخى " فصحت به " . ماذا تقول ؟ قتلت أخاك ؟ ... نعم ... يا صاحب الفخامة .. كنت اريد قتله من سنين ولكننى وفقت هذه المرة . كنت واقفا على سطح واذا بى اراه يمشى فى الطريق وكانت معى بندقيتى ورأيتها فرصة مناسبة فاطلقت رصاصة واحدة صرعته فى الحال كالأرنب .. كانت لحظة من أسعد لحظات حياتى لن أنساها أبدا ..

كان بويد كارنجتون يعرف كيف يروى قصة ورحنا نضحك عن طيب قلب وعندما انصرف قائلا أنه يريد أن يمارس قليلا من الرياضة قبل العشاء قال نورتون معبرا عن مشاعرنا جميعا :

- انه رجل مدهش .

ووافقته على ذلك وقال لوتريل بدوره : - هذا صحيح انه رجل طيب .

وعاد نورتون يقول : - وأظن انه أفلح فى كل مكان ذهب اليه . ان كل ما يقوم به

يتكلل بالنجاح . انه يعرف ما يريد ثم انه رجل نشيط .

قال لوتريل : - بعض الأشخاص هكذا .. كل مايلمسون ينجح حتى ليخيل انه لا يمكنهم ان يخطئوا أبدا .. نعم ، بعض الأشخاص محظوظون .

هز نورتون رأسه مرة أو مرتين وقال : - كلا .. ليست المسألة حظا .. ألم تسمع أن يوليوس قيصر قال لبروتوس " ان مصيرنا ليس فى النجوم يا عزيزى وانما يكمن فى داخلنا نحن " .

تنهد الكولونل وقال : - لعلك على صواب .

وقلت : - مهما يكن فهو محظوظ لأنه ورث عمه .. قصر فخم .. ولكن يجب أن يتزوج والا أحس بالوحدة في ذلك البيت الكبير .

ضحك نورتون وقال : يجب أن يتزوج وأن يستقر . ؟ وما العمل اذا أخضعته زوجته لارادتها ؟ .

كان يمكن لأى امرئ يبدى مثل هذه الملاحظة ولكنها جاءت فى غير مناسبتها نظرا للظروف ، وقد أدرك نورتون ذلك بمجرد أن أفلتت من بين شفتيه وحاول استردادها وتلعثم وأخيرا لزم الصمت فى شئ من الضيق وازدادت الحالة خطورة بعد ذلك .

وحاولت أن أنقذ الموقف فأبديت ملاحظة حمقاء عن حمرة الشمس الغاربة . وقال نورتون أنه يود لو أن يشترك فى لعب البريدج بعد العشاء .

ولكن الكولونل لم يبد أي اهتمام بحديثنا وقال فى صوت ضعيف :

- لن يقع هذا لبويد كارنجتون . انه ليس من النوع الذى يخضع لأية مرأة .. فهو رجل .

وشعرنا بالحرج وراح نورتون يتحدث عن البريدج . وفى نفس اللحظة حلقت يمامة فوقنا ثم حطت على شجرة على مسافة منا .

وأخذ الكولونل بندقيته وقال : - يمامة لعينة أخرى .

ولكن قبل أن يتمكن من التصويب طارت اليمامة الى مكان كان من الصعب اصابتها فيه . ولفت نظر كوتريل شئ يتحرك فوق المنحدر فى آخر المرجة فقال :

- يا الهى .. أظن ان هناك أرنبا يقرض احدى أشجار الثمار .. ومع ذلك فقد وضعت حولها سياجا .

ورفع بندقيته وصوبها وضغط على الزناد .

وصرخت امرأة صرخة حادة ولم تلبث أن تحولت صرختها الى أنين .

وأفلتت البندقية من بين أصابع لوتريل وتهاوى جسده وقال :

- يا الهى .. أنها ديزى ..

ولكنني كنت قد أسرعت نحو المرجة ركضا وتبعنى نورتون . وما هى الا لحظة حتى كنا نحيط بمسز كوتريل . وكانت عند اطلاق النار منحنية فوق شجرة من أشجار الثمار تحاول ربطها الى ركيزة ، وكان العشب عاليا بعض الشئ . وأدركت أن الكولونيل رأى حركة غامضة ولم يتبين ، بسبب انعكاس أشعة الشمس أنها زوجته .

وأصيبت مسز كوتريل فى كتفها . وانحنيت لكى أفحص الاصابة ثم رفعت عينى الى نورتون فإذا به يعتمد الى شجرة وقد اصفر لونه وبدا كأنه موشك على الاغماء . وتمتم :

- لا أستطيع أن أطيق رؤية الدماء .

صحت به فى لهجة جافة : - أذهب وابحث عن الدكتور فرانكلين أو عن الممرضة .

وانصرف وهو يعدو .

وكانت مس كرافن أول من أقبل الى مكان الحادث ، وبدأت فأوقفت نزيف الدم ولم يلبث أن جاء الدكتور فرانكلين بدوره . ونقلا المصابة الى البيت ثم الى غرفتها وطهر الدكتور الجرح ثم ضمده واستدعى طبيب مسز لوتريل المعالج بعد ذلك . والتقيت به فى البهو وهو يعيد السماعة مكانها فسألته :

- هل الجرح خطير ؟

- كلا .. أنه جرح سطحى ولم تصب الرصاصة أي مكان حيوى . ولكن كيف حدث هذا ؟

وذكرت له ما حدث فى ايجاز فقال : آه أين كوتريل الآن ؟ لا ريب أنه شديد الاضطراب وبحاجة الى العناية أكثر من زوجته فان قلبه ضعيف .

ووجدنا الكولونل فى غرفة التدخين . وكان شاحب اللون ترتسم على وجهه امارات الغباء وتمتم يقول :

- كيف .. كيف هى ؟

أسرع الدكتور يطمئنه فقال :

- ان الجرح ليس خطيرا .. لا تقلق .

- ظننت .. اننى أرى أرنبا . لا أدرى كيف استطعت .. ان ارتكب مثل هذه الغلطة .. لاريب أن أشعة الشمس كانت فى عينى .

قال الطبيب فى حدة :

- هذه أشياء تقع .. وقدسبق أن شاهدت حادثين أو ثلاثة من هذا النوع . اسمع . سأعطيك مقويا فانك تبدو على غير ما يرام .

- بل اننى بخير .. هل أستطيع أن أراها ؟

- ليس الآن فورا .. ان الدكتور أوليفر سيأتى ما بين لحظة وأخرى وانا واثق أنه سيقول لك نفس الشئ .

وتركت الرجلين معا . وخرجت الى الحديقة . وكانت جوديث مقبلة نحوى هى واللرتون ، وكان الرجل يميل برأسه فوق رأسها وكانا يضحكان . واذ رأيت ذلك المشهد بعد الحادث المزعج الذى تعرضت له مسز لوتريل تملكنى الحنق وناديت جوديث بلهجة جافة فرفعت عينيها مشدوهة وأقبلت نحوى . ورويت لها ما حدث فى بضع كلمات

فقالت :

– هذا غريب !

وكان هذا هو تعليلها الوحيد وخيل لى أنها لم تنزعج كما كان ينبغى أن تفعل أما اللرتون فقد بدأ أنه وجد فى هذا الحادث فرصة طيبة لأنه قال :

– ان هذه الساحرة تستحق ما حدث لها . أظن أن الرجل العجوز قد فعل ذلك عمدا ؟

صحت :– كلا طبعا .. كان هذا حادثا .

– اننى أعرف هذا النوع من الحوادث .. فهى حوادث مناسبة فى بعض الحالات لو أن الأب لوتريل فعل ذلك عمدا فاننى لشديد الاعجاب به حقا .

قلت محنقا : – ليس الأمر كما تقول .

– وانى لك ان تتأكد ؟ .. اننى عرفت رجلين قتل كل منهما زوجته . كان أحدهما ينظف مسدسه أما الآخر فأطلق النار مازحا وأكد فى دفاعه بعد ذلك أنه لم يكن يعرف ان المسدس محشو . وقد أفلت كل منهما من القصاص وتخلص كل منهما من زوجته .

قلت فى لهجة جافة :

– ان الكولونل لوتريل لا ينتمى الى هذا النوع من الرجال .

– ولكن يجب أن تعترف مع ذلك ان فى موتها أكبر العزاء له ..ألم يتشاجرا مثلا ؟ .

درت على عقبى وبذلك استطعت أن أخفى ما اعترانى من اضطراب . هل استشف اللرتون الحقيقة ؟ .. تسرب الشك الى لأول مرة ، ولم تصلح مقابلتى لبويد كارنجتون الأمور فقد عاد من جولته ، وعندما أخبرته بما حدث سألنى على الفور :

– هل تظن انه أراد أن يقتلها ؟

صحت : – أرجوك .

- معذرة . ما كان يجب أن أقول هذا . ولكننى لم أستطع الا أن اتساءل .. ولا تنس أنها تحدثه شيئا ما !

ولزمنا الصمت لحظة وأنا أستعيد فى ذهنى المشهد الذى سمعنا مداه ، ثم مضيت الى البيت وأنا فى شدة الاضطراب ، وقرعت باب بوارو .

وكان قد عرف ما حدث من كورتيس ولكنه كان ينتظر تفاصيل أكثر فى فروغ صبر ، وقد اعتدت منذ أن وصلت الى ستايلز أن أنقل له أحاديثى مع الجميع فقد خيل لى أن ذلك يقلل من شعوره بالوحدة وأنه يستطيع أن يتوهم فى بعض الاحيان أنه يشترك معنا فى حياتنا اليومية . ولم أشعر بأية صعوبة فى نقل الملاحظات التى اسمعها اليه حرفيا تقريبا .

وأصغى الى فى اهتمام كبير ، وكنت أرجو أن يستبعد النظرية البشعة التى تسللت الى ذهنى ولكنه لم يكن قد وجد متسعا من الوقت لكى يطلعنى على رأيه عندما طرق أحدهم الباب . ودخلت مس كرافن واعتذرت لازعاجها لنا قائلة :

- ظننت أن الدكتور فرانكلين هنا . لقد افاقت مسز لوتريل وهى شديدة القلق على زوجها وتريد ان تراه . ألا تعرف أين هو يا كابتن هاستنجز ؟ .. أننى لا أستطيع أن ابتعد عن مريضتى .

واقترحت عندئذ ان امضى لكى أبحث عن الكولونل فوافق بوارو على ذلك بايماءة من رأسه . وشكرتنى الممرضة شكرا حارا .

ووجدت لوتريل فى غرفة صغيرة للطعام من النادر استخدامها . وكان واقفا بجوار النافذة يحدق بعينه فى الحديقة . وما أن سمعنى حتى تحول الى مستفهما . وكان الفزع مرتسما فى عينيه فقلت :

- ان زوجتك أفاقت ، وتريد ان تراك .

ارتفع الدم الى وجهه . وادركت عندئذ اننى لم أر صفرة فى حياتى كصفرة وجهه

وتمتم :- تريد ان ترانى ؟ .. اننى .. اننى قادم فورا .

ومضى نحو الباب وهو يجر قدميه . وكان يترنح بحيث اضطررت ان اسنده فاعتمد على ذراعى بكل ثقله وصعدنا السلم معا ، وكان يتنفس بصعوبة . وأدركت عندئذ ان الصدمة التى توقعها الدكتور فرانكلين كانت شديدة القسوة عليه .

وما أن طرقت باب غرفة مسز لوتريل حتى سمعنا صوت مس كرافن يقول فى وضوح : - ادخل .

ودخلنا الغرفة ودرنا بالساتر الذى يخفى جزءا من الفراش . وكانت مسز لوتريل شاحبة جدا ومغمضة العينين . وفتحتهما عندما سمعتنا نقترب وتمتمت لاهثة :

- جورج ... جورج ! ...

- ديزى ... حبيبتى .

وكان أحد ذراعيها مضمدا وجامد الحركة بجوارها . وأشارت بالأخرى الى زوجها اشارة خفيفة فتقدم اليها خطوة وأخذ يد زوجته فى يده وهو يقول :

- ديزى .

وأدرت رأسى نحوه . واذ رأيت القلق وومضة الحنان التى ارتسمت فى عينيه المغرورقتين بالدموع تملكنى الخجل لظنونى ، وخرجت من الغرفة فى صمت وأنا فى شدة الارتياح .

وكنت اجتاز الطرقة عندما دوى صوت الناقوس يعلن عن موعد العشاء . وكنت قد نسيت الساعة تماما ، فقد ازعجنا هذا الحادث . ولكن الطاهية استمرت تباشر عملها بحيث أن العشاء سيقدم فى موعده .

ولم يكن أكثرنا قد استبدل ثيابه . ولم يحضر الكولونيل ، ولكن مسز فرانكلين جاءت الى غرفة الطعام لأول مرة ، وكانت جميلة جدا فى ثوبها الوردى الباهت وتبدو فى أحسن صحة لا يشغل ذهنها شئ على عكس زوجها فقد كان مشغولا وبادى القلق.

وبعد العشاء تملكنى الجزع من جديد وأنا أرى اللرتون وجوديث يختفيان معا فى الحديقة ، وبقيت جالسا أصغى لفرانكلين ونورتون ، وكانا يتحدثان عن أمراض المناطق الاستوائية . وكان نورتون يحسن الاستماع على الرغم من أنه لم يكن يعرف الكثير عن تلك الأمراض .

وفى الناحية الأخرى من الغرفة كانت مسز فرانكلين تتحدث مع بويد كارنتجون ، وكان هذا الأخير يريها رسومات الستائر ويسألها الرأى فى اختيار نوع القماش .

كانت اليزابث كول تمسك فى يدها كتابا وتبدو غارقة فى قراءته ، وخطر لى أنها قد تشعر بالضيق وعدم الارتياح لوجودى . ولم يكن هذا بمستغرب بعد الحديث الذى دار بيننا عصر اليوم . ثم أننى أنا نفسى كنت منزعجا بعض الشئ وكنت أرجو أن يكون قد أخذها النوم لحديثها معى ، وكنت أريد أن أؤكد لها اننى احترم سرها واننى لن أطلع أحدا عليه ولكنها لم تمنحنى الفرصة لذلك .

ومضيت الى بوارو بعد لحظة . ووجدت لوتريل جالسا معه فى وسط دائرة النور المنبعثة من المصباح الوحيد بالغرفة . وكان بوارو يصغى اليه فى اهتمام ولكن خيل لى أن الكولونيل كان يكلم نفسه أكثر مما يخاطب بوارو وكان يقول :

- اننى اتذكر جيدا ... نعم . كل ذلك أثناء احدى الحفلات الراقصة . وكانت تلبس ثوبا أبيض من التول على ما أعتقد ، وكان يتطاير حولها . كانت جميلة وقد أسرتنى على الفور وقلت لنفسى وأنا أعود الى البيت فى تلك الليلة ... أنها هى التى سأتزوجها . وقد تزوجتها . كانت فاتنة بحركاتها الرشيقة ووقاحتها الخفيفة .

وكتم ضحكة صغيرة وقال : - وقد تحدتنى دائما .

وتصورت بكل سهولة ديزى لوتريل فى أول عهدها بالزواج بوجهها الوقح ولسانها الذلق . لم يكن هناك أى شك فى أنها كانت فاتنة فى ذلك الوقت ولكنها تغيرت مع مر السنين الى امرأة شرسة سليطة اللسان غير أن لوتريل كان يفكر فى هذه الليلة فى

تلك المرأة التى عرفها فى ذلك الوقت ، وفى حبه الأول الحقيقى .

* * *

وأحسست من جديد باحساس الخجل للظنون التى خامرتنا منذ بضع ساعات وعندما انصرف لوتريل ذكرت القصة كلها لبوارو . وأصغى الى دون أن يقاطعنى وهو جامد الأسارير . وعندما فرغت قال :

– ظننت اذن أنه أطلق الرصاص على مسز لوتريل عمدا ؟

– اعترف بأننى أشعر بالخجل الآن . ولكننى فى ذلك الوقت ..

أبعد بوارو وساوسى بحركة مبهمة من يده وقال :

– هل جاءتك هذه الفكرة تلقائيا أم أن أحدا أوعز بها اليك .

قلت : – قال اللرتون شيئا فى هذا المعنى ، وليس هذا بمستغرب منه طبعا .

– ألم يشاركه أحد آخر فى هذا الرأى ؟

– واجه بويد كارنجتون هو الآخر نفس الاحتمال .

– آه ... بويد كارنجتون ؟

– انه رجل عرك الحياة وخبرها .

– طبعا ، طبعا ، ولكنه لم يكن حاضرا أثناء وقوع الحادث . اليس كذلك ؟

– كلا . كان قد خرج لكى يقوم بجولة قبل العشاء .

واستطردت أقول فى شئ من الارتباك : – ولكننى لا أظن أنه كان جادا فى مواجهته لهذه النظرية ... انما كان ...

قاطعنى بوارو قائلا : – لا جدوى من الندم فيما يتعلق بظنونك يا هاستنجز . كان يمكن أن تخطر هذه الفكرة لأى أحد فى مثل هذه الظروف ... فذلك أمر طبيعى .

اشتممت فى مسلكه شيئا ما ... كما لو كان تحفظا معينا ... ولكننى لم أفهم ما هو وراحت عيناه تراقبنى بطريقة عجيبة . وقلت :

- لاشك فى ذلك . ولكننى عندما أرى الآن مدى اخلاص لوتريل لزوجته ...

وافقنى بوارو بحركة من يده وقال : - تماما ... هذا هو ما يحدث عادة وأرجو أن لا تنسى ذلك . ان خلف العراك والخلافات وعداء الحياة اليومية يوجد غالبا ود حقيقى جدا .

وافقته على هذه النقطة ، فقد تذكرت الحنان الذى رأيته فى عينى مسز لوتريل عندما انحنى زوجها فوق فراشها . ولم يكن هناك حقد ولا بغضاء ولا ضيق . وبينما كنت أعود الى غرفتى فكرت أن الزواج شئ عجيب حقا . وأحسست بشئ من الانزعاج ازاء نظرة بوارو الغريبة . فقد يبدو عليه أنه ينتظر متى أن أرى ..ولكن ماذا بالذات ؟

ولكننى بعد ذلك بقليل ، فى نفس اللحظة التى تمددت فيها فى فراشى أدركت كل شئ . لو أن مسز لوتريل قتلت لبدت القضية كالقضايا الأخرى تماما فسيكون الثابت عندئذ أن الكولونل قتل زوجته ولاعتبر الأمر مجرد حادث وقع قضاء وقدرا . ومع ذلك فما كان فى مقدور أى أحد أن يؤكد بطريقة قاطعة اذا كان موت مسز لوتريل جاء نتيجة حادث وقع قضاء وقدرا فعلا أم اذا كان جريمة قتل مع سبق الاصرار . لم تكن هناك أدلة كافية تثبت أنها جريمة قتل ولكن فيها ما يكفى لاثارة الظنون .

ولكن ما المعنى من هذا اذن ؟ ...

معناه أن المسئول الحقيقى لم يكن الكولونل وانما " س " ... ومع ذلك فقد كان هذا شبه مستحيل . لاننى كنت حاضرا وكنت أعرف أن لوتريل هو الذى أطلق الرصاص لأننا لم نسمع أية طلقة أخرى .

هذا ما لم ... ولكن هذا أيضا كان أمرا شبه مستحيل ... كلا . قد لا يكون مستحيلا ومن المحتمل أن يكون قد وقع ... فقد كان يمكن أن نفترض أن شخصا آخر كان ينتظر اللحظة المناسبة وأنه فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الكولونل النار على أرنب أطلق ذلك الشخص الآخر النار على مسز لوتريل . واذا كان هذا قد حدث فعلا

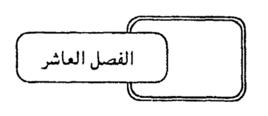
فان المعقول عندئذ ان لا نسمع غير طلقة واحدة وحتى اذا كان هناك اختلاف يسير فى التوقيت فمن الممكن عزوه عندئذ الى رجع الصدى واذ أمعنت التفكير الآن بدا لى انه كان هناك رجع للصدى .

ولكن لا ... كل هذا هراء ، فقد تقدم العلم فى ايامنا هذه وأصبح من اليسير تحديد نوع السلاح الذى تنطلق منه الرصاصة ، فان كل سلاح يترك آثارا خاصة على الرصاصة تميزه عن غيره وتدل عليه . ولكن مثل هذه الفحوص لا تتم الا اذا أراد البوليس أن يعرف نوع السلاح الذى استخدم فى الجريمة ، والبوليس لم يتناول هذه القضية بالذات بالتحقيق لأن الكولونل كان يعتقد ، كما يعتقد الجميع أنه هو الذى أطلق الرصاصة التى أصابت زوجته . وهذا أمر مسلم به ومقبول دون أى جدل وما كان هناك أي سبب لكى يفحص أحد خبراء السلاح بندقية لوتريل ، والشك الوحيد الذى يدور بالأذهان هو هل لعب القضاء والقدر دوره فى هذا الأمر أو نية القتل كانت مبيتة... وهو شك سيظل قائما حتى يثبت العكس .

واذ صح هذا فان القضية تكون مشابهة للقضايا الأخرى ... لقضية ريجس الذى لا يتذكر هل أطلق النار وان كان يعتقد أنه هو الذى ارتكب الجريمة ولقضية ماجى ليتشفيلد التى ذهبت وسلمت نفسها لأرتكابها جريمة لعلها لم ترتكبها .

نعم . ان هذه القضية لا تختلف عن القضايا الأخرى ، وأصبحت أفهم الآن موقف بوارو جيدا .

***



الفصل العاشر

- ١ -

استأنفت حديثى مع بوارو فى صباح اليوم التالى ووافقنى على نظريتى بايماءات صغيرة من رأسه . وعندما فرغت أنبسطت أساريره وقال :

- هذا جميل يا هاستنجز . كنت اتساءل هل سترى التشابه ولكننى لم أشأ الايحاء به اليك .

- لم أخطئ اذن ... اننا ازاء جريمة أخرى من جرائم " س " ... ولكن لماذا ؟ ... وما هى دوافعه ؟ ...

هز بوارو رأسه فى تفكير ولم ينطق فقلت : - ألا تعرف ذلك ؟ ... أليست لديك أية فكرة ؟

أجاب فى بطء : - بل لدى طبعا .

- هل اكتشفت الصلة بين كل هذه الجرائم المختلفة ؟

- أظن ذلك .

- ماذا تنتظر اذن ؟

واستطعت أن أخفى تلهفى بكل مشقة ولكنه قال :

- كلا يا هاستنجز .

- ولكن يجب أن أعرف .

- بل على العكس من الأوفق أن تبقى جاهلا بكل شئ .

- ولكن لأى سبب ؟

- لا لشئ الا لأنه يجب أن تثق بى .

صحت : - ان أمرك غريب ... أنت هنا مصاب بالتهاب المفاصل ، لا تستطيع الحركة ومع ذلك تحاول أن تتصرف وحدك .

- لا تظن ذلك ، فأنت فى قلب الأحداث ... أنت عيناى واذناى ولا أريد أن أزودك ببعض المعلومات لأنها قد تكون خطرا عليك .

- أظن أنك لا تريد أن يعرف الجانى أنك تتعقبه ، ولكن هل تحسبنى لا أستطيع الدفاع عن نفسى .

- يجب أن تعلم يا هاستنجز أن من قتل مرة لا يرده أي شئ عن القتل بعد ذلك .

قلت وأنا ابتسم ابتسامة باهتة : - ولكن لم تقع جريمة قتل هذه المرة .

- هذا من حسن الحظ ... من حسن الحظ حقا لأن من الصعب أن نتوقع كل شئ كما قلت لك .

وتنهد وقد ارتسمت على وجهه امارات القلق .

وانصرفت من عنده وأنا أشعر فى شئ من الحزن ان بوارو لم يعد قادرا على أية حركة . صحيح أن ذهنه كان لا يزال نشيطا وسليما ولكن جسده أصبح عاجزا وقد أوصانى أن لا أقوم بأية محاولة لكى أعرف شخصية " س " . ولكننى فى قرارة نفسى ظللت مقتنعا بأننى عرفت أمره فلم يكن فى ستايلز غير شخص واحد بدا لى مشبوها بطريقة خاصة وسؤال واحد كان يكفى لكى أتأكد من شئ . وسيكون السؤال مجرد اختبار سلبى طبعا ولكن سيكون له مع ذلك قيمته .

وتحدثت مع ابنتى بعد الافطار وسألتها : - من أين كنت آتية أنت والميجور اللرتون عندما ألتقيت بكما أمس .

وعندما يكون الانسان مستغرقا فى مظهر من مظاهر احدى المسائل يميل الى

نسيان مظاهرها الأخرى وقد دهشت لرد الفعل العنيف لابنتى وهى تقول لى :

- الحق يا بابا لا أرى فيم يعنيك هذا ؟

تأملتها فى ذهول وقلت : - ولكنه مجرد ... سؤال ألقيته عليك .

- هذا صحيح ، ولكن لماذا ؟ ... لماذا تمضى كل وقتك فى القاء الاسئلة ؟ ... ماذا فعلت وأين ذهبت ومع من ؟ ... هذا أمر لا يطاق فى النهاية .

والغريب فى الأمر أن سؤالى هذه المرة لم يكن يتعلق بها حتما وانما كنت مهتما بحركات وسكنات اللرتون وحاولت تهدئتها فقلت :

- الواقع يا جوديث اننى لا أرى لماذا لا أستطيع أن أسألك هذا ؟

- وأنا لا أرى سببا لتمسكك بأن تعرف .

- لست متمسكا بصفة خاصة . ولكننى كنت اتساءل فحسب لماذا لم يبد عليكما لا أنت ولا هو الاهتمام بما حدث .

- هل تعنى تلك الحادثة التى وقعت لمسز لوتريل أمس ؟ ... حسنا ... مادام الأمر يهمك فقد ذهبت الى القرية لشراء بعض الطوابع .

- ايه ... لم يكن اللرتون معك اذن ؟

تنهدت جوديث فى استياء وقالت فى برود : - كلا . اننى ألتقيت به على مقربة من البيت قبل ذلك بدقيقتين وأرجو أن تكون قد استرحت الآن . ولكننى أريد أن أقول لك اننى حتى ولو كنت قضيت اليوم بطوله معه فان هذا ليس من شأنك أبدا . أننى فى الواحدة والعشرين من عمرى واكتسبت قوت يومى والطريقة التى أقضى بها وقتى لا تعنى أحدا غيرى .

أسرعت أقول محاولا ايقاف موجة السخط : - هذا صحيح .

- يسرنى أن تعترف بذلك .

وبدا لى أنها هدأت بعض الشئ ولاحت على شفتيها ابتسامة حزينة شيئا ما

وقالت:- يا الهى ! ... حاول أن لا تقوم اذن بدور الآباء الشرفاء . لا يمكن أن تعرف الى أى حد يخنقنى هذا ... انك تثير ضجة كبيرة لا داعى لها .

- اعدك اننى لن أفعل ذلك بعد .

وأقبل فرانكلين عندئذ بخطوات واسعة وقال :

- صباح الخير يا جوديث . تعالى . اننا تأخرنا .

وكان سلوكه عجيبا ويكاد يكون منافيا للأدب . وأحسست بالاستياء على الرغم منى . كنت أعرف انه رئيس جوديث وان من حقه ان يصدر اليها أوامره ما دام ينقدها مرتبها ولكن كان فى مقدوره ان يكون رقيقا معها . لم يكن ظريفا فى تصرفاته أبدا ، وكنت قد لحظت ذلك أكثر من مرة . كان مهذبا مع الآخرين على الأقل ولكنه كان جافا ومستبدا جدا فى معاملته لجوديث ويكاد لا ينظر إليها عندما يخاطبها ، ويصدر إليها أوامره فى شبه صراخ . ولم يكن يبدو على جوديث انها مهتمة بذلك ولكننى أحسست بشئ من الغيظ وقلت لنفسى أن هذا السلوك معيب خاصة وأنه يتناقض تماما مع اهتمام اللرتون الشديد . لم يكن هناك شك فى ان فرانكلين يساوى نورتون عشر مرات ولكن المقارنة لم تكن فى صفه من ناحية الرقة والمجاملة .

وفيما كان يبتعد فى طريقه نحو المعمل لم يسعنى الا أن الحظ مشيته المخلعة وجسده غير التناسق ووجهه المعروق الذى يغطيه النمش . كان فى مجموعه رجلا بغيضا يفتقر الى كل صفات الجمال الطبيعى . لم يكن هناك شك فى انه رجل عبقرى ولكن النساء لا يفتنها العبقرية وحدها . وفكرت فى شئ من الاستياء أن جوديث لن تلتقى فى مثل هذه الظروف بشبان تستطيع المقارنة بينهم . وبجانب فرانكلين الفظ والذى لا يتمتع بأية جاذبية كان فى مقدور اللرتون اظهار جاذبيته المصطنعة الخادعة بكل سهولة .

وما العمل اذا هى افتتنت به حقا ؟ .. ان الغضب الذى بدا عليها جعلنى أشعر

بشئ من الاطمئنان لأن اللرتون كان وغدا قذرا . بل من المحتمل أن يكون أكثر من ذلك . ألا يمكن أن يكون هو " س " ؟ .. لم يكن هذا بالأمر المستحيل ، فانه عندما انطلقت الرصاصة التى أصابت مسز لوتريل لم يكن موجودا مع جوديث كما كنت أعتقد فى البداية . ولكن اذا كان هو الذى أطلق النار حقا فما هو الدافع الخفى الذى دفعه الى ذلك . كنت واثقا انه ليس مجنونا ، فقد كان يبدو سليم العقل ولكنه كان مجردا من الأخلاق والضمير .

ولكن جوديث كانت تختلط به أكثر من اللازم .

***

- ٢ -

وحتى ذلك الوقت وعلى الرغم من اننى كنت شديدالقلق بخصوص ابنتى فان احتمال وقوع جريمة قتل من لحظة لأخرى كانت قد أقصيت عنى مشاكلى الخاصة شيئا ما .

والآن وقد قضى الأمر واخفقت محاولة القتل لحسن الحظ استطعت التركيز على المسألة بصورة أكثر ولكننى كلما فكرت كلما زاد قلقى ، وقد سمعت بضع كلمات صدفة علمت منها ان اللرتون كان متزوجا . وزادنى بويد كارنجتون الذى يبدو أنه يعرف أشياء كثيرة عن كثير من الناس فقال ان زوجة اللرتون انفصلت عنه بعد بضعة شهور من الزواج وانها رفضت الطلاق لأنها كاثوليكية المذهب . وأردف يقول :

- واذا أردت رأيى فان هذا الوغد يستريح لذلك لأن نواياه ليست شريفة على الاطلاق ، وكونه متزوجا يسهل له أموره .

والواقع ان هذا النبأ كان داعيا لمخاوف كل أب .

ومرت الأيام التالية دون أن يقع حادث يذكر ومع ذلك فلم يزايلنى القلق . وكان الكولونل لوتريل يقضى كل الوقت فى غرفة زوجته . وجاءت ممرضة جديدة وأصبح فى

مقدور مس كرافن ان تكرس كل وقتها لمسز فرانكلين . ويجب أن أعترف من غير أية سوء نية بأنني لاحظت عند هذه الأخيرة بعض علامات الاستياء حين رأت أنها ليست المريضة الوحيدة بالبيت وكرهت الاهتمام الذى تركز على مسز لوتريل لأنها كانت قد اعتادت على أن تكون صحتها محور اهتمام الجميع . وراحت تتمدد على مقعد مستدير وتضع يدها على نهدها الأيسر وتشكو من الخفقان ، ولم يعد الطعام يروق لها وكانت تخفى استياءها خلف قناع من الخضوع الصبوروقالت تخاطب بوارو ذات يوم :

- انني أكره اثارة المشاكل ، وأشعر بخجل شديد لانني مريضة ... وأنه لأمر بغيض ومهين أن يجد المرء نفسه تابعا للغير ، وأرى فى بعض الأحيان ان المرض جريمة فى حق المجتمع ، فان الانسان الذى لا يتمتع بصحة جيدة والذى فقد كل احساس من الأوفق ان يستبعد فى رفق .

صاح بوارو مجاملا :

- أوه ، كلا يا سيدتى . ان الزهرة الدخيلة الرقيقة لها الحق فى أن تكون فى مستنبت ما دامت لا تستطيع احتمال الرياح الباردة . والعشب الردئ هو الذى ينمو فى الهواء الشتوى ولكن ليس معنى هذا أنه لاقيمة له . انظرى الى حالتى أنا ... انني أكاد أكون كسيحا ولا أستطيع أن اتحرك وحدى ، ومع ذلك فانني لا أفكر فى مفارقة الحياة وانما مازلت استفيد من أشياء كثيرة .. الطعام الشهى والنبيذ الجيد والملذات الذهنية .

تنهدت مسز فرانكلين وقالت :

- ان الأمر مختلف بالنسبة لك ، فليس هناك مايهمك غير نفسك . أما أنا فلدى جون المسكين ولست أجهل انني حمل ثقيل بالنسبة له ... امرأة مريضة لا فائدة منها... حمل حقيقى لابد ان يجره خلفه اينما يذهب . هل تفهم ؟

- ولكنني واثق انه لم يوجه لك أى لوم أبدا .

- ليس تحت هذه الصورة وهذا صحيح . ولكن الرجال شفافون جدا ، وجون لا يستطيع اخفاء مشاعره ، وهو لا يعتمد ان يكون قاسيا طبعا . ولكنه مجرد من الشعور وهذا من حسن حظه طبعا . انه لا يحس بأى احساس عميق ولا يستطيع أن يفهم ان الآخرين قد يكونون مختلفين ... والواقع ان هذا من حسن حظه .

قال بوارو :

- ولكننى لا أرى الأمور بهذه الصورة ابدا .

- حقا ؟ .. انت لا تعرفه اذن كما أعرفه أنا . وأعرف طبعا أنه لولاى لكان الآن حرا وأحس أحيانا بالاكتئاب الى حد اننى أجد راحة حقيقية فى التخلص من حياتى الى الأبد .

- لا يجب أن تقولى هذا يا سيدتى .

- لماذا ؟ ... مهما يكن فأنا عديمة النفع لأى أحد .

وهزت رأسها فى حزن واسترسلت :

- سأمضى نحو المجهول الكبير ... وبذلك يجد فرانكلين نفسه حرا .

وعندما رددت هذا الحديث فيما بعد على مس كرافن أسرعت تقول :

- كلا هذا هراء . أستطيع أن أؤكد لك أنها لن تفعل شيئا من هذا . ان الذين لا يتكلمون الا من التخلص من الحياة ليس فى نيتهم ان يفعلوا هذا أبدا .

ويجب ان أعترف أنه عندما مر الاضطراب الذى تسبب فيه حادث مسز لوتريل ، وعندما استعادت مس كرافن مكانها بجوار مسز فرانكلين كانت الحالة الذهنية لهذه الأخيرة قد تحسنت كثيرا .

وفى ذات صباح جاء كورتيس ببوارو تحت أشجار الدردار الموجودة على مقربة من المعمل ، وكان صديقى يفضل هذا المكان لأنه بعيد عن التيارات الهوائية . وعندما انضمت اليه كانت مسز فرانكلين خارجة من المعمل .. وكانت ترتدى ثوبا جميلا يضفى

عليها نوعا من المرح ، وقالت لنا أنها خارجة للنزهة مع بويد كارنجتون وان هذا الأخير طلب منها مشورتها فى اختيار الستائر والطنافس وانهما سيمضيان معا الى كناتون لكى يتفقدا سير العمل . وأردفت تقول :

- اننى استرددت حقيبة يدى وكنت قد نسيتها فى المعمل أمس حين ذهبت الى جون .

ثم قالت بعد لحظات من الصمت :

- انه ذهب اليوم هو وجوديث الى تادمنستر لشراء بعض المنتجات الكيماوية التى يحتاجان اليها .

وجلست فوق المقعد المستطيل وهزت رأسها بطريقة مضحكة وقالت :

- يالهما من مسكينين ! اننى أشعر بالارتياح لأننى لست من أهل العلم ... ففى مثل هذا اليوم الجميل يبدو لى أن كل شئ فى غير محله .. حقا ...

قال بوارو ضاحكا :

- لا تقولى مثل هذا القول لأهل العلم .

- كلا طبعا .

وتبدلت أساريرها على الفور وظهرت عليها أمارات الجد وقالت :

- على كل حال لا تظن يا مستر بوارو اننى لست معجبة بزوجى ،والا لكنت مخطئا . واعترف ان طريقته فى الحياة بالنسبة لعمله ... انما هى طريقة مدهشة .

واختلج صوتها شيئا ما وخيل لى انه يروق لها أن تقوم بأدوار مختلفة ، فقد كانت فى هذه اللحظة بالذات الزوجة والوفية المحبة ، واستطردت تقول :

- ان جون يكاد يكون قديسا ... وهذا يخيفنى فى بعض الأحيان .

كانت مقارنتها لفرانكلين بالقديس مغالاة طبعا ، ومع ذلك فقد استطردت تقول متألقة العينين .

- انه جدير بأن يفعل أى شئ وأن يقدم على كل مجازفة فى سبيل تقدم العلم البشرى ، وهذا عمل جميل على كل حال . أليس كذلك ؟

تمتم بوارو :

- طبعا ... طبعا ...

- ومع ذلك فأننى أشعر بشئ من القلق فيما يتعلق به . واننى اتساءل الى أى مدى يمكن أن يذهب بتجاربه فيما يتعلق بفول كالابار البغيض الذى يهتم به حاليا ، وأخشى أن يجربه على نفسه .

قلت : - اذا صح هذا فأنه سوف يتخذ كل الاحتياطات اللازمة .

هزت المرأة رأسها وقد أرتسمت على ملامحها ابتسامة حزينة .

وقالت :

- انك لا تعرفه . ألا تسمع ماذا فعل أثناء تجارب الغازات ؟

- كلا .

- كان الاهتمام يدور حول غاز جديد أرادوا معرفة خواصة وقد تقدم جون لاجراء التجارب عليه فوضعوه فى صندوق كبير لمدة ست وثلاثين ساعة وراحوا يتابعون نبضه وحرارته وتنفسه لمعرفة تأثير ذلك الغاز على أعضائه ، وهل يختلف فى تأثيره على البشر عن تأثيره على الحيوانات . وكانت هذه مجازفة خطيرة كما قال لى أحد الأستاذة فيما بعد ، وكان من الجائز أن يموت أثناءها . وهو هكذا دائما يضحى بنفسه وبسلامته فى سبيل العلم ، وأرى أن هذا شئ عظيم ... ألا ترى ذلك ؟ .. اننى لن أجد الشجاعة أبدا للأقدام على مثل هذا العمل .

قال بوارو :

- من المؤكد أنه لابدمن شجاعة كبيرة فى سبيل ذلك .

- طبعا . واننى لفخورة جدا به . ولكننى شديدة الجزع عليه فى نفس الوقت . فقد

يأتى وقت تؤدى به احدى هذه التجارب . ولهذا ترانى خائفة جدا من ان يجرب تأثير هذا الغول اللعين عليه وان تكون هذه التجربة وبالا علينا جميعا .

وتنهدت المرأة الشابة ثم أردفت :

- ولكنه دائم السخرية من مخاوفى . انه قديس حقا .

وظهر بويد كارلجتون على عتبة البيت فى هذه اللحظة فتقدم نحونا وقال :

- هل أنت على استعداد يا بابس ؟

- طبعا يا بيل . كنت أنتظرك .

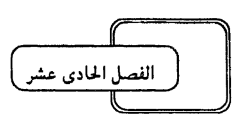
- أرجو ان لاترهقك هذه الجولة كثيرا .

- أبدا ... لم أشعر بأننى فى صحة جيدة كما أنا الآن منذ شهور .

ونهضت ورمتنا بابتسامة ثم ابتعدت برفقة فارسها الخدوم . وتمتم بوارو :

- الدكتور فرانكلين .. قديس عصرى .. عجبا !

***



الفصل الحادى عشر

يبدو ان الحديث الذى ترك فى نفسى أبلغ الاثر قد دار فى صباح اليوم التالى قبل الغداء .

كنا أربعة .. أنا وجوديث وبويد كارنجتون ونورتون . ولا أدرى كيف بدأ الأمر ولكننا لم نلبث أن وجدنا أنفسنا نتكلم عن موت المرضى الذين لا يرجى لهم شفاء . وكان بويد أكثر من تناول هذا الموضوع طبعا أما نورتون فراح ينطق بكلمة من وقت لآخر ، ولزمت جوديث الصمت وان كان قد بدأ عليها الاهتمام التام . وأعترف ان هذا الموضوع قد أثار فى نفسى كراهية كبيرة على الرغم من كل المبررات التى قيلت وأردفت أقول ان قبول العالم لهذا النوع من الموت يضع سلطة كبيرة بين أهل المريض . وشاركنى نورتون هذا الرأى وأردف يقول أنه لا يجب قتل المريض الا بناء على رغبته هو بالذات وعلى شرط أن يكون الموت السريع أكيدا .

وعاد بويد كارنجتون يقول : -

- ولكن هل يتمنى المريض أن يضعوا حدا لآلامه حقا ؟

وروى لنا قصة أكد لنا حدوثها فقال ان مريضا كان يتألم أشد الألم من داء السرطان ولم يكن هناك أى رجاء فى شفائه وانه طلب من طبيبه أن يعطيه شيئا لكى يتخلص من حياته بسرعة ولكن الطبيب أجابه بأنه لا يستطيع الاقدام على مثل هذا العمل ، بيد انه بعد ذلك بقليل وقبل أن ينصرف ترك فى متناول المريض بضعة أقراص من المورفين محددا له الكمية التى يمكنه ان يتناولها دون خطر . وبهذا كان فى

مقدور المريض أن يأخذ منها ما يكفى لكى يتخلص من الحياة ولكنه لم يفعل ، واثبت بهذا انه يتشبث بالحياة على الرغم من الآمه وعلى الرغم من أنه طلب الموت بنفسه .

واشتركت جوديث فى الحديث عندئذ فقالت فى حزم :

– ما كان للطبيب أن يترك له حرية اتخاذ القرار طبعا .

سألها بويد كارنتجون :

– ماذا تعنين ؟

– ان الشخص الذى يوهنه المرض والألم لا يملك الارادة الضرورية لاتخاذ أى قرار صحيح ، ولهذا يجب أن يتخذ غيره القرار بدلا منه . هذا هو واجب الذين يعيشون معه ويحبونه .

قلت مشدوها :

– تقولين .. واجب ؟

تحولت ابنتى الى وقالت :

– نعم ... من الضرورى ان يتحمل شخص سليم مسئولية التصرف .

هز بويد كارنجتون رأسه وقال :

– لكى يجد نفسه فى محكمة الجنايات بتهمة القتل .

– ليس بالضرورة . ثم انك اذا كنت تحب شخصا حبا حقيقيا فيجب ان تجازف .

تدخل نورتون بدوره وقال :

– ولكن هذه مسئولية كبيرة يا جوديث :

لا أظن ذلك . ان الناس يخافون المسئولية أكثر من اللازم . وهم يخففون آلام كلب مريض ، فلماذا لا يخففون آلام انسان مريض .

– ولكن الأمر مختلف تماما .

أجابت جوديث بلهجة الجد :

- نعم . لأنه أكثر أهمية .

قال نورتون :

انك تثيرين دهشتى .

وقال بويد كارنجتون :

- هل معنى هذا انك تقدمين على مثل هذه المجازفة ؟

- أظن ذلك ، فهى لا تخيفنى .

- أما أنا فلن أفعل ذلك . لا يمكن أن نسمح للناس بالبت فى الحياة والموت .

قال نورتون :

- الواقع أن أكثر الناس لا يجدون الجرأة لتحمل مثل هذه المسئولية .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ونظر الى جوديث وقال :

- ولا أظن أنك ستجدين هذه الجرأة اذا ما وجدت نفسك فى هذا الموقف .

أجابت ابنتى فى هدوء :

- لا يمكن التأكد من أى شىء حقا . ولكن أظن اننى سأجد هذه الجرأة .

- اننى أشك فى هذا ... الا اذا كانت لك مصلحة شخصية .

إضطراب وجه جوديث وأجابت فى حدة :

- ان ملاحظتك هذه تدل على أنك لا تفهم شيئا أبدا . لو أن لى مصلحة شخصية فاننى لن أستطيع أن أفعل شيئا .

ثم قالت تخاطبنا جميعا :

- من الضرورى أن يكون هذا العمل عاما وغير مغرض .

قال نورتون :

- ولو ... انك لن تفعلى هذا .

- بل أفعل . فإننى قبل كل شىء لا أعتقد أن الحياة شئ مقدس كما يزعمون .

يجب استبعاد الحياة التى لا فائدة منها والابقاء على حياة الاصحاء الذين يقدمون للمجتمع مساهمة فعالة .

وتحولت الى بويد كارنجتون وقالت :

- انك تشاركنى هذا الرأى ، أليس كذلك ؟

أجابها فى بطء : - كمبدأ نعم . يجب الابقاء على الذين يستحقون .

عاد نورتون يقول : - سوف يشاركك الجميع رأيك .. أما من ناحية تنفيذه ...

قال نورتون :- ليس هذا منطقيا .

- هذا صحيح ما دامت مجرد مسألة شجاعة وجرأة ولكن أغلب الناس لن يجدوا الشجاعة اللازمة للاندفاع فى مثل هذه المغامرة . وأنا شخصيا أعتقد أنك سوف تفعلين مثلهم وانك لن تجدى الشجاعة اذا ما تعرضت لمثل هذا الموقف .

- هل تظن ذلك ؟

- بل أننى واثق .

تدخل بويد كارنجتون فقال :

- أما أنا فأعتقد أنك مخطئ يانورتون . ان جوديث لا تنقصها الشجاعة أبدا . ولحسن الحظ ان الموقف الذى تتكلم عنه نادر الحدوث .

ودق ناقوس داخل البيت فجأة فوقفت جوديث وقالت تخاطب نورتون :

- انك مخطئ تماما ... ان لدى من الشجاعة أكثر مما تتصور .

ثم استدارت ومضت نحو البيت مسرعة وجرى بويد كارنجتون خلفها وهو يقول :

- جوديث ... انتظرينى .

ومشيت نحو البيت بدورى ولا أدرى لماذا أحسست بالضياع عندئذ . وقال نورتون محاولا مواساتى :

- انك لا تتكلم بجد طبعا . وهذه نظرية يكثر الشباب الحديث عنها ولكنهم لا

يضعونها موضع التنفيذ لحسن الحظ . كل هذا كلام فى الهواء .

وأظن أن جوديث سمعت قوله هذا لأنها أدارت رأسها اليه ورمته بنظرة غاضبة .

وخفت نورتون من صوته لكى يقول :

– ولكن دعنا من النظريات الآن ... واسمعنى جيدا يا هاستنجز ... لا أريد أن أتدخل فيما لا يعنينى ولكن ماذا تعرف عن اللرتون ؟

– وما دخل اللرتون فى هذه النظرية ؟

– اغفر لى تطفلى .. ولكن لو اننى كنت مكانك لما تركت هذه الطفلة تصاحبه ... انه ... حسنا ... انه سئ السمعة .

قلت فى لهجة مريرة :

– اننى أعرف ... ولكن ليس من السهل فى أيامنا هذه ...

– أوه .. اننى أعرف . أن الفتيات يزعمن انهن يستطعن حماية أنفسهن . وهذا صحيح فى أغلب الأحيان ولكن ... ان لا اللرتون هذا طريقة خاصة .. لا تخيب أبدا .

وتردد لحظة ثم استطرد يقول :

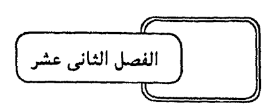
– من واجبى أن أحذرك طبعا ، وأرجو ان لا تردد ما سوف أقول لك ... ولكن حدث اننى وقفت على قصة بغيضة فيما يتعلق به .

ورواها لى واستطعت أن أتحقق من صحتها فيما بعد ، وهى قصة فتاة عصرية حرة معتدة بنفسها . وقد طبق اللرتون طريقته معها وبعد بضعة شهور أنتحرت بأن تناولت كمية كبيرة من الفيرونال .

وأزعجنى ان تلك الفتاة تنتمى الى نفس النوع الذى تنتمى جوديث اليه .. فتاة حرة أبية اذا أعطت قلبها أعطته كله بطريقة لا تعرفها الفتيات الحمقاوات .

ورحت أتناول الغذاء يخامرنى احساس بأن شيئا بغيضا سوف يقع .

***



الفصل الثانى عشر

سألنى بوارو بعد ظهر ذلك اليوم بالذات :- هل هناك ما يقلقك يا صديقى ؟

اكتفيت بأن هززت رأسى ، فقد أحسست بأنه لا يحق لى أن أزعجه بمشكلة خاصة، هذا فضلا عن أنه لم يكن باستطاعته أن يساعدنى بأية طريقة ، فانه حتى اذا عاتب جوديث فانها ما كانت الا لتبتسم تلك الابتسامة المترفعة التى تقابل بها الفتيات نصائح الشيوخ التى تثير ضجرى .

ويتعذر على أن أصف بالضبط المشاعر التى تملكتنى فى ذلك اليوم ، ولكننى اذ أفكر فى ذلك الآن أميل الى أن أعزو جزءا من مشاكلى الى الجو الذى كان مطبقا على قصر ستايلز ، فقد كان مكانا يوحى بأكثر الأوهام جنونا ، ولم يكن الماضى وحده هو السبب ، وانما كان الحاضر هو الآخر فيه ثم انه كان هناك قاتل يقيم فيه ، والتهديد بوقوع قتل كان يحلق فوق رءوسنا جميعا .

وبقدر ما استطعت أن أحكم كان اللرتون هو الجانى ، وجوديث ، ابنتى أنا وقعت فى هواه ... كان ذلك أمرا فظيعا ، مذهلا ولم أدر ماذا أفعل ؟

وبعد الغداء انتحى بى بويد كارنجتون مكانا وسعل فى ارتباك قبل ان يطرق الموضوع ، وقال أخيرا فى صوت متقطع :

- لا تظن اننى أريد أن أتدخل فيما لا يعنينى ، ولكن لو اننى كنت مكانك لحذرت ابنتى ... ان اللرتون له سمعة غير طيبة ويبدو ان جوديث ... مغرمة به .

ومن السهل أن ينطق كل امرئ بمثل هذا القول اذا لم يكن له أولاد ... أحذر جوديث من اللرتون ؟ .. وما الجدوى ما دمت قد فعلت ذلك من قبل ... بل ان الموقف

سيزداد خطورة ... ولكن ... لو ان زوجتى ما زالت بيننا ... لعرفت ما يجب أن تفعل وما يجب أن تقول .

والواقع اننى صممت ان لا أطرق هذا الموضوع مع ابنتى . ولكننى لم ألبث ان أدركت ان ذلك انما يعد جبنا منى ، ومع ذلك فقد ترددت والواقع هو اننى كنت خائفا من ابنتى الجميلة الأبية .

وأخذت اذرع الحديقة جيئة وذهابا وأنا فريسة لاضطراب شديد متزايد . وقادتنى قدماى حتى مزرعة الورد ، هناك أحسست بالقرار يفلت من يدى فجأة ، اذا جاز لى هذا القول ، فقد كانت جوديث جالسة فوق مقعد وحدها ، وأظن اننى لم أر فى حياتى على وجه امرأة ما نظرة تعيسة كنظرتها هى . كان القناع قد سقط ، وكان اضطرابها وحيرتها ظاهرين لكل ذى عينين .

وحزمت أمرى ومضيت اليها وقلت فى هدوء :

- جوديث ... بالله لا تزعجى نفسك هكذا .

وكانت غارقة فى أفكارها بحيث لم تسمعنى وأنا أقترب منها . وأخذتها الدهشة ورفعت رأسها سريعا وقالت :- أوه ... بابا ... ماذا كنت تقول ؟

- أى ابنتى العزيزة .. لا تظنى أننى لا أستطيع أن أفهم ... ولكن تأكدى انه لا يستحق كل هذا .

نظرت الى فى قلق وارتباك قبل أن تسألنى فى هدوء :

- هل تعرف عم تتكلم حقا ؟

- نعم .. اننى أعرف . انك تحبين هذا الرجل .ولكن هذا أمر غير حكيم يا ابنتى .

لاحت على شفتيها ابتسامة انفطر لها قلبى واستطردت أقول :

- جوديث ... ان هذا مستحيل ... ولن ينتج عنه أى خير ... انه رجل متزوج ، ولا يمكن أن يصيبك من كل هذا الا الأسى والعار .

ازدادت ابتسامتها ولكنها بقيت على هدوئها وقالت :

- لعمرى انك تجيد الكلام ...

- كفى عن اهتمامك به يا جوديث .

- كلا .

- أقول لك أنه لا يستحق كل هذا .

قالت فى بطء وهدوء :

- أنه لى كل شئ فى الدنيا .

- جوديث .. أرجوك .

اختفت الابتسامة من شفتيها وصاحت وهى تهب غاضبة :

- كيف تجرؤ وتتدخل فى شئونى ؟ .. لا تكلمنى فى هذه المسألة بعد . اننى أكرهك .. أكرهك .. ان هذا لا يعنيك .. فهى حياتى أنا .

ودفعتنى بذراعها وافلتت هاربة . ونظرت اليها وهى تبتعد وتركتنى منهارا تماما..

***

- ٢ -

كنت لا أزال واقفا مكانى مشدوها لا أستطيع التفكير عندما ظهرت مس كول ونورتون بعد ربع ساعة من ذلك .

وقد عاملانى بكل ظرف ، كما ادركت فيما بعد ، وكانا قد أدركا على الفور طبعا اننى كنت مضطربا . ولكنهما كانا من اللباقة بحيث لم يشيرا الى ذلك واقترحا على أن أنضم اليهما فى نزهتهما . وكان كل منهما يعشق الطبيعة . واهتمت اليزابيث كول بأن ترينى الأزهار البرية التى كنا نلتقى بها فى حين راح نورتون يرينى العصافير من خلال منظاره المكبر . وشيئا فشيئا عاد الى هدوئي ، فى الظاهر على الأقل لأننى كنت

لا أزال منزعجا جدا فى قرارة نفسى ، ثم أننى كنت اعتقد ، كما يحدث لى عادة ، أن كل ما حدث انما كان سببه حالتى الذهنية عندئذ .

وفجأة صاح نورتون وهو ينظر من خلال منظاره :

- يا الهى .. أليس هذا أبو منقار .. ولكن .. عجبا !

وأمسك وهو ينظر الى نظرة غريبة ، وخامرنى الشك على الفور فمددت يدى نحو المنظار وقلت فى لهفة :- دعنى أرى .

ولكنه تشبث به فى انفعال وقال مترددا وفى لهجة استغربتها شيئا ما :

- أظن .. أظن أننى أخطأت .. أنه طار .. والواقع أنه كان عصفورا عاديا .

وكان قد اعتراه الشحوب وراح يتحاشى النظر الى وقد تملكته الحيرة . وكنت واثقا أنه صمم على ألا يدعنى أرى ما رآه . وكان قد سدد منظاره الى غابة صغيرة على مسافة لا بأس بها . وعدت أقول :

- دعنى أرى .

وأمسكت بالمنظار وانتزعته من يده . وتخلى مكرها وهو يتمتم :

- الواقع .. أنه ولكن .. لقد طار .. كنت أريد ..

ورفعت المنظار بيدين مضطربتين . وكان قويا ونظرت الى المكان الذى كان ينظر اليه ، ولكننى لم أر شيئا فيما عدا ثوب أبيض اللون لامرأة .. وكان يختفى فى تلك اللحظة بالذات بين الأشجار .

وخفضت المنظار وأعدته الى صاحبه دون أن أنطق وبدأ لى أنه يتحاشى النظر الى . ومهما يكن فقد كان بادى الحيرة والجزع .

وعدنا الى البيت فى صمت .

***

عادت مسز فرانكلين هى وبويد كارنجتون بعدنا بقليل ، وكانا بعد أن فرغنا من مهمتهما فى كناتون قد مضيا الى تادمنستر حيث اشترت المرأة الشابة بعض الأشياء التى تريدها . واعترف بأنها تدبرت أمرها جيدا لأنها أخرجت من السيارة عددا كبيرا من الأكياس .

كانت شديدة المرح ، وراحت تضحك بدون انقطاع وقد توردت وجنتاها لفرط الانفعال ، وأعطت لبويد كارنجتون كيسا يحتوى على شئ هش وتطوعت أنا وحملت عنها بعض الأكياس وقالت :

- أن الطقس حار جدا اليوم وأظن أن هناك عاصفة على وشك الهبوب . وسمعت أن المياه قد تنقطع .. لوصح هذا فأنه ليكون أمرا فظيعا .. فأننا لم نر مثل هذا الجفاف منذ سنوات .

وكانت تتكلم بأسرع مما تعودت وتبدو شديدة الانفعال وقالت تخاطب اليزابيث كول: - ماذا فعلتم بعد ظهر اليوم ؟ .. واين جون ؟ .. كان يشكو من الصداع وكان يريد أن يقوم بجولة .. لم أره يشكو من الصداع من قبل ، وأظن أنه شديد القلق من أجل تجاربه فهى لا تتقدم كما كان يريد .. أود لو أعرف المزيد عن أعماله .

ثم تحولت الى نورتون وقالت :

- انك صحوت اليوم . هل هناك شئ على غير ما يرام ؟ .. يبدو عليك الانزعاج اتكون قد رأيت شبح امرأة ؟

أجفل نورتون وقال :

- كلا .. كلا .. لم أر أى شبح . وانما كنت أفكر فى بعض الأمور .

وفى نفس اللحظة ظهر كورتيس بعتبة الباب وهو يجر العربة التى يجلس فيها بوارو . وتوقف فى البهو وتأهب لكى يحمل سيده الى الطابق الأول . ولكن المخبر السرى حدجنا فجأة وقد استيقظ اهتمامه وقال :

- ما الخبر ؟ .. هل هناك شئ ؟

ومرت لحظة صمت . وأجابته مسز فرانكلين وهى تضحك ضحكة قصيرة مغتصبة :

- ابدا يا مستر بوارو ؟ .. ولماذا تريد أن يكون هناك أى شئ ؟ .. لعلها العاصفة التى تقترب .. يا الهى ! .. أشعر بأننى متعبة جدا .. كابتن هاستنجز .. هل لك أن تحمل عنى هذه الأكياس ؟ .. ما أظرفك ! .. شكرا لك .

وارتقيت الدرج خلفها ، وكانت غرفتها تقع فى آخر الجناح الغربى وفتحت الباب ، وما كادت تفعل حتى توقفت فجأة على العتبة ووقفت أنا خلفها ويداى محملتان بالأكياس .

كانت مس كرافن واقفة بجوار النافذة وتمسك بكف بويد كارنجتون وتنظر اليه فاحصة ورفع بويد رأسه وضحك مرتبكا وقال :

- ان مس كرافن تقرأ لى كفى .. أنها قارئة كف ممتازة .

قالت بربارا فرانكلين فى لهجة جافة :

- حقا .. لم أكن أعرف ذلك .

وبدأ لى أنها قد استاءت لسلوك الممرضة وتأملتها لحظة فى صمت ثم قالت :

- هل لك ان تأخذى هذه الأكياس من الكابتن هاستنجز ثم اعدى لى كوبا من اللبن . اننى متعبة واعدى لى بعض زجاجات من الماء الساخن فسأنام على الفور .

- حسنا يا سيدتى .

وتقدمت الممرضة لكى تأخذ منى الأكياس ..وكان وجهها جامدا لا ينم عن أى شئ..

وقالت مسز فرانكلين :

- بيل .. أرجوك ان تنصرف ، فأننى متعبة .

بدأ القلق على بويد كارنجتون وقال :

- هل ارهقتك هذه الرحلة يا بابس ؟ .. ما أغبانى ! .. كان يجب ان أحرص على راحتك .

رمته مسز فرانكلين بابتسامة ملائكية حزينة وقالت :

- لم أشأ أن أقول شيئا ، فأنت تعرف اننى لا أحب ان أتسبب فى ضجر أى أحد .

وتمنيت لها ليلة طيبة وغادرت الغرفة برفقة بويد كارنجتون . وقال هذا الأخير عندما خرجنا الى الطرقة .

- ما أغبانى ! كانت بربارا شديدة الحيوية والمرح بحيث نسيت حالتها الصحية . أرجو أن تكون فى حالة أحسن غدا .

قلت فى لهجة ميكانيكية :

- سوف لا تشعر بأى شئ بعد أن تستريح الليلة .

ومضى نحو السلم . وبعد لحظة تردد اجتزت الطرقة الطويلة المؤدية الى الجناح الآخر ولأول مرة مضيت الى بوارو على مضض . فقد كانت تدور برأسى أشياء كثيرة وكنت لا أزال أحس فى جوف معدتى بذلك الضيق الذى أحسست به اثناء حديثى مع جوديث .

وبينما كنت أمر بغرفة اللرتون سمعت أصواتا بالداخل . ولا أظن اننى تعمدت أن أسمع ولكننى مع ذلك توقفت لحظة ، وفجأة انفتح الباب وظهرت جوديث . وتسمرت فى مكانها وهى ترانى فأخذتها من ذراعها وجررتها دون أية كلمة الى غرفتى . واحسست فجأة بغضب شديد يجتاحنى ، وصحت :

- ما معنى ان تذهبى الى غرفة هذا الرجل ؟

حدجتنى فى برود دون ان يظهر عليها أي غضب ولزمت الصمت فهززتها من ذراعها وقلت :

- لا أريد شيئا من هذا .. هل تسمعينى ؟ .. الا تدركين معنى لما تفعلين هذا .

جنون .

أجابت فى لهجة لاذعة :

- يبدو ان عقلك معوج .

- هذا بالطبع نوع اللوم الذى يروق لجيلك ان يوجهه الى جيلى . ولكننا على الأقل أكثر منكم تحفظا واعتدالا ، كما أننا نحترم المبادئ الأولية . افهمينى جيدا يا جوديث.. اننى امنعك منعا باتا من مخالطة هذا الرجل .

- اخيرا .. عرفت موقفى الآن !

- هل تنكرين انك مغرمة به ؟

- اننى لا أنكر شيئا .

- انك لا تعرفين حقيقته .. لا يمكن ان تعرفى ذلك .

وفى هدوء وبكل صراحة أعدت عليها القصة التى رواها لى بويد كارنجتون ، واختتمت حديثى قائلا :

- هل عرفت حقيقة هذا الوحش القذر الآن ؟

- أؤكد لك أننى لم أكن أظن أنه قديس ابدا .

- ألا يحملك ما قلت لك على التفكير يا جوديث ؟ .. لا يمكن أن تكونى فاسدة الخلق الى هذا الحد .

- قل ما تشاء .. فلا يهمنى ذلك .

- جوديث .. انك لم .. لست ..

وأحسست بأننى لا أستطيع التعبير عما أريد . وكنت ممسكا بيدها فتخلصت منى فى حركة عنيفة وقالت :

- اسمع يا بابا .. إننى أفعل ما يروق لى فلا داعى لأن ترعد وتحاول أرهابى . سأفعل بحياتى ما أشاء ولن تمنعنى أنت من ذلك .

وبعد لحظة كانت قد انفلتت هاربة من الغرفة .

وأحسست بركبتى تضطربان فتهالكت فوق مقعد وقد بلغ بى الأمر أسوأ ما تصورت . كانت هذه الطفلة مفتونة به تماما ، ولم يكن أمامى من الجأ اليه ، والشخص الوحيد الذى كان يمكن ان يفرض عليها سلطانه هى أمها وقد ماتت .

ولا أظن أننى تألمت فى حياتى كلها بقدر ما تألمت فى تلك اللحظة .

***

- ٤ -

خرجت من جمودى بعد لحظة فاغتسلت وحلقت ذقنى ثم استبدلت ثيابى وهبطت لتناول العشاء . ويبدو أننى تصرفت تصرفا عاديا تقريبا لأن أحدا لم يلحظ اضطرابى

ورأيت جوديث تنظر الى مرة أو مرتين نظرة غريبة ولا ريب أنها دهشت اذ رأتنى قمينا بأخفاء مشاعرى ومع ذلك وفى قرارة نفسى كنت أغلى من الغضب ومصمما على العمل ، ولم أكن بحاجة الا الى الشجاعة والدهاء .

وبعد العشاء خرجنا الى الحديقة ، وبينما كنا نتكلم عن الطقس وعن العاصفة التى تهدد بالهبوب رأيت من ركن عينى جوديث تختفى خلف احدى زوايا البيت ، وبعد دقيقة مضى اللرتون فى نفس الاتجاه فى غير اكتراث ،

وفرغت مما كنت أقول لبويد كارنجتون وابتعدت بدورى . وأمسكنى نورتون من ذراعى وحاول أن يوقفنى مقترحا ان نمضى فى جولة حتى مزرعة الورد ولكننى لم أصغ اليه . ومع ذلك فقد كان لا يزال الى جوارى عندما بلغت زاوية البيت .

كانا هناك .. رأيت جوديث ترفع وجهها والرجل ينحنى فوقها ويجذبها اليه ويقبلها ولكنهما انفصلا فجأة .

وتقدمت خطوة الى الامام . ولكن نورتون امسكنى من يدى من جديد جرنى الى الخلف وقال :

- هلم بنا .. لا يمكن أن ...

قاطعته فى حدة .

- آه . هل تعتقد هذا ؟

- لا فائدة يا صديقى .. هذا شئ مكرر لا يمكنك التدخل اطلاقا .

لم أجب . ولعله كان يعبر عن نظريته العقيمة ولكن لم أستطع ان انضم الى رأيه. واستطرد يقول :

- أننى أعرف مبلغ ما يحس به المرء من الاستياء فى مثل هذه الظروف ، ولكن الشئ الوحيد الذى نستطيع عمله هو الاقرار بالهزيمة .

لم أحاول أن أعارضه ، وألقيت نظرة أخرى الى حيث يقفان . ولكنهما كانا قد اختفيا . غير أنى كنت أعرف أين ذهبا .. بجوار المسنبت الذى يقع خلف الأشجار . وأقتربت من المكان فى صمت واعتقد أن نورتون كان يتبعنى ولكننى لم أكن على يقين من ذلك ولم البث أن سمعت اللرتون يقول :

- حسنا يا عزيزتى . اتفقنا ولا اعتراض اذن .. ستذهبين الى لندن غدا أما أنا فسأزعم اننى ذاهب الى السويد لكى اقضى يوما أو يومين عند صديق لى هناك وعليك أن تتصلى بالتليفون ليلا وان تقولى انك لن تستطيعى العودة ولن يشك أحد عندئذ انك ستتناولين العشاء معى فى مسكنى ، واعدك انك لن تندمى على شئ .

ومرة أخرى احسست بنورتون يشدنى من كمى . واستدرت وتركته يجرنى حتى البيت دون أن أحتج متظاهرا بتقبل الأمر الواقع ، ولكننى كنت أعرف ما سوف أقدم عليه .. وقلت :

- لا تقلق .. انك على حق .. لا يمكن أن نتحكم فى حياة أبنائنا .

ولاحظت أنه تنهد فى ارتياح وقلت له انى أشعر بصداع وأننى ذاهب لكى أنام ، وبهذا لم يكن بمقدوره أن يشك فى شئ .

***

- ٥ -

توقفت فى الطرقة لحظة . كان كل شئ هادئا . ولم يكن هنا أحد . وكانت غرفة نورتون تقع فى نفس الجناح ولكنه كان يلعب البريدج مع مس كول ، وكان كورتيس يتناول العشاء ، وكان الجو أمامى خاليا اذن .

واعتقد أننى اكتسبت خبرة كبيرة فى عملى مع بوارو طوال هذه السنين ، بحيث اننى أصبحت أعرف جيدا الاحتياطات التى لابد لى من اتخاذها .

لن يلتقى اللرتون بجوديث فى لندن غدا ، ولن يلتقى بها فى أى مكان آخر . كان الأمر بسيطا جدا .

ودخلت غرفتى وأخذت أنبوبة الاسبرين ثم تسللت الى غرفة اللرتون ومنها الى الحمام . وكانت الأقراص المخدرة فى مكانها المعتاد . وقلت لنفسى ان ثمانى أقراص تفى بالغرض تماما . وأخذت الأقراص الثمانية من القنينة ووضعت بدلها ثمانية أقراص من الأسبرين ثم اعدت القنينة مكانها بعد أن مسحتها بمنديلى لكى ازيل بصماتى .

وعدت الى غرفتى واخرجت زجاجة الويسكى وكأسين ولم أكن رأيت اللرتون يرفض كأسا أبدا ونويت أن اقترح عليه أن يتناول كأسا معى عندما يصعد .

وأذبت الأقراص فى قليل من الويسكى وذقت طعمه فى حذر . كان مرا بعض الشئ عن الويسكى المعتاد ولكن مرارته لم تكن لتلحظ تقريبا .. سأتظاهر بأننى املأ الكأس عندما يدخل اللرتون معى ثم أقدمه له ، وأصب لنفسى كأسا آخر . كان ذلك شيئا طبيعيا تماما .

وما كان ليستطيع أن يشك فى نواياى الا اذا كانت جوديث قد حدثته عما كان

بيننا . وفكرت فى الأمر لحظة ولكننى ايقنت أنه ليس هناك ما أخشاه لأن جوديث لا يمكن أن تكون قد اطلعته على شئ . وما كان فى مقدوره ان يخمن اننى على علم بمشروعاته من أجل الغد ، ولم يكن أمامى الا أن انتظر . وكان لابد لى ان اتحمل بالصبر لأن اللرتون لم يكن يأوى الى فراشه مبكرا أبدا . وجلست فى مقعدى ورحت انتظر .

وأجفلت شيئا ما وأنا أسمع طرقة على الباب . كان الطارق كورتيس وقد أقبل يقول لى أن بوارو يريدنى .

واستعدت هدوئى على الفور ... بوارو .. لم اكن قد فكرت فيه طوال الليل ... ولا ريب أنه تساءل ما الذى جرى لى . وقد ازعجنى ذلك قليلا لأننى شعرت بالخجل لأننى لم أذهب اليه ولأننى لم أشأ أن اثير ظنونه ثانيا .ومع ذلك فقد تبعت كورتيس .

وصاح بوارو بمجرد أن رآنى :

– حسنا .. يبدو انك هجرتنى وتظاهرت بأننى اتثاءب واغتصبت ابتسامة وقلت :

– أننى آسف جدا ولكننى أحس بصداع شديد ولا أستطيع أن افتح عينى الا بشق النفس .

وكما توقعت أظهر بوارو اهتماما كبيرا وعرض على بعض الادوية . وابدى كثيرا من القلق واتهمنى بأننى تعرضت للتيار خاصة وأن اليوم كان شديد الحر .

ورفضت الاسبرين الذى عرضه على قائلا اننى تناولت بعضا منه ولكن لم يكن يسعنى الا أن أقبل قدحا من الشيكولاته المحلاة وقدمه الى وهو يقول :

– أنها مهدئة للاعصاب .

وازدردت الشراب دون نقاش ثم استأذنته فى الانصراف ، وعدت الى غرفتى واغلقت الباب علانية ، ولكننى واربته بعد ذلك على الفور لأننى لم أشأ ان اجازف بأن يفلت منى اللرتون عندما يصعد . ولكن كان لابد لي من الانتظار وقتا آخر .

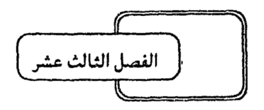
وعدت فجلست على مقعدى ورحت أفكر فى زوجتى ودهشت وأنا اسمع نفسى أقول بعد لحظة .

- انك تفهميننى يا عزيزتى .. يجب أن انقذها .

فقد تركت جوديث فى رعايتى ولم يكن يحق لى أن أخفق فى مهمتى . وفى هدوء وصمت الليل بدا لى أن زوجتى التى أحببتها كل الحب كانت على مقربة منى .

وبقيت مكانى انتظر .

***



الفصل الثالث عشر

- ١ -

نمت وأنا انتظر اللرتون ، ولم يكن هذا بمستغرب بعد الليلة السابقة التى لم أذق فيها طعم النوم تقريبا . ثم أننى كنت قد بقيت فى الهواء الطلق طوال اليوم وأرهقنى القلق والتوتر . ومهما يكن فقد غلبنى النوم وأنا جالس فى مقعدى . وعندما استيقظت كانت الشمس قد ارتفعت فى كبد السماء والعصافير تزقزق فوق الأشجار . وكنت متيبسا متقززا . ولكننى شعرت بارتياح كبير على الرغم من ذلك وصفا ذهنى وادركت أننى كنت مخطئا فى تقديراتى وانني فقدت كل الأبعاد الى حد أننى كنت أنوى الاقدام على جريمة قتل .

ووقعت عيناى على كأس الويسكى فسرت الرعشة فى بدنى ونهضت وأخذته وألقيت به من النافذة . وبعد ان حلقت ذقنى واغتسلت مضيت الى بوارو ، وكنت اعرف انه يبكر فى الصحو ، ورويت له القصة . ويجب ان اعترف بأننى أحسست بارتياح كبير وأنا أفعل ذلك .

وقال وهو يهز رأسه فى هدوء :

- آه .. ما هذه الحماقة يسرنى انك لم تفعل شيئا مما كان يدور فى ذهنك . ولكن لماذا لم تقل لى شيئا أمس ؟

- ذلك اننى كنت مقتنعا بأنك ستثنينى عن غرضى .

- هذا صحيح .. هل كنت تظن اننى سأدعك تقضى أيامك فى السجن بسبب وغد حقير كالميجور اللرتون !

– ما كانوا ليشتبهوا فى أمرى فقد اتخذت احتياطاتى ؟

– هكذا يعتقد كل المجرمين . ولكن دعنى أقول لك؛ يا صديقى أنك لم تكن ذكيا كما كنت تعتقد .

– اننى ازلت بصماتى عن قنينة الأقراص المنومة .

– تماما . وأزلت بصمات اللرتون فى نفس الوقت وما الذى كان يحدث لو أنهم وجدوه قتيلا ؟ .. كانوا سيقومون بتشريح الجثة ويكتشفون انه مات نتيجة لتناوله أقراصا منومة .. ويكتشفون كذلك أن بصماته ازيلت من القنينة ، ولم يكن من المعقول ان يزيلها هو نفسه قبل موته وعندئذ يحللون الأقراص الباقية ويجدون أن نصفها تقريبا قد استبدل بأقراص من الاسبرين . وسيجدون عندئذ ان اللرتون كان يلاحق ابنتك وأنك تشاجرت مع ابنتك أمس لهذا السبب وسيشهد شخصان هما بويد كارنجتون ونورتون بأنك كنت تضمر الشر للرتون .. كلا يا هاستنجز . ما كان الأمر ليمر بسلام . وكان المحققون سيولونك كل اهتمامهم ، وفى اثناء ذلك يكون الخوف وتبكيت الضمير قد أحدثا فعلهما فى نفسك بحيث يفهم رجال البوليس على الفور انك انت الجانى . ومن ناحية أخرى من الجائز أن يكون أحد قد رآك من ثقب المفتاح وأنت تعالج قنينة الأقراص .

– هذا مستحيل .. لم يكن بالمكان أحد . ثم أن الناس لا تقضى وقتها فى التجسس من ثقب الباب كما تقول :

اطبق بوارو عينيه وقال :

– انك ساذج جدا .. دعنى أقول لك أنه تدور بهذا البيت أمور غريبة فيما يتعلق بالمفاتيح . وأنا أحرص دائما على أن أغلق بابى بالمفتاح على الرغم من وجود كورتيس فى الغرفة المجاورة . وقد حدث بعد قدومى هنا بقليل ان ضاع مفتاحى واضطررت أن أصنع مفتاحا آخر بدله .

قلت وانا اتنهد فى ارتياح :

- مهما يكن فلم يحدث شئ .. من العجيب ان يثور الانسان بسهولة هكذا ، ولكن قل لماذا يجب أن أفعل فيما يتعلق بجوديث واللرتون .. يجب أن نوقف هذا الأمر بكل طريقة .

قال صديقى : - وماذا يمكن أن نفعل ؟ ان جوديث ليست طفلة ، ولها كل الحرية فيما تفعل . ولا تتصور أنك من الذكاء أو القوة بحيث تفرض ارادتك عليها وعلى اللرتون . لا شك أنه كانت للرتون مواقف مشابهة مع كثير من الآباء الثائرين ، ونصيحتى اليك هى لو كنت مكانك لوثقت بها .

نظرت اليه فى دهشة كبيرة فقال :

- ان جوديث ابنة عنصرها طيب وانني أعجب بها كثيرا ولا خوف عليها مطلقا ، فهى تعرف كيف تميز بين الخير والشر .

قلت فى ضعف : - أنا أيضا أعجب بها ولكنها تخيفنى جدا .

هز بوارو رأسه وقال :

- وتخيفنى أنا أيضا ، ولكن ليس بنفس الطريقة .. نعم ، اننى خائف .. ولا أستطيع أن أفعل شيئا ، فإن الأيام تمر والخطر يقترب يا هاستنجز .

***

- ٢ -

وأنا الآخر كنت أعرف أن الخطر قريب . وكان لدى من الأسباب ما يحملنى على هذا الاعتقاد بسبب الحديث الذى سمعته بالأمس . ولكننى أخذت أفكر فى الملاحظة التى ابداها بوارو وانا أهبط السلم لتناول طعام الافطار :لو اننى مكانك لوثقت به ..؟

كانت هذه العبارة قد احدثت فى نفسى أثرا طيبا ، ولم ألبث أن أدركت ما فيها من حكمة لأنه يبدو أن جوديث تخلت عن نيتها فى الذهاب الى لندن اليوم لأنها بعد

ان فرغت من طعام الافطار مضت الى المعمل برفقة الدكتور فرانكلين . وبدأ من تصرفهما انهما ينويان قضاء اليوم كله فى المعمل .

واحسست بارتياح كبير يغمر كيانى .. كيف استطعت ان أكون أحمق الى هذا الحد بحيث اعتقدت ان جوديث قبلت اقتراح اللرتون . وادركت الآن أننى لم أسمع موافقتها على اقتراحه بالأمس .. كلا . فهى شريفة وصريحة بحيث لا تقدم على مثل هذا العمل . ولا ريب أنها رفضت أن تذهب الى الموعد .

ولكننى علمت أن اللرتون تناول طعامه مبكرا جدا ثم مضى الى أنه يعتقد أن جوديث ستوافيه فى لندن .. سوف يخيب أمله .

وأقبل بويد كارنتجون فى هذه اللحظة ، وكان عابس الوجه وقال لى أننى أبدو مرحا فأجبته :

- نعم .. فقد سمعت أنباء طيبة :

وأجابنى بأنه لا يستطيع أن يقول هذا القول فقد جاءته مكالمة مزعجة من أحد المهندسين كما جاءته خطابات اثارت جزعه . ثم أنه كان يخشى ان يكون قد أرهق مسز فرانكلين فى نزهة الأمس .

أما مسز فرانكلين فبقدر ما بدت مرحة بالأمس بقدر ما أصبحت عصبية اليوم . أو هذا ما قالته مس كرافن فان الممرضة اضطرت ان تلغى اجازتها ، وكانت تنوى قضاءها عند بعض الأصدقاء ، وأصبحت هى الأخرى عصبية وحادة المزاج بسبب ذلك فقد راحت مسز فرانكلين تطالبها منذ الفجر بالأملاح وبزجاجات الماء الساخن ولم توافق على أن تبتعد مس كرافن عنها لحظة واحدة وأخذت تشكو من أعصابها وقلبها وتشنجات فى ساقيها وغير ذلك .

ويجب أن ابادر فأقول أن أحدا لم ينزعج حقا ، فقد وضعنا كل ذلك على ميول المرأة الشابة ونزواتها . وكانت مس كرافن والدكتور فرانكلين من نفس الرأى . وقد

اسرعوا الى هذا الأخير فى معمله . وقد اصغى الى شكاوى زوجته ثم سألها ان كانت تريد أن يستدعى لها طبيبها المعالج فرفضت وعندئذ أعد لها دواء مسكنا وطمأنها بقدر المستطاع ثم عاد الى معمله .

وقالت مس كرافن :

- أنه يعرف أنها تتصنع المرض طبعا .

- ألا تعتقدين أنها مريضة حقا .

- أن حرارتها عادية ونبضها منتظم .. أحابيل كل ذلك .

كانت الممرضة شديدة الانفعال ، وقد تخلت عن حرصها العادى واستطردت :

- يحلو لها تمنع الناس من اللهو وتريد أن يقلق زوجها عليها وأن ينزعج باستمرار، وأن ادور أنا حولها بدون انقطاع . ويجب أن تقنع سير ويليام أيضا بأنه ليس الا وحشا لأن نزهة الأمس اتعبت " سعادتها " .

وكان من الواضح أن مس كرافن تشعر بالكراهية نحو مريضتها الآن .

وقد افترضت ان مسز فرانكلين اظهرت قسوة كبيرة نحوها لأنها كانت من تلك النسوة اللاتى لا تطيقهن الممرضات ولا الخدم .

وقد تضايق بويد كارنجتون عندما سمع ذلك وأحس بعقدة الذنب . ولا ريب أنه خطر له أنه أرهق المرأة الشابة بالأمس أكثر مما يجب وقد صعد مرتين لاستقاء أنبائها ولكن استقبلته مس كرافن ، ولم تكن هى نفسها فى حالتها الطبيعية فلم تحسن استقباله . وذهب الى القرية بعد ذلك واشترى علبة من الشكولاته وارسلها الى مسز فرانكلين ولكن مس كرافن اعادتها اليه قائلة ان مسز فرانكلين تكره الشكولاته .

وفتح العلبة وهو محزون وعرضها علينا .

وحتى نورتون كان شارد الذهن أكثر من العادة وقد قطب جبينه أكثر من مرة ، وكان يحب الشكولاته وقد التهم منها عددا لا بأس به وهو ضائع فى أفكاره .

وكان الطقس قد تعكر ، وراح المطر يهطل كالسيل ابتداء من الساعة العاشرة . وعند الظهر جاء كورتيس ببوارو الى الصالون وراحت اليزابيث كول تعزف على البيانو مقطوعات لباخ وموزار .

وعاد فرانكلين وجوديث من المعمل فى نحو الساعة الواحدة الا عشرين دقيقة ، وكانت ابنتى شاحبة اللون ومرهقة والقت نظرة مبهمة حولها كما لو كانت ضائعة فى حلم بعيد ثم مضت دون أن تنطق بكلمة . وجلس فرانكلين معنا وبدا هو الآخر متعبا وقلقا . واتذكر اننى نطقت ببضع كلمات عن المطر وارتطم الدكتور بالمائدة وانقلبت علبة الشكولاته فقال فى دهشة :

– أوه ، معذرة .

وانحنى والتقط قطع الشكولاته . وسأله نورتون هل كان يومه متعبا فقال وهو يبتسم :

– أوه . كلا .. كلا .. ولكننى ادركت الآن أننى أخطأت . يجب أن نجد طريقة أسرع وأسهل ، وسنستطيع أن نبلغ الغاية بعد ذلك .

وراح يتأرجح فوق ساقيه وهو شارد النظر وعاد يقول :

– نعم . هذه أفضل طريقة .

***

– ٣ –

ومضى النهار ونحن نعانى من الانفعال وسطعت الشمس بعد الظهر ولكن الطقس كان لا يزال رطبا ، وهبطت مسز لوتريل وعاونوها على الجلوس فى الشرفة وكانت فى صحة جيدة وبدت أكثر فتنة وأقل خشونة عن ذى قبل وراحت تداعب زوجها فى رفق وود .

وكان بوارو قد هبط هو الآخر ، وكان معتدل المزاج . واغتبط وهو يرى الزوجين

على أتم ما يكون من الوفاق والوئام . وبدا أن لوتريل قد صغر عدة سنوات . وبدأ سعيدا مغتبطا ، بل انه اقترح أن يلعبوا البريدج وقال :

- ان ديزى تتلهف للعب .

واعترفت مسز لوتريل قائلة : - هذا صحيح .

واردفت تقول وهى تغمز بعينيها فى خبث : - ولكننى لن ألعب غير دور واحد ولن أهاجم جورج .

وضحك الجميع واستطردت تقول : - أوه .. أننى أعرف عيوبى .. ولكننى كبرت الآن ولن أستطيع اصلاحها ويجب أن تحتملونى كما أنا .

تأملها الكولونل لحظة فى شئ من الغباء . واذ رأينا حسن العلاقات الزوجية بينهما أخذنا نتكلم عن الزواج والطلاق . وتشعب الحديث بيننا وانقسمنا الى فريقين فريق يؤيد الطلاق والآخر لا يحبذه على الاطلاق . وعلى الرغم من اننى كنت سعيدا جدا فى زواجى فقد انضممت الى أنصار الطلاق معللا انضمامى اليهم أن فيه متنفسا للزوجين وأنهما يستطيعان الانفصال اذا أتضح لهما أن تجربة الزواج فاشلة لكى يبدأ كل منهما حياته من جديد وعلى اساس جديد . ولكن فرانكلين لم يشاركنى رأيى هذا وقال أن الزواج عقد اذا ما ربط بين زوجين فلا يجب فصمه بأى حال من الأحوال لأن فصمه سيؤدى حتما الى ضياع المجتمع وتفككه وأردف يقول :

- ان الرجل اذا ما اختار زوجته أصبح مسئولا عنها حتى يفرق بينهما الموت .

ضحك نورتون ضحكة قصيرة وقال : - وهو فراق يأتى أحيانا على الرحب والسعة..

قال بويد كارنجتون : - لا يمكن أن تدلى برأيك فى هذه المسألة يا عزيزى مادمت لم تتزوج قط .

وهز نورتون رأسه وقال : - هذا صحيح . وقد فاتنى القطار الآن .

نظر بويد كارنجتون اليه ساخرا وقال : - هل أنت واثق .. ؟

وانضمت اليزابيث كول ألينا في هذه اللحظة . ولا أدرى هل كان هذا وهما منى أو أن نظرة بويد كارنجتون انتقلت من نورتون الى هذه المرأة الشابة . وخطرت ببالى ذكرة جديدة عندئذ ورحت أراقب مس كول فى اهتمام أكبر . كانت لا تزال شابة جميلة فى نفس الوقت . والواقع أننى وجدتها مخلوقة فاتنة ورقيقة من الممكن أن تتسبب فى اسعاد رجل وتذكرت أنها هى ونورتون قضيا بعض الأوقات معا فى هذه الأيام الأخيرة ، وتذكرت أنها حدثتنى عن نورتون فى عبارات كلها أعجاب .

ولو أن الأمور بينهما كما أتصور حقا فأننى أشعر بالسرور من أجلها فان شبابها الحزين الكئيب لن يقف حائلا بينها وبين سعادتها المقبلة ولن تروح المأساة التى حطمت حياتها عبثا . وفيما أنا أتابعها ببصرى خيل لى أنها أكثر مرحا وسعادة مما رأيتها فى اليوم الذى قدمت فيه لأول مرة .. اليزابيث كول ونروتون .. ؟ نعم ، لم لا . ؟

ولكننى أحسست فجأة بشعور مبهم من القلق والضيق فليس من الخير ولا من الحرص اقامة مشاريع سعادة هنا .. كان فى جو قصر ستايلز شئ غير سليم كنت لا أزال أحس به حتى هذه اللحظة . وأحسست فجأة بأننى شخت وأصابنى الوهن وبأننى خائف أيضا .

غير أن هذا الاحساس لم يلبث أن اختفى بعد لحظة . ولا أعتقد أن أحدا لحظ ما بى فيما عدا بويد كارنجتون الذى اقترب منى بعد دقائق وسألنى قائلا :

- أهناك شئ على غير ما يرام يا هاستنجز ؟

قلت فى غير اكتراث بقدر ما أستطيع : - كلا .. ولكن لماذا هذا السؤال ؟

- يخيل لى أنك تبدو .. يا الهى .. لا أدرى ماذا أقول .. ؟

- آه .. لعله شئ من التوجس . واحساس بأن شيئا سوف يقع .

- هذا غريب .. أنا أيضا أحسست بهذا الاحساس مرتين أو ثلاثا .. ولكن ماذا

يمكن أن يقع ؟

وأخذ يحدق فى وجهى فى اهتمام كما لو كان يتوقع أن يجد فيه ردا على سؤالى . واكتفيت بأن هززت رأسى لأن احساسى لم يكن يقوم على أى أساس فى الواقع ، ولعله لم يكن الا نتيجة للاكتئاب والخوف الغامض الذى كان ينتابنى من وقت لآخر .

وخرجت جوديث من البيت فى خطوات بطيئة ، وكانت رافعة الرأس مطبقة الشفتين وقد ارتسمت على شفتيها أمارات الجد ، وبدت بعيدة كل البعد عن أمها وعنى .. كانت أشبه باحدى كاهنات الوثنيين .. ومضت فى صمت فجلست بجوار الدكتور وقالت :

- ان مسز فرانكلين تشعر بتحسن كبير وتود لو أن نصعد جميعا لكى نشرب معها القهوة الليلة .

***

- ٤ -

بعد أن فرغنا من طعام العشاء صعدنا الى غرفة مسز فرانكلين . وقلت أحدث نفسى ونحن نصعد السلم أنها امرأة غريبة الأطوار حقا وأن لها نزوات شاذة فقد كان أمرها لا يطاق طوال النهار واذا بها تتبدل الآن وتصبح امرأة رقيقة الشعور .

كانت ترتدى ثوبا مكشوفا جميلا أزرق اللون ، وكانت مستلقية فى غير اكتراث فوق أريكتها وبجوارها مكتبة صغيرة دوارة فوقها غلاية وراحت المرأة الشابة تعد لنا القهوة بأصابعها الرقيقة ، تعاونها فى ذلك مس كرافن . وكنا جميعا موجودين فيما عدا بوارو الذى كان يأوى الى غرفته بعد العشاء دائما واللرتون ولم يكن قد عاد من أبسويك بعد ، والكولونل لوتريل وزوجته اللذين بقيا فى الطابق الأرضى .

ولم تلبث أن داعبت خياشيمنا رائحة القهوة اللذيذة . وكانت القهوة فى ستايلز عادة عبارة عن سائل عديم الطعم . وقد تلهفنا طبعا لاحتساء القهوة التى صنعتها لنا

مسز فرانكلين .

وكان زوجها جالسا فى الناحية الأخرى من المكتبة الدوارة وناولها الفناجين والأطباق . وراحت تصب فيها القهوة أولا بأول . وكان بويد كارنجتون واقفا بجوار الأريكة فى حين وقفت اليزابيث كول ونورتون أمام النافذة ووقفت مس كرافن بعيدا بعض الشئ ، وعلى رأس الأريكة . أما أنا فقد جلست فى مقعد ورحت أحاول أن أملا خانات الكلمات المتقاطعة لجريدة التايمز .

وكانت مسز فرانكلين تقلب الملعقة فى فنجانها حين صاحت جوديث فجأة وهى فى الشرفة : - انظروا .. نيزك ..

وأسرع بويد كارنجتون يقول : - أين .. يجب أن يتمنى كل منا أمنية ..

وخرج الى الشرفة وتبعته مس كول ونورتون ثم مس كرافن وفرانكلين . وبقيت أنا جالسا وقد أحنيت رأسى فوق الكلمات المتقاطعة فلم يكن هناك أى سبب يدفعنى الى رؤية النيزك .. لم يكن هناك ما أتمناه ..

وعاد بويد كارنجتون فجأة وقال : - تعالى يا بربارا .

وأجابته مسز فرانكلين : - كلا ... أننى متعبة .

عاد يقول وهو يضحك : - ولكن يجب أن تتمنى أمنية يا بابس ..

وانحنى فوقها وحملها بين ذراعيه فراحت المرأة تضحك وتقول : - بيل . اتركنى.. لا تكن أحمق .

- يجب أن تتمنى شيئا .

وخرج الى النافذة وبربارا بين ذراعيه وأنزلها فى الشرفة فى رفق .

وانحنيت فوق الجريدة فى اهتمام أكثر وقد تذكرت .. كانت ليلة جميلة دافئة . وكان هناك نيزك فى السماء ، وكنت واقفا بجوار النافذة الكبيرة فحملت زوجتى بين ذراعى لكى أريها النيزك ولكى تتمنى أمنية .

وظهرت جوديث بعتبة الباب ودخلت الغرفة .

ولم أشأ أن ترى الدموع فى عينى فأدركت المكتبة وأخذت كتابا وتظاهرت بأننى أقلب صفحاته فى اهتمام وسألتنى جوديث :

- ماذا تفعل يا بابا .. ؟

قلت لها أننى أحاول أن أحل الكلمات المتقاطعة وأننى أبحث عن الذى قال : "حذار من الغيرة فهى وحش أخضر العينين " . فقالت :

- هو يا جو فى مسرحية عطيل لشكسبير .

وعاد الآخرون وهم يتنادرون ويضحكون . وعادت مسز فرانكلين فاستلقت فى مكانها فوق الأريكة . وجلس زوجها مكانه فى الجانب الآخر من المكتبة وراح يقلب ملعقته فى فنجانه فى شرود . واعتذر نورتون ومس كول لأنهما وعدا الكولونل لوتريل وزوجته بأن يلعبا البريدج معهما .

واحتست مسز فرانكلين قهوتها ثم طلبت دواءها . وكانت مس كرافن قد خرجت لحظة فجاءتها به جوديث .

وأخذ فرانكلين يمشى فى الغرفة جيئة وذهابا ولم يلبث أن ارتطم بأحد المقاعد فقالت له بربارا :

- توخ الحذر يا جون .. أنك أرعن حقا .

- معذرة يا بربارا .. كنت أفكر ..

قالت المرأة فى شئ من الانفعال : - انك بليد كالدب . تأملها زوجها لحظة فى شرود ثم قال : - ان الجو جميل الليلة . سأتمشى قليلا .

وخرج ..

وقالت بربارا بمجرد أن اختفى : - لا يبدو عليه ذلك .. ولكنه عبقرى حقا . وأننى شديدة الاعجاب به فهو شغوف بعمله جدا .

وقال بويد كارنجتون في غير اهتمام : - طبعا .. أنه شاب ذكى .

وغادرت جوديث الغرفة فجأة ، وكادت تصطدم بمس كرافن التى عادت فى نفس اللحظة .

وقال بويد كارنجتون : - ما رأيك في أن نلعب الورق ؟ .

- فكرة رائعة .. هل لك أن تأتينا بالكوتشينة يا مس كرافن ..

ومضت الممرضة لكى تبحث عن الكوتشينة ، وشكرت مسز فرانكلين من أجل القهوة ثم تمنيت لها ليلة جميلة وانصرفت .

وعندما خرجت من الغرفة رأيت جوديث وفرانكلين واقفين جنبا الى جنب على مقربة من نافذة الطرقة .. وأدار الدكتور رأسه حين سمعنى أخرج ثم تقدم خطوتين مترددا كعادته وقال :

- ألا تريدين أن تتمشى معى يا جوديث ؟

ولكن ابنتى هزت رأسها وقالت : - كلا ، ليس الليلة .

وأردفت تقول فى لهجة بدت لى خشنة بعض الشئ : - سأذهب لكى أنام . طابت ليلتكما .

وهبطت مع فرانكلين . وكان يبتسم ويصفر بين أسنانه . وقلت : - أراك مسرورا الليلة .

- هذا صحيح ، فقد وفقت فى شئ كنت أعد له منذ وقت طويل ، وأشعر بارتياح كبير .

وتركته عند أسفل السُلم ومضيت الى الصالون حيث بقيت بعض الوقت فى مشاهدة لعبة البريدج .

وغمزنى نورتون بركن عينه خلسة . كان كل شئ يبدو أنه يسير فى انسجام تام . ولم يكن اللرتون قد عاد بعد وبدا لى ان جو البيت دونه كان أكثر احتمالا .

وبعد لحظة صعدت وطرقت باب بوارو . ووجدته يتحدث مع جوديث ، وابتسمت ابنتى له . وقال بوارو :

- انها صفحت عنك يا صديقى .

وأغاظنى عبارته دون سبب وتمتمت : - حقا .. ؟ أكاد لا أصدق ذلك ..

أما جوديث فنهضت واقتربت منى وأحاطت عنقى بذراعيها قائلة :

مسكين أنت يا بابا .. ان عمى هركيول لم يقصد أن يجرح كبرياءك .. أنا التى يجب أن أطلب صفحك .. أوه .. اغفرلى وتمن لى ليلة طيبة .

قلت فى رفق : - معذرة يا جوديث .. لم يكن فى نيتى ..

قاطعتنى قائلة : - أرجوك .. دعنا من ذلك .. كل شئ على ما يرام الآن .

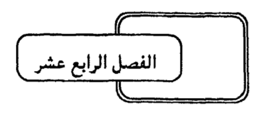
وابتسمت لى مرة ثانية ولكن فى شرود ثم انصرفت ورفع بوارو عينيه الى عندئذ وقال : - حسنا . ما الذى حدث الليلة . ؟

أتيت باشارة مبهمة وقلت : - لا شئ يهم ، ولا أشعر بأن شيئا سيقع الليلة .

ولكننى كنت مخطئا جدا ، فقد وقع شئ فى تلك الليلة للاسف . فقد أحست فرانكلين بألام حادة ، وبعد أن فحصها زوجها استدعى طبيبين آخرين ولكن محاولاتهما راحت عبثا فقد ماتت فى صباح اليوم التالى .

ولم نعرف الحقيقة الا بعد أربع وعشرين ساعة ، فقد ماتت بربارا فرانكلين مسمومة بسم الفيزوستجمين .

***



- ١ -

ودار التحقيق بعد يومين . وكان هو التحقيق الثانى الذى أحضره فى ستايلز .

وقد استمع المحققون أولا الى شهادة الطبيب الشرعى وقد أثبت أن موت بربارا فرانكلين جاء نتيجة التسمم بسم الفيزوستجمين . وأنها تناولت السم فى الليلة السابقة للموت .

وكان الشاهد التالى هو الدكتور فرانكلين نفسه ، وكان دقيقا وواضحا فى شهادته بحيث ترك انطباعا مناسبا فقال أنه بعد موت زوجته على الفور فحص المحاليل التى يحتفظ بها فى معمله واكتشف ان قنينة معينة كانت تحتوى على محلول مركز من قلويات فول كالابار قد استبدل ما كان فيها بالماء العادى ولم يستطع أن يحدد متى تم هذا الاستبدال لأنه لم يستخدم هذا المحلول منذ أيام عديدة .

وتعرض المحققون بعد ذلك الى مسألة الدخول الى المعمل فقال الدكتور فرانكلين أنه يغلق غرفة المعمل بالمفتاح دائما ويحتفظ بالمفتاح معه فى جيبه . وأن مع مساعده مفتاحا آخر ، وأن أى شخص يريد أن يدخل المعمل لابد له من أن يأخذ أحد هذين المفتاحين . وقال ان زوجته أخذت منه مفتاحه فى مناسبات كثيرة كانت تنسى فيها أحدى حوائجها بالمعمل . ثم قال بعد ذلك أنه لم يذهب الى البيت بأى محلول سام .

وأجاب على سؤال لقاضى التحقيق فقال أن زوجته لم تكن مريضة وانما كانت تعانى من أنهيار عصبى منذ وقت طويل وأنها كانت تبدو مرحة فى الأيام الأخير وأنه هو وزوجته كانا على وفاق تام ولم يقع بينهما أى خلاف فى أى وقت من الأوقات .

وأعترف بأنها تحدثت عن الانتحار فى بعض الأوقات رأنه لم يخطر له أنها مجدة فى قولها هذا وأنها ليست من النوع الذى يميل الى الانتحار حقا .

وتلته مس كرافن . وكانت أجابتها واضحة ومحددة هى الأخرى فقالت أنها التحقت بخدمة مسز فرانكلين منذ أكثر من شهرين . وأن مريضتها كانت تشكو من انهيار عصبى شديد وأن شهودا كثيرين سمعوها أكثر من مرة تتمنى أن تتخلص من حياتها لأنه لا فائدة منها ولأنها عبء ثقيل على زوجها .

سألها القاضى : - وكيف تفسرين قولها هذا .. ؟ هل حدث بينهما شجار . ؟

- أبدا . ولكنها كانت تعرف أن زوجها رفض وظيفة هامة بالخارج بسببها .

- هل قالت لك صراحة أنها تريد أن تنتحر ؟

- كانت تقول بصفة عامة : " وددت لو أن أموت " .

- هل رأيت معها قنينة .. أو أى شئ آخر يمكن أن يحتوى على السم . ؟

- كلا ..

- ماذا تناولت مسز فرانكلين فى الليلة التى ماتت فيها .. ؟

- حساء ولحم محمر وبطاطس وبسلة ، وشربت كأسا من النبيذ .

- ومن أين جاء النبيذ ؟

- من زجاجة تحتفظ بها فى غرفتها ، وقد حللوا ما بقى فيها ولم يجدوا به أى أثر للسم .

- الا يمكن أن تكون وضعت السم فى الكأس خلسة ؟

- هذا جائز لأننى لم أكن أنظر اليها باستمرار فقد كنت مشغولة فى تنسيق الغرفة وكانت حقيبتها فى متناول يدها . وكان فى مقدورها أن تضع السم فى كأسها أو فى قهوتها أو فى اللبن الذى شربته قبل أن تنام .

- ألا تعرفين ماذا فعلت بالقنينة التى كان فيها السم .. ؟

فكرت مسز كرافن بضع لحظات ثم قالت : - أظن أنها ألقتها من النافذة ، أو لعلها ألقت بها فى سلة المهملات . ومن المحتمل أنها غسلتها ووضعتها بعد ذلك فى دولاب الأدوية بغرفة الحمام حيث يوجد به عدد من القنانى الفارغة .

- ومتى رأيت مسز فرانكلين لآخر مرة ؟

- فى الساعة العاشرة والنصف . عاونتها فى المضى الى فراشها وأتيتها بكوب من اللبن الساخن وطلبت منى قرصا من الاسبرين .

- وكيف كانت عندئذ ؟

فكرت الممرضة لحظة ثم قالت : - يبدو لى أنها كانت كعادتها ..ومع ذلك ..كلا، ليس تماما .. كانت تبدو شديدة الانفعال .

- لم تكن مكتئبة اذن .

- أبدا .. ولكن المرء الذى يوشك على الانتحار يكون شديد الانفعال طبعا .

واستدعى بويد كارنجتون بعد ذلك . وكان مضطربا فى الواقع ، ولكن شهادته كانت شديدة الوضوح على الرغم من ذلك فقال أنه لعب الورق مع مسز فرانكلين ليلة المأساة ، ولم يلحظ عليها ما يدل على أنها مكتئبة . ومع ذلك ، وقبل ساعات قلائل تكلمت عن الانتحار . كانت امرأة كريمة ونزيهة كان يحزنها كثيرا أنها تقف حجر عثرة فى طريق زوجها لأنها كانت شديدة الاخلاص وتغذى من نحوه أطماعا كبيرة ولكن كان لها لحظات من الانهيار أحيانا .

وتلته جوديث ولكن لم يكن لديها الكثير فقالت أنها لم تدر كيف حصلت مسز فرانكلين على محلول الفيزوستجمين من المعمل ، وأنها كانت تبدو فى ليلة المأساة فى حالتها الطبيعية فيما عدا شئ غير عادى من الانفعال . وصرحت جوديث بأنها لم تسمع مسز فرانكلين تتحدث عن الموت .

وكان هركيول بوارو الشاهد الأخير ، وقد أدلى بأقواله فى هدوء كبير وأحدثت

انطباعا كان له أهميته فبدأ بأن ذكر حديثا دار بينه وبين مسز فرانكلين فى اليوم الأسبق لمصرعها . فقال أنها كانت مكتئبة جدا وأنها أبدت رغبتها فى التخلص من الحياة وأنها كانت شديدة القلق على زوجها بسبب صحتها وأن النوبات السوداوية كانت تعتريها ما بين وقت وآخر بحيث أن الحياة كانت تبدو لها مملة وأنها أردفت تقول ليتها تنام فلا تصحو أبدا .

وأحدث رد بوارو على السؤال التالى للقاضى تأثيرا كبيرا ، فقد سأله القاضى قائلا :

- هل كنت تجلس فى صباح العاشر من يونية على مقربة من باب المعمل ؟

- نعم .

- هل رأيت مسز فرانكلين تخرج منه ؟

- نعم .

- هل كانت تمسك فى يدها شيئا ؟

- كانت تمسك قنينة صغيرة فى يدها اليمنى .

- هل أنت واثق ؟

- كل الثقة .

- هل أنزعجت عندما رأتك ؟

- شيئا ما .

التفت القاضى عندئذ الى هيئة المحلفين وقال : - أيها السادة ، عليكم أن تقرروا الآن كيف ماتت مسز فرانكلين ان التقرير الطبى واضح ولا يترك أى شك فى سبب الموت وهو سم الفيزوسنجمين . ويجب أن توضحوا فى قراركم اذا كانت مسز فرانكلين قد انتحرت . أو قتلت وقد شهد الكثيرون بأنها كانت تشكو من الأنهيار العصبى وأنها كانت عرضة لنوبات من السوداوية . ثم ان مستر هركيول بوارو واسمه معروف

ولشهادته ثقلها وقيمتها يؤكد أنه رأى مسز فرانكلين تخرج من المعمل وفى يدها قنينة ومن هذا نستنتج أنها هى التى أخذت السم وفى نيتها أن تنتحر به ، فقد كانت تعتقد أنها تقف حجر عثرة فى سبيل مستقبل زوجها . واذا كنا لم نعثر على القنينة التى قال مستر بوارو أنه رآها فى يدها فذلك لأنها لاريب غسلتها ووضعتها بين غيرها من القنانى فى الدولاب كما أوحت مس كرافن بذلك . ومهما يكن فانه يتعين عليكم الآن أن تصدروا قراركم .

وبعد مدوالة قصيرة أصدر المحلفون قرارهم بأن مسز فرانكلين انتحرت وهى فى حالة من الجنون المؤقت .

***

- ٢ -

وبعد نصف ساعة كنت فى غرفة بوارو . وكان يبدو مرهقا . وكان كورتيس قد أرقده فى فراشه وبهم بإعطائه دواءه .

واضطررت أن اصبر على مضض الى أن يخرج الخادم ثم صحت أقول : - بوارو .. أهى الحقيقة التى ذكرتها ؟ هل رأيت حقا قنينة فى يد مسز فرانكلين عندما خرجت من المعمل .. ؟

ارتسمت ابتسامة على شفتى المخبر العجوز ثم قال : ألم ترها أنت نفسك يا صديقى ؟

- كلا ..

- ربما لم تلحظها .

- هذا جائز . لن أستطيع أن أؤكد ذلك على كل حال ..

- هل تظن أننى كذبت ؟

- لن يمنعك شئ عن ذلك .

- انك تثير دهشتي وحنقي يا هاستنجز .. أين ثقتك التي كنت توليني اياها . ؟

- لا أستطيع أن أصدق أن تشهد زورا .

ابتسم بوارو مرة أخرى وقال : - أنني لم أشهد زورا لأنني لم أقسم اليمين .

- ولكنك كذبت على الرغم من ذلك .

أتى باشارة مبهمة من يده وقال : - أي صديقي .. لقد انتهى الأمر الآن ولا داعي للعودة اليه .

- أنني لا أفهمك حقا .

- ما الذي لا تفهمه .

- شهادتك بأن مسز فرانكلين أبدت لك رغبتها في الانتحار .

- أنت نفسك سمعتها تعرب عن ذلك .

- نعم . ولكن لم يكن قولها هذا الا مظهرا من نزواتها العديدة .. وانت لم تذكر هذه النقطة .

- لعلني قصدت هذا .

تأملته لحظة في صمت ثم سألته : - هل كنت تتمنى صدور قرار بالانتحار ؟ .

لم يجب بوارو على الفور ثم قال في بطء : - أظن أنك لا تدرك خطورة الموقف يا هاستنجز . نعم .. أنني أردت أن يصدر القرار بالانتحار فعلا .

- ولكنك لا تعتقد أن مسز فرانكلين قد انتحرت مع ذلك .

هز رأسه في بطء وعدت أقول : - اذن فأنت تعتقد أنها قتلت ؟

- نعم يا هاستنجز .. أنها ماتت مقتولة .

- لماذا حاولت كتمان الأمر اذن وعملت على صدور القرار بالانتحار .. ؟

هل هذا ما كنت تريد .. ؟

- نعم ..

- ولأى سبب بالله ؟ .

- ألا تفهم حقا .. ؟ لا أهمية لهذا على كل حال .. دعنا من هذه النقطة .. ولكن لك أن تصدقنى .. أنا ازاء جريمة قتل حقا .. بل أقول جريمة قتل ارتكبت عمدا . قلت لك يا هاستنجز أن جريمة قتل ستقع هنا وأن القاتل قاس وقد عقد العزم على ارتكابها .

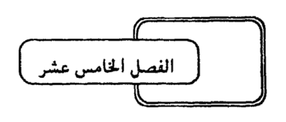
سرت الرعشة فى بدنى وقلت :- وماذا سيحدث الآن ؟

ابتسم بوارو من جديد وقال : - لقد انتهت القضية وحفظت على أنها حادث أنتحار ولكننا سنظل نعمل فى الخفاء أنا وأنت يا هاستنجز .وسوف نتغلب على "س" أن عاجلا وأن آجلا .

- واذا وقعت جريمة قتل أخرى فى أثناء ذلك ؟

- لا أظن أن هذا محتمل الا اذا كان هناك من رأى أو عرف شيئا . ولكن يمكننا أن نثق أنه اذا كان هذا قد حدث لأسرع وأدلى بما رأى أو عرف أثناء جلسة التحقيق .

***



الفصل الخامس عشر

- ١ -

حضر جنازة مسز فرانكلين جمع غفير من أهالى ستايلز سنت مارى ، وبعد أن انفض المشيعون اقتربت منى امرأة عجوز ذات عينين مغمضتين متجهمة الوجه وقالت دون أية مقدمات :

- اننى أذكر جيدا أيها السيد .. رأيتك منذ وقت طويل ، عندما وقعت الجريمة الأولى فى قصر ستايلز ، وقد قلت لك عندئذ أنها لن تكون جريمة القتل الوحيدة .. مسز انجلثورب العجوز . كان زوجها هو الذى قتلها .

وألقت الى نظرة ماكرة وأردفت : - ولعل نفس الشئ قد وقع هذه المرة .

قلت فى لهجة جافة : - ماذا تعنين .. ؟ ألا تعرفين أن القاضى أصدر قرارا بأنها انتحرت .

- ربما أخطأ المحلفون .. ألا يجوز ذلك ؟

ودفعتنى بمرفقها وقالت : - ان الأطباء يعرفون كيف يتخلصون ممن يريدون .

نظرت اليها محنقا فحولت عينيها عنى وقالت أنها لا تقصد شيئا ولكنها أردفت تقول :

- مهما يكن فان من الغريب أن تقع جريمة قتل ثانية وأنت موجود .

تساءلت لمجرد لحظة ان كانت تشك فى أننى أرتكبت الجريمة . وقد أزعجنى هذا الخاطر .. فما أغرب الشك الذى يتولد فى قلب قرية صغيرة ، ومهما يكن فان هذه العجوز لم تبعد عن الحقيقة لأننى كنت أعلم أن مسز فرانكلين قتلت حقا .

ولو اتذكر جيدا الأيام التى تلت المأساة لأن صحة بوارو ازعجتنى قبل كل شئ ،

وقد جائنى كورتيس ذات يوم وقد اكفهر وجهه وزال منه جموده وقال أن سيده أصيب بنوبة حادة وأردف :

- أظن انه لابد ان يعرض نفسه على طبيب يا سيدى .

وأسرعت الى غرفته . وقد رفض اقتراحى بأن أدعو له طبيبا رفضا باتا . واستغربت منه ذلك لأننى كنت أعرف حرصه الدائم على صحته وكان يستشير طبيبه اذا ما شعر بأية وعكة ولكنه اتخذ الآن موقفا عكسيا تماما على الرغم من أنه كان مريضا حقا . وقد حدثته فى ذلك صراحة فقال :

- اننى لم استشر طبيبا واحدا وانما عددا من الأطباء . وقد أرسلنى اخصائيون الى مصر ، ولكن هذه الرحلة لم تحسن صحتى بل زادتها سوءا .

* * *

وذكر لى بعد ذلك اسم طبيب لندنى مشهور فسألته : - وماذا قال ؟

نظر الى نظرة جانبية ثم قال : - بذل من أجلى كل ما يمكن أن يبذله انسان ووصف لى بعض الادوية ولكنه زاد فقال أنه لا جدوى من استشارة أطباء آخرين ... ان الآلة قد استهلكت يا صديقى ولا يمكن أن نغيرها كما نغير محرك السيارة .

وأحسست بقلبى ينفطر وهو يتكلم بهدوء واستطرد يقول : - ان القضية التى تهمنى الآن سوف تكون آخر قضاياى ، وستكون أكثرها أهمية كذلك لأن القاتل فيها رجل شاذ يعمل وفق خطة مدهشة لا يعنى الا الاعجاب بها رغما عنى ، فقد تصرف حتى الآن بذكاء كبير بحيث تغلب علىّ أنا هركيول بوارو ، فقد بدأ حملة أجد نفسى عاجزا عن مواجهتها .

- لو أنك كنت قويا كما كنت من قبل ...

ونطقت بهذه العبارة أحاول التخفيف عنه ، ولكن يبدو أننى تنكبت الصواب لأنه قاطعنى قائلا :

– كم مرة يجب أن أقول لك اننى لست بحاجة الى قوة بدنية لكى اكتشف القاتل.. يكفى أن تفكر وأن تستخدم خلايا مخك .

– آه ... نعم ، طبعا ... انك جدير بأن تفعل هذا حقا .

– هذا صحيح يا صديقى ... انك تغيظنى ... ان ساقى عاجزتان وقلبى يتلاعب بى ولكن ذهنى لا يزال يعمل بدون خلل .

قلت فى رفق : – هذا جميل .

– ومع ذلك وبينما أهبط كنت أفكر فى أن ذهن بوارو المدهش قد تتفوق عليه الأحداث هذه المرة . فقد افلتت مسز لوتريل من الموت بأعجوبة ولكن الحظ لم يواكب مسز فرانكلين ولم يكن فى مقدورنا أن نفعل أى شئ للاهتداء الى القاتل .

***

– ٢ –

قال لى بوارو فى صباح اليوم التالى : – انك اقترحت على أن استشير طبيبا يا هاستنجز .. حسنا . أننى سأعمل باقتراحك وسأستشير الدكتور فرانكلين .

قلت مشدوها : – فرانكلين ... ولكنه يكرس وقته كله للابحاث .

– أنه ليس طبيبا ممارسا ولكنه كفء ويعرف مهنته أكثر من كل زملائه .

لم أشعر بأى ارتياح ، ولم أكن أشك فى كفاءة الدكتور فرانكلين ومقدرته ولكنه لم يكن بالطبيب الممارس .

واذا كان بوارو قد تساهل ورضى ان يستشيره لوجود طبيبه المعالج فى بلدة أخرى بعيدة فان فرانكلين لم يبد أى صعوبة لكى يمضى ويفحصه ولكنه أصر على أن يقول أنه اذا كانت صحة المريض تستدعى علاجا طويلا فلابد له من اللجوء الى طبيبه آخر غيره .

وقضى وقتا طويلا فى غرفة بوارو ، وعندما خرج منها أخذته الى غرفتى وسألته

في قلق : – حسنا .

– انه رجل مدهش حقا .

– أعرف هذا . ولكن كيف حاله ؟

وبدت عليه الدهشة كما لو اننى أشرت الى مسألة لا أهمية لها وقال : – أوه ... ان صحته لا تسر .

وكان رده هذا بعيدا عن أصول مهنته ، وقد استغربت منه ذلك ، ويبدو أنه أدرك ما يجول فى ذهنى لأنه أسرع يقول : – ان أكثر الناس لا يريدون أن يعرفوا حقيقة حالتهم ويفضلون أن نطمئنهم وبهذا يستطيعون أن يتعللوا ببعض الأمل . ويحدث أن يشفى المريض بمعجزة ولكن لن يقع هذا لمستر بوارو بكل أسف .

– هل تعنى ؟ ...

وأحسست بمعدتى تتقلص . وهز فرانكلين رأسه وقال : – نعم . انه هالك ، وأخشى أنه لن يعيش طويلا . وما كنت لأقول ذلك لو أنه لم يصرح لى طبعا .

– هل يعرف ما ينتظره ؟

– طبعا . أنه يعرف أن قلبه قد يتوقف من لحظة لأخرى . وأخشى أن يقع هذا فجأة وفى وقت قريب جدا .

وسكت لحظة ثم قال فى بطء : – وقد فهمت أنه يخشى أن يموت قبل أن يفرغ ... من مهمة بدأها ، فهل تعرف ما هى ؟

– نعم ، للأسف .

نظر فرانكلين الى فى حيرة وقال : – فهمت أنه يريد الفراغ من هذه المهمة قبل أن يدهمه الموت .

وتساءلت اذا كانت لدى الطبيب أية فكرة عن هذه المهمة . واستطرد يقول :

– وأرجو أن يتمكن من ذلك . خامرنى احساسى بأنها على جانب كبير من الأهمية

بالنسبه له . أنه رجل منظم ودقيق جدا .

- ألا يمكن أن نقوم بأى شئ ؟ ... أليس هناك أى علاج ؟

هز رأسه فى بطء وقال : - كلا . ان لديه انبولات من الاميلنترات يجب أن يأخذها عندما يشعر بدنو الأزمة . وليس هناك ما يمكن عمله غير ذلك .

وتردد لحظة ثم أردف ونطق بهذه الملاحظة العجيبة :

- أنه يحترم الحياة البشرية كثيرا ... أليس كذلك ؟

- هذا صحيح .

والواقع اننى سمعت بوارو أكثر من مرة يقول : - اننى لا أحبذ جريمة القتل ... وقال فرانكلين :

- هذا هو الفرق بيننا ، فاننى لا أحترم الحياة البشرية مثله .

تأملته فى صمت . وأحنى رأسه قليلا ولاحت على شفتيه ابتسامة وقال : - هذا صحيح .فما دام لابد من الموت فماذا يهم لو جاء عاجلا أو آجلا .ليس هناك أى فرق .

سألته وأنا أشعر بشئ من السخط : - اذا كان هذا رأيك فما الذى دفعك الى أن تكون طبيبا .

- أى عزيزى ... ليس من مهام الطب أن يؤجل الموت وانما له مهام أخرى أكثر أهميه من هذا ... منها تحسين نوع الحياة ، فاذا مات رجل لا يشكو من أى مرض واذا أختفى غبى أو معتوه فهذا شئ جميل . ولكننا اذاوجدنا طريقة نستطيع بها تغيير خلايا الغبى لكى يصبح رجلا عاديا فإن هذا يكون أجمل .

نظرت اليه فى اهتمام متزايد . كنت أقول لنفسى اننى لن الجأ اليه فى حالة المرض، ولكن كان لابد لى من الاعتراف باخلاصه وقوة شخصيته . وكنت قد لاحظت أنه تغير تغييرا كبيرا منذ ان ماتت زوجته . واذا كان قد أحس بالحزن فانه لم يظهر ذلك وبدا أكثر حيوية وأقل شرودا .

وأردف يقول فجأة مقاطعا أفكاري : - أنت وجوديث شخصان مختلفان تماما .

- أظن ذلك .

- هل تشبه أمها ؟

فكرت لحظة ثم هززت رأسي في بطء وقلت : - كلا . حقا . كانت زوجتي شديدة المرح دائمة الابتسام . لم تعرف الحزن أبدا وحاولت أن تصوغني على صورتها ولكنها لم تنجح كما أعتقد .

وابتسم وقال : - ان جوديث تحبك كثيرا . ولكنها قلما تضحك . أنها فتاة رزينة جدا وهي تجهد نفسها كثيرا في العمل . لكن أظن أن هذه غلطتي أنا .

وغرق في أفكاره من جديد فقلت : - لا ريب أن عملك مثير .

- بالنسبة لأشخاص قلائل لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة . أما الآخرون فيجدونه مزعجا ولا ريب أنهم على حق .

وطوح برأسه الى الخلف واتقدت عيناه حماسا وقال : - ولكنني سأجرب حظي الآن لقد اتصل بي مكتب الوزير اليوم وأخبرني أن الوظيفة مازالت شاغرة وأنها لي اذا أردت . وسوف أرحل بعد عشرة أيام .

- الى أفريقيا ؟

- نعم . وهذا رائع .

- أهكذا سريعا ؟

واعترف انني صدمت لهذا النبأ لأنني لم أكن أتوقعه . ونظر الي وقال : -

- ماذا تعني ؟ أوه .. لعلك تفكر في بربارا .. لا أخفي عنك أن موتها كان عزاء كبيرا لي . ولكن لا وقت لدي لكي أضيعه في التقاليد . انني أحببت بربارا ، وكانت فتاة جميلة ولكنني كففت عن حبها بعد سنة .

وأعتقد ان حبي لها قد طال أكثر من اللازم . وقد خيبت آمالها طبعا لأنها كانت

تعتقد أنها ستستطيع أن تملى على سلطانها ولكنها لم تستطع . وأعترف بأنني كنت وحشا أنانيا ولم يكن يحلو لى الا أن أفعل ما أريد .

– ومع ذلك فقد سبق أن رفضت هذه الوظيفة بسببها .

– نعم . ولكن لأسباب مالية . فقد وفرت لبربارا عيشة فى نفس المستوى الذى اعتادت عليه قبل الزواج . ولو أننى رحلت لألقت نفسها فى موقف مالى بالغ الحرج .

وابتسم ابتسامة صبيانية وقال : – ولكن الأمور تغيرت على أحسن ما يكون .

سألته فى حدة : – ألا يحزنك أن زوجتك انتحرت .

قال فى تفكير : – لا أظن أنها انتحرت .. فهذه نظرية غير معقولة .

ماذا تظن قد حدث لها اذن ؟

– لا أعلم . وأظن أننى لا أريد أن أعلم . هل تفهم .

واتسمت نظراته وأردف يقول : – كلا . لا أريد أن أعلم فان هذا لا يهمنى .

* * *

– ٣ –

لا أتذكر فى أية لحظة بالذات لاحظت أن نورتون كان قلقا ومشغول البال فقد بدأ أثناء جلسة التحقيق والجنازة أشد اكتئابا مما هو فى العادة ، وكان يمشى على غير هدى مقطب الجبين مطرق الرأس . وكان من عادته أن يمر بيده على شعره الأشيب القصير المفروق فى النصف وبطريقة تثير الضحك . وقد ازدادت هذه الحركة دون وعى منه ونمت عن قلقه ، وعندما كان يخاطبه أى أحد كان يرد فى شرود . وأعتقدت أخيرا أن هناك شيئا يقلقه كثيرا وسألته ان كانت قد جاءته أنباء سيئة فأجابنى بالنفى ، ولكن خيل لى بعد ذلك بقليل أنه يحاول أن يعرف بطريقة ملتوية رأيى فى الموضوع الذى يشغله .

وقال متلعثما كعادته عندما يريد أن يتكلم فى شئ يهمه فقال :

– يجب أن يكون من السهل جدا أن يقول المرء اذا كان هذا الشئ خيرا أو شرا .

ومع ذلك فليس هذا من السهل أبدا فى الحالة التى نحن بصددها ، فقد يقع الانسان صدفه على شئ لم يكن مفروضا أن يعرفه . شئ لا يمكن أن يستفيد منه ولكنه قد يكون على جانب كبير من الأهمية . هل تفهم ما أقصد ؟

- ليس تماما .

قطب حاجبيه ومر بيده فى شعره الأشيب وقال : - يتعذر على أن أوضح لك ما أريد . لنفرض مثلا انك رأيت شيئا فى رسالة خاصة ، ولنقل أن هذه الرسالة لم تكن لك وانما لشخص آخر وانك فتحتها خطأ . وبدأت تقرأها مقتنعا بأنها لك . وقبل أن تدرك هذا الخطأ عرفت شيئا لم يكن ينبغى أن تعرفه .. ما العمل فى هذه الحالة ؟

فكرت فى المشكلة لحظة ثم قلت : - أظن أن أوثق شئ هو أن تذهب الى الشخص مفروض أن الرسالة مرسلة اليه وتعتذر له لأنك فضضتها دون أن تدرك .

تنهد نورتون وقال : - قد لا يكون الأمر بهذه البساطة اذا كنت قد عرفت شيئا مزعجا .

- هل تقصد شيئا مزعجا لصاحب الرسالة الأصلى ؟ أظن أنه يجب أن تتظاهر عندئذ بأنك لم تقرأها وانك أدركت الخطأ على الفور .

أجاب نورتون بعد لحظة صمت : - نعم . بلا شك .

ولكنه بدأ غير مقتنع بأن هذا هو الحل الصحيح .

وعاد يقول فى تفكير : - وددت لو أن أعرف ماذا يجب أن أفعل .

أكدت له أننى لا أرى حلا آخر لمشكلته ولكن القلق لم يزاوله وقال : - ولكن قد يكون هناك شئ آخر يا هاستنجز . لنفرض أن ما عرفته عن طريق السهو والخطأ على جانب من الأهمية أيضا لشخص آخر .

قلت فى فروغ صبر : - اسمع يا نورتون . لا أرى ما الذى تهدف اليه حقا . لا يمكن أن تقرأ المراسلات الخاصة ثم تأتى بعد ذلك .

- كلا ، كلا . طبعا . ليس هذا ما عنيت . ثم أنها لم تكن رسالة على كل حال . وانما أبديت لك هذا المثل لكى تفهم . أن كل ما نقرأه أو نراه نحتفظ به لأنفسنا طبعا ما لم ..

- ما لم ماذا ؟ ..

- ما لم يتعلق الأمر بشئ يجب أن يعرفه المسئولون نظرت اليه فى اهتمام جديد فاستطرديقول : - لنفرض انك رأيت شيئا من ثقب المفتاح .

حملنى قوله على التفكير وقلت : - هل أفهم من هذا أنه كان هناك ما يحملك على أن تنظر من ثقب المفتاح ؟ أن يكون المفتاح قد انحشر فى القفل مثلا ولم تتوقع أن ترى ما رأيت .

وفجأة تذكرت اليوم الذى نظر فيه نورتون من خلال منظاره المكبر ورأى طائر أبو منقار . وتذكرت ضيقه وارتباكه عندئذ ومحاولته لكى يمنعنى من أن أرى بدورى لقد خطر لى فى ذلك الوقت أن الأمر يتعلق بى وبجوديث واللرتون ، ولكن الايمكن أن أكون قد أخطأت ؟ .. ربما كان هناك شئ آخر مختف . اننى كنت مضطربا فى ذلك اليوم لا تلح على غير فكرة واحدة فلم أواجه أية نظرية أخرى .

سألته فجأة : - هل هو شئ رأيته من خلال منظارك ؟

بدت عليه الدهشة والارتياح وقال : - كيف .. كيف خمنت ذلك !

- هل كان ذلك فى نفس اليوم الذى كنا فيه فوق الربوة مع مس كول ؟

- نعم .

- ولكنك منعتنى من أن أرى ..

- كلا .. لم يكن .. أعنى .. ما كان يجب أن يعرف أى أحد ..

- ماذا رأيت ؟

تجهم وجهه مرة أخرى وقال :- هنا بيت القصيد هل يجب أن أقول به كان ذلك

نوعا من التجسس ، فقد رأيت شيئا لم يكن مفروضا أن أراه .. ولم أشأ أن أراه حقا فقد كان هناك طائر أبو منقار فعلا .. ولكننى لم ألبث أن رأيت الباقى .

وأمسك ، واستبد بى الفضول . ولكننى احترمت شعوره واكتفيت بأن سألته :

- أهو شىء هام ؟

- لا أدرى .. قد يكون كذلك .

- هل له علاقة بحدث مسز فرانكلين ؟

أجفل وقال :- من العجيب أن تسألنى هذا .

- اننى أصبت التخمين اذن .

- آه . ليس تماما . ولكن هذه النقطة يمكن أن تغير الأمور .. ويجعل لها معنى آخر . ولكن فليذهب كل هذا الى الشيطان .. لا أدرى ماذا أفعل حقا .

كان نورتون مترددا فى الافصاح عما رآه . وقد فهمت تردده لأننى لو كنت مكانه لحذوت حذوه ، فان من المزعج أن تجد نفسك قد وقفت على شئ بطريقة لا يحبذها الآخرون . وفجأة خطرت ببالى فكرة فقلت :

- لماذا لا تستشير بوارو ؟

قال فى دهشة : - بوارو ؟

- طبعا : سله النصح .

قال بعد لحظة :- لعلك على حق .. طبعا .. أنه أجنبى ..

وأمسك من جديد وقد بدأ عليه الارتباك . ولكننى أدركت فيم يفكر فان ملاحظات بوارو اللاذعة عن الأمانة كانت لا تزال ماثلة فى ذهنى . ودهشت اذ أنه لم يفكر فى استخدام منظار مكبر هو نفسه ، ولا ريب أنه ما كان ليحجم عن ذلك لو خطر له أن يفعل وقلت : - أنه سوف يحترم شعورك ولن يفضى بأسرارك لأحد . وستكون لك كل الحرية فى ان تفعل بمشورته أو لا .

أجاب فى تفكير : - نعم .. أظن أننى سأذهب اليه .

***

- ٤ -

كان رد فعل بوارو مدهشا اذ قال لى على الفور : - ماذ تقول يا هاستنجز . أعد على ذلك من فضلك .

وأطعته . وقال فى تفكير : - اذن فقد رأى شيئا فى ذلك اليوم من خلال منظاره ولم يشأ ان يذكره لك . ولكن ألم يتكلم عن ذلك مع أى أحد آخر .

- لا أظن .. بل أننى واثق انه لم يفعل .

- كن على حذر يا هاستنجز . من الضرورى ان لا يذكر أية كلمة ولا أية اشارة فان العكس يمكن أن تكون له عواقب وخيمة . دبر أمرك لكى يأتى الى الليلة .. زيارة ودية صغيرة .. ولكن لا يجب أن يشتبه أحد فى سبب زيارته لى . هل كان معكما أحد آخر فى ذلك اليوم يا هاستنجز ؟

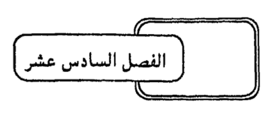
- كانت معنا مس كول .

- هل لا حظت شيئا غريبا فى تصرفات نورتون ؟

حاولت أن أتذكر وقلت : - لا أدرى .. هذا جائز هل يجب أن أسألها ؟

- لا تقل شيئا يا صديقى .. لا تقل شيئا على الاطلاق .

***



الفصل السادس عشر

- ١ -

ذهبت ونقلت رسالة بوارو الى نورتون على الفور فقال : - حسنا . سوف أذهب اليه . ولكننى أكاد أندم الآن يا هاستنجز ، لأننى أطلعتك على هذه القصة .

- لعلك لم تطلع أحدا آخر عليها .

- كلا .. الا اذا .. آه كلا .

- هل انت واثق مما تقول ؟

- نعم . كل الثقة .

- حسنا . لا تذكرها اذن لأى شخص قبل أن ترى بوارو .

- ولم يغب عنى التردد الذى شاب رده الأول ولكن رده الثانى طمأننى . ومع ذلك كان يجب أن أتذكر هذا التردد فيما بعد .

***

- ٢ -

صعدت مرة أخرى تلك الربوة التى جلسنا فيها فى ذلك اليوم ودهشت اذ وجدت اليزابيث كول مرة أخرى .

قالت وهى تدير رأسها نحوى فى اللحظة التى بلغت فيها قمة المنحدر :

- يبدو عليك الانفعال يا كابتن هاستنجز .. هل هناك ما يزعجك ؟

حاولت أن أبدو هادئا وأجبت : - كلا . ولكننى مبهور الأنفاس لا أكثر .

وأردفت أقول فى غير اكتراث :- أظن أن الدنيا ستمطر .

رفعت عينيها الى السماء وقالت : - نعم . أظن ذلك .

ولزمنا الصمت دقيقة أو دقيقتين . كان فى هذه المرأة الشابة شئ ما حملنى الى الميل اليها ، ومنذ أن اعترفت لى بشخصيتها الحقيقية وحدثتنى عن المأساة التى حطمت حياتها وقد أصبح اهتمامى بها يتزايد ، وأن شخصين ابتلاهما الشقاء لابد أن تجمع بينهما صلة عامة وتمنيت أن تبتسم لها الحياة وأن تعرف ربيعا ثانيا .

لم أشعر الا وأنا أقول : - لست منفعلا على الاطلاق ولكننى مكتئب فقد سمعت أنباء غير سارة بخصوص صديقى .

- مستر بوارو ؟

ودفعنى اهتمامها المشوب بالود والعطف الى الافاضة . وعندما فرغت لزمت الصمت لحظة ثم قالت :

- اننى أفهم . قد تأتى النهاية اذن ما بين يوم وآخر .

أومأت برأسى وقد أعجزنى النطق . وقلت بعد لحظة : - حين يمضى سوف أجد نفسى وحيدا فى الدنيا .

- أوه .. ان لديك جوديث وأولادك الآخرين .

- ولكنهم متفرقون فى أركان الدنيا الأربعة .. وجوديث لديها أعمالها وليست بحاجة الى .

- أظن أن الأولاد لا يحتاجون الى الأهل الا اذا واجهتهم مشكلة ما . وهذا قانون دائم لا يتغير . ولكننى وحيدة أكثر منك ، فان أختى الاثنتين بعيدتان ، أحداهما فى أمريكا والأخرى فى ايطاليا .

ولكنك مازلت فى فجر حياتك يا صديقتى العزيزة .

- فى الخامسة والثلاثين من عمرى ؟

- وما الخامسة والثلاثون ؟ .. ليتنى أعود الى هذه السن مرة أخرى .

وأردفت أقول فى خبث : - وأنا كما تعرفين لست أعمى تماما .

نظرت الى مستفهمة ثم أحمر لونها وقالت : - لا أظنك تحسب .. أوه ، أنا وستيفن نورتون لسنا أكثر من صديقين .. لدينا بضع نقاط مشتركة طبعا ولكن ..

- هذا أفضل .

- أنه رجل طيب جدا .

- لا تحسبى أن اهتمام الرجال مبعثها طيبتهم فحسب .. فاننا لم نخلق هكذا .

شحب وجه المرأة الشابة فجأة وقالت فى صوت خافت أجش : - انك قاس ، وأعمى أيضا . كيف أستطيع أن أفكر فى الزواج ؟ . ان أختى قاتلة ، هذا اذا لم تكن مجنونة .. ولا أدرى أيهما أسوأ من الآخر .

- لا تعذبى نفسك بهذه الفكرة .. ولا تنسى أن هذا قد لا يكون صحيحا .

- ماذا تعنى ؟ .. لقد كان صحيحا .

- ولكن تذكرى انك قلت لى ذات يوم .. ربما لم تكن أختك مذنبة حقا .

رفعت يدها الى فمها وحدقت فى مليا وفى خوف وقالت : - انك فقدت عقلك ما الذى يحملك على أن تقول هذا ؟

- سأثبت لك ما أقول ذات يوم .

***

- ٣ -

وعندما عدت الى البيت التقيت ببويد كارنجتون وابتدرنى قائلا :

- هذه آخر ليلة لى فى ستايلز . سأرحل غدا .

- الى كناتون ؟

- نعم .

وتنهد ثم أردف : - ويمكنني أن أعترف لك يا هاستنجز أنه يسرني أن أغادر هذا المكان .

هززت كتفي وقلت :- أنني معك في أن الطعام ليس شهيا جدا ، وأن الخدمة غير ممتازة ولكن ..

- ما كنت الى هذا أشير .. ان ثمن الاقامة معتدل ولا يمكن أن نطلب المستحيل . كلا لم أكن أشير الى نقص في الرفاهية أو في وسائل الراحة وانما كنت أشير الى جو البيت نفسه فهو جو ردئ ولا أدرى كيف أعبر عما يجيش في صدري . ولكن لعل المكان الذي ترتكب فيه جريمة قتل مرة لا يعود كما كان قبل أبدا .. تقع هنا أشياء غريبة .. أولا ذلك الحادث المؤسف الذي وقع لمسز اوتريل .. ثم بربارا المسكينة .

وأمسك لحظة وقد غرق في أفكاره ثم قال : - كنت أظن أنها آخر من تفكر في الانتحار .

ترددت قليلا ثم قلت : - يا الهي .. لا يمكن أن نتأكد .

قاطعني بقول في حدة : - انني متأكد مما أقول ، فقد قضيت معها طوال اليوم السابق لموتها . كانت تتقد حيوية ونشاطا وقد سرتها النزهة ، وكانت شديدة الانزعاج على زوجها بسبب تجاربه . كانت تخشى أن يتمادى الى حد أن يجرب تلك القلويات في نفسه .هل تعرف ماذا أظن يا هاستنجز ؟

- كلا .

- حسنا . ان زوجها هو المسئول عن موتها بزجره وتعنيفه لها ، عندما كانت معي كانت مرحة وسعيدة . ولكنه كان يحملها على الاعتقاد بأنها تعرقل مستقبله .. مستقبله اللعين . ان هذا الرجل مجرد من الاحساس .. تموت زوجته في ظروف مفجعة ولكنه لا يشعر بأي انزعاج ويأتيني ويقول بكل جرأة أنه أصبح في مقدوره الآن أن يرحل الى افريقيا بكل هدوء . والواقع يا هاستنجز انني لن أشعر بأية دهشة اذا ما

قيل لى أنه هو الذى قتل زوجته .

صحت : - ما هذا القول ؟ .. لا أظنك جادا ؟

- كلا طبعا . لا شئ الا لأنه لو أراد أن يقتلها لتصرف تصرفا آخر فان الجميع كانوا يعرفون أنه يجرى تجاربه على سم الفيزوستجمينى وما كان ليستخدمه فى قتلها عندئذ .. ولكننى رغم هذا يا هاستنجز لست وحدى الذى يخطر له أنه غريب الأطوار . وقد سمعت هذا الرأى من شخص فى وضع يمكنه من ابدائه .

أسرعت أقول : - ومن هو ؟

- مس كرافن .

لم أستطع أخفاء دهشتى وقلت : - ماذا ؟

- صه . لا تصرخ هكذا . انها هى التى قالت لى ذلك .. انها فتاة ذكية لا يغيب عنها شئ ولا تحب فرانكلين ولم تحبه قط .

أدهشنى قوله هذا لأننى كنت أظن أنها لم تحب مريضتها أبدا . ولم ألبث أن أدركت فجأة أنها تعرف عن الزوجين الكثير . وقال بويد كارنجتون :

- أنها هنا الليلة .

وازدادت دهشتى لأن مس كرافن كانت قد غادرت ستايلز بمجرد أن انتهت مراسم الدفن .

***

- ٤ -

أظن أنه يجب أن أقول من الآن اننى لم أواجه فى أية لحظة احتمال فشل بوارو ، وفى النضال الذى دار بينه وبين " س " لم يخطر لى أبدا أن الجانى يمكن أن يتغلب عليه . وعلى الرغم من صحة صديقى السيئة فاننى ظللت محتفظا بثقتى فيه واعتبرته أقوى الغريمين لأننى اعتدت منذ سنوات طويلة على نجاحه فى كل قضية من قضاياه .

ومع ذلك فقد كان هو أول من زرع بذور الشك فى نفسى فقد ذهبت اليه لكى أراه قبل أن أهبط لتناول العشاء ولا أدرى لماذا قال لى عندئذ :

- اذا حدث لى شئ ..

واحتججت في قوة وأكدت له أنه لن يقع له شئ فقال : - أنت لم تول أقوال الدكتور فرانكلين أى اهتمام اذن ؟

- ان فرانكلين لا يعرف أكثر من غيره ، وما زالت أمامك سنوات كثيرة يا بوارو .

- هذا جائز يا صديقي ولكنه بعيد الاحتمال . ولكننى كنت أشير الى شئ آخر ، فعلى الرغم من اننى قد أموت من لحظة لأخرى ، فقد لا يروق ذلك لصاحبنا " س " . انه رجل ذكى .. ذكى جدا .. ولن يغيب عنه أن موتى قبل الأوان ، ولو ببضعة أيام سيكون فيه خير كبير له .

- ولكن .. ولكن .. ماذا أفعل عندئذ ؟

- عندما يقع أحد الضباط صريعا فى الميدان فان مساعده يتولى القيادة يا صديقى ، واذا حدث لى هذا فعليك ان تستأنف المهمة .

- وكيف أستطيع ذلك .. اننى لا أعرف شيئا على الاطلاق .

- اننى توقعت كل شئ . اذا وقع لى أى شئ فستجد هنا المستندات التى تحتاج اليها .

وربت بيده على الحافظة المقفولة بالمفتاح والموضوعة بجواره ،

- لا حاجة بك الى كل هذا المكر .. يكفى أن تخبرنى الآن بما يجب أن أعرف .

- كلا .. يا عزيزى .. ان عدم معرفتك ببعض النقاط التى أعرفها ورقة رابحة فى يدك .

- لعلك تركت له بيانا مفصلا عن كل القضية .

- كلا طبعا .. فان " س " قد يحاول الاستيلاء عليه .

- ماذا تركت لى اذن ؟

- ارشادات لا قيمة لها بالنسبة لـ " س " ولكنها سترشدك أنت الى الحقيقة .

- لست واثقا من ذلك . ما هذه العقلية المعوجة يا بوارو . انك أحببت دائما أن تعقد الأمور .

- أظن أنها عادة متأصلة عندى ، ولعلك على صواب ، ولكن اطمئن .. ان ارشاداتى ستقودك الى الحقيقة .

وسكت لحظة ثم استطرد : - ومن يدرى . لعلك تتمنى عندئذ لو انك لم تعرف هذه الحقيقة أبدا .

وكان فى صوته رنة جعلتنى أشعر مرة أخرى بذلك الخوف المبهم الذى سبق أن أحسست به قبل ذلك مرة أو مرتين . فقد بدا لى كأن هناك شيئا خفيا لا أريد أن أراه ولا أستطيع أن أحتمل رؤيته .. شيئا أعرفه فى قرارة نفسى ويستعصى على فهمه .

ولكننى لم ألبث أن طرحت هذه الفكرة من رأسى واستأذنت من بوارو وهبطت الى غرفة الطعام .

***



- ١ -

كان العشاء مرحا ، وقد حضرته مسز لوتريك وحاولت جهدها ان تكون ظريفة بلهجتها الايرلندية الكاذبة . وظهرت مس كرافن لاول مرة بزى عادى غير زى الممرضة وخيل لى الآن وقد تخلت عن تحفظها المهنى فانها أصبحت أكثر جمالا وفتنة .

وبعد أن فرغنا من الطعام أعلن نورتون أن فى نيته أن يمضى لزيارة بوارو فقال بويد كارنجتون .

- هذه فكرة طيبة . أظن أننى سأرافقك .

تدخلت على الفور قائلا : - معذرة .. ان صديقى متعب جدا ولا يستطيع أن يتحدث الى أكثر من شخص واحد فى نفس الوقت .

ونهض نورتون وأسرع يقول : - انما سأذهب اليه بكتاب عن الطيور كنت قد وعدته به .

ورافقت نورتون . وكان بوارو ينتظره . وبعد أن تبادل معه بضع كلمات هبطت الى الصالون وبدأنا نلعب البريدج .

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة الا الربع عندما ذهبت الى غرفتى . وكانت العاصفة قد اشتدت وراح الرعد يدوى من وقت لآخر . وبدأ النوم يتغلب على عندما أيقظتنى حركة . وحسبت فى بادئ الامر أن بعضهم طرق بابى فصحت أقول فى صوت يغالبه النعاس " ادخل " . ولما لم أسمع ردا أشعلت المصباح وتسللت خارج الفراش ومضيت الى الباب لكى ألقى نظرة الى الطرقة .

رأيت نورتون يخرج من غرفة الحمام ويدخل غرفته . وكان يلبس ثوبه المنزلى ذا المربعات البغيض اللون . وكان مشعث الشعر كعادته . وأغلق الباب خلفه ثم سمعت المفتاح يدور فى قفل الباب على الفور .

ودوى الرعد فى هذه اللحظة واقتربت العاصفة فقدته الى فراشى وأنا أشعر بهاجس غريب.هل من عادة نورتون أن يغلق بابه بالمفتاح ؟ أو هل نصحه بوارو بذلك زيادة فى الاحتراس . وأحسست بشئ من الجزع عندما تذكرت أن مفتاح غرفة بوارو اختفى بطريقة غامضة بعد قدومه بقليل .

وتمددت فوق فراشى ولم أغمض عينى وقد ازداد احساسى بالقلق . وراح الرعد يدوى ويزداد معه انفعالى ، ونهضت أخيرا وأغلقت أنا الآخر غرفتى بالمفتاح ثم عدت الى فراشى ونمت .

وفى صباح اليوم التالى ذهبت الى غرفة بوارو قبل أن أهبط لكى أتناول طعام الافطار . وكانت حالته قد ازدادت سوءا . وسألته قائلا :

- كيف حالك هذا الصباح ؟

ابتسم ابتسامة شاحبة وقال : - ما زلت أعيش يا صديقى ولكننى متعب جدا .

- ماذا حدث أمس ؟ هل قال لك نورتون ماذا رأى فى ذلك اليوم ؟

- نعم . قال لى ذلك .

- وماذا رأى ؟

- لا أدرى يا هاستنجز هل من الخير أن أقول لك ذلك ، فانك قد تسئ الفهم .

- ولكن تكلم .

- قال لى أنه رأى شخصين .

صحت : جوديث واللرتون طبعا . ظننت ذلك فى حينه .

- كلا . ألم أقل لك أنك ستسئ الفهم .

– قلت مرتبكا : – معذرة .. من رأى اذن ؟

– قد أقول لك ذلك غدا .. أما الآن فدعنى أفكر .

وأطبق عينيه وأسند رأسه فوق الوسادة وقال : – لقد انتهت القضية الآن ، ولم يبق أمامى غير بضع نقاط تحتاج الى توضيح . أهبط الآن وتناول طعامك يا صديقى وأبعث الى بكورتيس .

وأطعته دون أى احتجاج فقد أردت أن أرى نورتون وأن أعرف ماذا قال لبوارو فقد أدهشتنى حالة هذا الأخير وما عليه من حزن لم أجد له تعليلا .

ولكن نورتون لم يكن فى غرفة الطعام . وبعد أن تناولت أفطارى خرجت للقيام بجولة فى الحديقة ، وكانت عاصفة الأمس قد رطبت الجو ورأيت أن المطر قد هطل كثيرا . وكان بويد كارنجتون واقفا فى الشرفة وقال يخاطبنى :

– انك تأخرت اليوم كثيرا .

قلت : – هذا صحيح ، فقد نمت الليلة أكثر من العادة .

– كانت العاصفة شديدة بالأمس . هل سمعت الرعد ؟ أننى لم أكن فى أحسن حالاتى أمس . هل سمعت الرعد ؟ ..

وتمطى . ثم تثاءب وقال : – أين نورتون ؟

أجبت : – أنه لم يهبط بعد . أنه كسول كما تعرف .

ورفعنا أعيننا فى وقت واحد فقد كانت غرفة نورتون فوقنا بالذات وادهشنا أن نرى أنها هى الغرفة الوحيدة التى مازالت نوافذها مغلقة وقلت :

– هذا عجيب . هل تظن أنهم نسوا أن يوقظوه ؟

– هذا عجيب حقا . أرجو أن لا يكون مريضا . لنصعد لكى نستطلع الأمر .

وصعدنا السلم معا . وكانت الخادمة تقف فى الطابق الأول وكانت على شئ من الغباء . وردت على سؤال بويد كارنجتون وقالت أن نورتون لم يرد عليها عندما قرعت

بابه . واقتربت من الباب ورأيت أنه مقفل بالمفتاح من الداخل وخامرني احساس كئيب فدفعت الباب بكتفي وأنا أقول : - نورتون .. نورتون .. استيقظ .

ولكنه لم يرد .

***

- ٢ -

وعندما تحققنا أننا لن نسمع منه ردا بحثنا عن الكولونل لوتريل ، واصغى الينا وهو يفتل شاربه في ارتباك ولكن زوجته كانت أسرع منه في اتخاذ القرار فقالت دون أي تردد :

- يجب أن نفتح هذا الباب بأية طريقة .

وللمرة الثانية في حياتي شهدت بابا يتحطم في قصر ستايلز ووجدنا خلف الباب ما سبق أن وجدناه في المرة الأولى : جثة هامدة .

كان نورتون راقدا في فراشه وكان مرتديا ثوبه المنزلي وكان لا يزال ممسكا بقبضة مسدس صغير في يده . كان يبدو كلعبة صغيرة ولكنه كان قد قام بدوره فقد رأيت في منتصف جبين نورتون ثقبا . وكان مفتاح غرفته في جيبه .

***

- ٣ -

وما أن دخلت غرفة بوارو حتى دهشت لما طرأ على وجهه من تغيير .

وسألني يقول على الفور :

- ماذا حدث ؟ .. نورتون ؟

- مات .

- متى وكيف ؟

أطلعته على ما حدث في بضع كلمات واردفت : - هو انتحار بالتأكيد ، فلا يمكن

أن نواجه احتمالا آخر فقد كان الباب مقفلا بالمفتاح من الداخل . وكان المفتاح فى جيبه وكانت النوافذ مغلقة هى الأخرى . وقد رأيته أمس وهو يدخل غرفته وسمعت المفتاح يدور فى القفل .

– تقول انك رأيته ؟ .. هل أنت واثق انه هو ؟

– طبعا ، فأننى لو رأيت ثوبه البغيض فى أى مكان لعرفته على الفور .

قال بوارو وقد استعاد طريقته السالفة : – آه يا صديقى ولكننى أريد أن أتأكد هل رأيت الرجل نفسه ؟ .. ان أى شخص يستطيع أن يرتدى ثوبه .

قلت فى بطء : – صحيح أننى لم أر وجهه .. ولكننى رأيت شعره المشعث .. ثم انه كان يعرج .

– ان أى شخص يمكن أن يتظاهر بأنه يعرج يا هاستنجز .

نظرت اليه مشدوها وقلت : – هل تزعم أننى رأيت شخصا آخر غير نورتون ؟

– لا أزعم شيئا من هذا ، ولكن الأسباب التى تبرر بها انك رأيت نورتون لا تروق لى . ولا تظن لحظة واحدة اننى أريد الايحاء بأنه لم يكن هو ، وانه لمن المتعذر أن تكون قد رأيت شخصا آخر لأن كل المقيمين هنا أطول منه قامة . ومع ذلك فان الأمر يبدو كما لو كان سحرا ، يدخل غرفته ويغلق الباب عليه بالمفتاح ويضع المفتاح فى جيبه ، وفى الصباح يجدونه ميتا والمفتاح فى جيبه !

– أنت لا تعتقد اذن أنه .. انتحر ؟

هز بوارو رأسه فى بطء وقال : – كلا . ان نورتون لم ينتحر ، وانما قتل .

* * *

– ٤ –

هبطت وأنا فى شدة الاضطراب . وكان الأمر مستغلقا جدا ، ولا ريب أننى أستحق الصفح لأننى لم أفهم ولم أتوقع النهاية الأخيرة ويرجع ذلك الى أن عقلى المضطرب لم

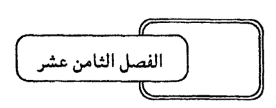
يكن يعمل كما يجب .

ومع ذلك فقد كان كل شئ واضحا تماما . فقد قتل نورتون .. ولكن لماذا ؟ .. وقلت لنفسى لكى يحولوا بينه وبين أن يذكر ما رآه طبعا .

ولكنه أفضى بما يعرفه لبوارو ، وقد أصبح بوارو الآن فى خطر .. لم يكن فى خطر فحسب وانما كان عاجزا عن الدفاع عن نفسه .

وكان يجب أن أفهم .. بل كان يجب أن أتوقع .. فعندما ذهب اليه كورتيس وجده قد فارق الحياة .

***



الفصل الثامن عشر

كنت أتمنى أن لا أكتب ما يلى ، بل اننى وددت أن لا أفكر فيما حدث بعد ذلك . فقد مات هركيول بوارو .. ولكننى سأحاول على الرغم من ذلك أن أسرد الحقائق بكل بساطة ، وهذا كل ما أشعر بأننى مستطيعة .

قيل أن هركيول بوارو مات موتة طبيعية وبالتحديد بالسكتة القلبية ، كما توقع الدكتور فرانكلين ، لاريب أن الصدمة التى أحس بها عند موت نورتون هى التى تسبب فى أزمته ، ولكننى أظن أنه قد حدث سهوا وأن انبولات الالمنترات لم تكن فى متناول يده لسبب من الأسباب .

ولكن هل كان ذلك سهوا حقا ؟ ألم ينقلها أحد من مكانها عمدا ؟ ولكن لاريب أن شيئا آخر قد حدث لأن ما من أحد كان يتوقع أن تحدث له أزمة فى ذلك اليوم بالذات . ومع ذلك فلم أصدق أن موتته كانت طبيعية ، فقد قتل هركيول بوارو كما قتل نورتون وكما قتلت بربارا فرانكلين .. قتلوا جميعا ولا أدرى لماذا أو من الذى قتلهم .

وأفضى التحقيق الى أن نورتون مات منتحرا ومع ذلك فقد قال الطبيب الشرعى أنه ليس من المعتاد أن ينتحر المرء بأن يطلق الرصاص فى منتصف جبهته . كانت هذه هى النقطة المزعجة فى الأمر لأن كل الباقى كان واضحا تماما فقد كان الباب مغلقا من الداخل بالمفتاح وكان المفتاح فى جيبه وكانت النوافذ مغلقة والمسدس لا يزال فى يده . وصحيح أن نورتون كان يشكو كثيرا من الصداع فى الأيام الأخيرة ثم انه تعرض لخسارة جسيمة فقد هبطت قيمة الأسهم التى كان يملكها هبوطا ذريعا . ولكن كانت

كل هذه الأسباب لا تبرر الانتحار . ومع ذلك فقد كان الانتحار واضحا لا يقبل الشك كان المسدس ملكا لنورتون وقد رأته الخادمة مرتين في غرفة نومه . وعلى الرغم من ذلك فقد اعتقدت اعتقادا راسخا انها جريمة قتل دبر مرتكبها لكي تبدو كما لو كانت انتحارا .

وهكذا انتصر " س " على بوارو .. ولكن من هو " س " كان على الآن أن أهتدى اليه .

صعدت الى غرفة بوارو وأخذت حافظته الجلدية ، وكان لى الحق فى ذلك تماما لأننى كنت أعرف أنه عيننى لكى أكون منفذا لوصيته . وكان مفتاح الحافظة معلقا فى عنقه .

ولكن عندما عدت الى غرفتى وفتحت الحافظة أصبت بأكبر صدمة فى حياتى فقد اختفت الملفات الخمسة التى سبق أن تحدثنا عنها ، وكنت قد رأيتها بالأمس لآخر مرة عندما فتح بوارو الحافظة أمامى . وكان فى اختفائها أكبر دليل على تدخل القاتل لأننى استبعدت تماما أن يكون بوارو قد أتلفها بنفسه .

س .. دائما الشيطان اللعين !

ومع ذلك فلم تكن الحافظة فارغة تماما . وتذكرت وعد بوارو . كان لابد أن أجد بعض الارشادات التى تقودنى الى الحقيقة ولكن لم يكن بالحقيبة غير كتابين . نسخة عادية من عطيل لشكسبير ومسرحية من تأليف سنت جون ارفين عنوانها جون فيرجسون ، وكان بهذا الكتاب الأخير شريط بين صفحات الفصل الثالث .

ونظرت الى الكتابين مشدوها . لو أن هذه هى الارشادات التى تركها لى بوارو فانها لن تفيدنى بأى حال من الأحوال وقلت لنفسى على الفور لابد أن هناك شفرة أساسها فى هذين الكتابين ، ولكن كيف أجدها . لم يكن هناك أى خط تحت أية فقرة أو أية كلمة أو أى حرف . وعرضت الكتابين على درجة من السخونة ولكن دون أية

نتيجة .

وقرأت الفصل الثالث من مسرحية جون فيرجسون بعناية كبيرة ولكننى لم اهتد الى شئ . وفيما أنا أقلب صفحات الكتاب وقعت منه ورقة فأسرعت بالتقاطها ، وما كانت أشد دهشتى عندما قرأت فيها عبارة كتبها بوارو بخط يده . وهذا نصها :

" اذهب لمقابلة خادمى جورج " .

وهكذا عثرت أخيرا على شئ يمكن أن يكون اشارة ، ولعله مفتاح الشفرة ، هذا اذا كانت هناك شفرة .. يجب أن أبحث عن عنوان جورج الآن وأن أمضى اليه .

ولكن كان على قبل ذلك أن أفرغ من تلك المهمة الحزينة ، وهى دفن صديقى . وكان قد عاش فى هذه الناحية من قبل عندما وضع قدمه لأول مرة فى انجلترا ، وكان لابد أن يرقد فيها الآن رقدته الأخيرة .

وفى أثناء هذه الأيام العصيبة أظهرت جوديث نحوى طيبة كبيرة فلم تفارقنى تقريبا وأحاطتنى برعايتها وعطفها وساعدتنى فى اتمام الاجراءات المختلفة . وأبدت اليزابيث كول وبويد كارنجتون ودا وعطفا كبيرا نحوى بدورهما . وبدأ على المرأة الشابة أنها لم تحزن كثيرا لموت نورتون كما كنت أتوقع . واذا كانت قد حزنت حقا عليه فقد أخفت شعورها فى داخلها .

***

- ٢ -

وانتهت اجراءات الدفن أخيرا وجلست مع ابنتى وحاولت أن أخطط للمستقبل عندما قاطعتنى قائلة : - ولكننى لن أكون هنا يا بابا .

- لن تكونى هنا ؟ .. ماذا تعنين ؟

- لن أكون فى انجلترا .

نظرت اليها فى ذهول فعادت تقول : - لم أشأ أن أتكلم معك فى هذا الأمر قبل

اليوم لأننى حرصت على عدم ازعاجك ، ولكن يجب أن أصارحك الآن ، وأرجو أن لا يضايقك ذلك كثيرا . اننى سأرحل الى أفريقيا مع الدكتور فرانكلين .

لم أستطع أن أملك نفسى .. ما كان ليجدر بها أن تفعل هذا ، وسوف يجد الجميع فى هذا العمل مادة للثرثرة . فان مساعدة للدكتور فرانكلين ، خصوصا وزوجة هذا الأخير على قيد الحياة شئ ، وان ترحل الى أفريقيا معه فشئ آخر . كان هذا مستحيلا وكان لابد لى من الاعتراض بكل الطرق ، فلا يجب أن تتصرف هكذا ، بل لا يمكن أن تتصرف هكذا .

وتركتنى أتكلم من غير أن تقاطعنى . ثم ابتسمت أخيرا وقالت : - ولكن يا أبى العزيز .. لن أرافقه كمساعدة وانما كزوجة .

أحسست كأننى تلقيت ضربة شديدة فوق جبينى وقلت متلعثما :

- ولكن .. والله .. اللرتون ؟

قالت جوديث فى شئ من المرح : - لم يكن بينى وبينه أى شئ أبدا . ولولا انك أثرت حنقى بظنونك وشبهاتك لأخبرتك بذلك من قبل . ثم اننى أردت أن أتركك تعتقد ما أعتقدت .. حرصت على أن لا تخمن أن الأمر يتعلق بـ .. بجون .

- ولكننى رأيتك تعانقين اللرتون تلك الليلة .

- أوه .. اننى أعرف . شعرت فى تلك الليلة بأننى تعيسة وحائرة .. وهذه أشياء تقع كما تعرف .

- ولكنك لا تستطيعين الزواج بفرانكلين هكذا سريعا .

- بل أستطيع ، فاننى أريد أن أرافقه وليس هناك ما يحدونا الى الانتظار .الآن . جوديث وفرانكلين ! .. فرانكلين وجوديث !

لا يمكن للقارئ أن يفهم الأفكار التى دهمتنى فى تلك اللحظة .. أفكار كان يختزنها العقل الباطن منذ بعض الوقت .

جوديث وفى يدها قنينة .. جوديث تصرح فى حماس كبير أنه يجب استبعاد والناس الذين لا يرجى أى نفع منهم . أيكون الشخصان اللذان رآهما نورتون هما جوديث وفرانكلين ؟ .. ولكن اذا صح هذا ..اذا كان هذا هو ما حدث .. كلا . لا يمكن أن يكون ذلك . لا يمكن أن تقدم جوديث على مثل هذا العمل .. ربما فرانكلين ، فهو رجل مجرد من كل شعور واحساس ، واذا كان قد عقد النية على القتل فان فى مقدوره أن يقتل من جديد .

لقد أراد بوارو أن يستشير فرانكلين فلماذا ؟ وماذا قاله له فى ذلك اليوم ؟ لقد بدا لى صديقى العزيز غريب الأطوار فى ذلك اليوم لقد قال لى .. ومن يدرى ، لعلك تتمنى عندئذ لو انك لم تعرف هذه الحقيقة أبدا .

وفجأة خطرت ببالى فكرة .. وكانت بشعة فظيعة .. الا يمكن أن تكون كل هذه القصة التى تدور حول " س " . قصة مختلفة لا أساس لها من الواقع ؟ ألا يمكن أن يكون بوارو قد أقبل الى ستايلز لأنه كان يخشى وقوع مأساة بين آل فرانكلين ؟ أيكون قد أقبل لمراقبة جوديث ؟ الهذا السبب لم يشأ أن يطلعنى على شئ لأن قصة " س " . لم تكن فى الواقع الا ستارا من الدخان حاول به اخفاء الباقى ؟

أتكون جوديث .. ابنتى جوديث محور الفاجعة كلها ؟ كنت قد أخذت كتاب عطيل من المكتبة فى الليلة التى ماتت فيها مسز فرانكلين . أيكون هو الدليل ومفتاح اللغز .

***



الفصل التاسع عشر

أكتب هذه السطور وأنا فى ايستبورن حيث انتقلت لمقابلة خادم بوارو القديم . وكان جورج قد قضى فى خدمة صديقى الحميم سنوات ، عديدة وهو رجل كفء قدير ولكنه كان يفتقر الى الخيال وقد حزن كل الحزن لوفاة بوارو وان كان قد حاول اخفاء مشاعره .

وسألته بعد فترة :

- أنه ترك لى رسالة معك ، أليس كذلك ؟

- لك أنت يا سيدى ؟ .. كلا . لم يترك لك شيئا .

وأدهشنى رده والححت عليه ولكنه كان قاطعا وأكد لى أن بوارو لم يترك لى أية رسالة . واضطررت أن أتراجع أخيرا قائلا :

- لا ريب أننى أخطأت . تمنيت لو أنك كنت بجواره فى أيامه الأخيرة .

- كنت أود ذلك يا سيدى .

- ولكن أباك كان مريضا طبعا ، وكان لابد لك أن تكون معه .

تأملنى جورج لحظة فى ذهول ثم قال :- معذرة ياسيدى .ولكننى لا أفهمك جيدا .

- أقول انك اضطررت لمفارقة مستر بوارو لكى تعنى بأبيك المريض .

- ولكننى لم أكن أريد مفارقته يا سيدى .. انه هو الذى أقصانى عنه .

رددت دون أن أفهم : - أقصاك ؟

- لا أريد أن أقول أنه طردنى . كان المفروض أن أعود الى خدمته فيما بعد . ولكننى رحلت كما أراد.. وقد أنقدنى مرتبى طوال الوقت الذى قضيته مع أبى .

- ولكن لم كل هذا يا جورج ؟
- لا أدرى يا سيدى .
- ألم تسأله ؟
- ما كنت لأسمح لنفسى بهذا يا سيدى ، فقد كانت له آراؤه الخاصة . كان ذكيا جدا وكنت أكن له أكبر الاحترام .
قلت فى شرود : - نعم . طبعا .
- كان شديد الصعوبة فيما يتعلق بثيابه وهندامه ، كما كان يعنى بشعره وشاربه كل العناية .
- آه .. لقد كان شاربه هذا فريدا .. أظن أنه كان يصبغه هو الآخر كما كان يصبغ شعره .
- كان يصبغ شاربه من وقت لآخر أما شعره فلم يعد يصبغه منذ بضع سنوات .
- ولكن هذا مستحيل . لقد كان لونه أسود جدا ويبدو طبيعيا كما لو كان باروكة

***

سعل جورج فى ارتباك وقال : - ولكنه كان باروكة بالطبع يا سيدى ، فقد مستر بوارو الجزء الأكبر من شعره فى السنوات الأخيرة ولهذا لجأ الى الباروكة .
ورأيت أن من العجيب حقا أن يعرف الخادم عن سيده أكثر مما يعرف أخلص أصدقائه ، ولكننى عدت الى الموضوع الذى يهمنى فقلت :
- ألا تعرف لماذا أبعدك مستر بوارو عنه بعض الوقت حقا ؟ فكر جيدا .
- لا يسعنى الا أن أتصور شيئا واحدا يا سيدى ، وهو أنه فعل ذلك لأنه أراد أن يلحق كورتيس بخدمته .
- كورتيس ؟ .. ولكن لماذا أراد أن يلحقه بخدمته .
سعل جورج مرة أخرى وقال : - اذا أردت الحق يا سيدى فإننى لا أدرك . لقد

رأيت كورتيس مرة واحدة وبدا لى أنه يفتقر الى الذكاء . كان قويا ولكن خيل لى أنه لا ينتمى الى طبقة الخدم التى تروق لبوارو وأظن أنه كان فى يوم من الأيام مستخدما فى احدى المصحات .

نظرت اليه مشدوها .. كورتيس !

الهذا السبب رفض بوارو أن يثق بى ويفضى الى بسره ؟ .. كورتيس ! .. الرجل الذى لم أفكر فيه لحظة واحدة ؟ .. لقد تركنى بوارو أبحث عن " س " . الغامض بين ضيوف ستايلز وهو يعلم جيدا أنه ليس بينهم .

كورتيس ! ..

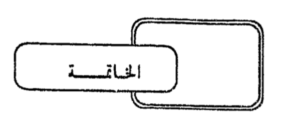
كان فى يوم من الأيام مستخدما فى احدى المصحات .ألم أقرأ ذات يوم أن المرضى الذين يعالجون فى احدى المصحات يبقون فى خدمتها فى أغلب الأحيان ؟ .. انه رجل غريب الأطوار متبلد الذهن استطاع أن يقتل لسبب غامض تولد فى عقله المختل .

ولكن ، اذا كان الأمر كذلك ؟

وبدا لى أن سحابة مظلمة تبتعد عنى .

كورتيس ! ..

***



الخاتمــــة

بعد مضى أربعة شهور على وفاة صديقى هركيول بوارو جاءتنى كلمة من أحد المحامين يطلب منى فيها أن أمضى الى مكتبه ، وهناك سلمنى ، طبقا للتعليمات التى تركها له عميله مظروفا مختوما وجدت فيه البيان التالى :

***

صديقى العزيز

عندما تقرأ هذه السطور يكون قد مر على وفاتى أربعة شهور ، وقد ترددت فى بادى الأمر فى كتابة ما يلى ولكن بدأ لى أن من الضرورى أن يعرف أحد الحقيقة عن القضيةالثانية لقصر ستايلز ، وأظن أنك عندما تبدأ فى قراءة هذا البيان تكون قد بنيت لنفسك أغرب النظريات دون أن تصل الى النتيجة الصحيحة .

ولكن دعنى أقول لك يا صديقى أنه كان فى مقدورك ان تهتدى الى الحقيقة بكل سهولة لأننى كنت قد تدبرت الأمر وقدمت لك كل الأدلة التى يجب أن تهديك اليها ، واذا لم تكن قد اكتشفتها حتى الآن فذلك لأنك كنت ومازلت مغترا بنفسك الى حد بعيد .

كان يجب أن تعرف على الأقل من الذى قتل نورتون حتى اذا ظل موت بربارا فرانكلين مستغلقا عليك .

ولكن لنبدأ من البداية . اننى استدعيتك الى ستايلز زاعما أننى بحاجة اليك ، وكان هذا صحيحا . وقلت لك أنه يجب أن تكون بمثابة عينى وأذنى وكان هذا صحيحا

أيضا ، ولكن ليس بالمعنى الذى أخذت أنت به لكلماتى فقد أردت أن ترى ما أريد أن تراه وأن تسمع ما أريد أن تسمعه .

وقد شكوت لقلة صراحتى معك للطريقة التى عرضت عليك فيها هذه القضية . وصحيح اننى رفضت أن اكشف لك عن شخصية " س " . ولكن كان لابد لى من أن أفعل ذلك ولكن لسبب آخر غير الأسباب التى ذكرتها لك كما سوف تفهم بعد قليل .

اننى أطلعتك على موجز كتبته عن خمس قضايا مختلفة وقلت لك أن الشخص المشبوه أو المتهم فى كل من هذه القضايا هو الذى ارتكب الجريمة حقا وأنه ليس هناك أدنى شك فى ذلك ، ثم أوضحت لك بعد ذلك النقطة التالية وهى ان " س " . كان موجودا فى مكان الجريمة أو على مقربة منه عند وقوعها واستنتجت أنت من ذلك على الفور استنتاجا خاطئا وهو أن " س " . هو الذى ارتكب هذه الجرائم .

ولكن الظروف التى لابست كل جريمة كانت تدل على ان الشخص المتهم هو الوحيد الذى ارتكبها . فكيف نفسر وجود " س " . اذن ؟ وفيما عدا شخص له اتصال بالبوليس أو بجماعة من المحامين الخربى الذمة فانه ليس من الطبيعى أن نجد شخصا ، سواء كان رجلا أو امرأة . متورطا فى خمس جرائم مختلفة . ان هذا لا يحدث أبدا ولن يأتيك أى أحد لكى يقول لك سرا " اننى عرفت خمسة من القتلة " .. كلا . هذا غير ممكن . كنا فى الواقع أمام حالة غريبة لعبت فيها الوساطة دورا كبيرا . كان هذا هو الموقف . فعندما يكون " س " . موجودا تقع جرائم قتل ، ولكنه لم يكن يشترك فيها اشتراكا فعليا .

كان هذا موقفا فريدا لا مثيل له على الاطلاق . وفهمت اننى التقيت أخيرا فى آخر حياتى العملية بالقاتل المثالى الذى رسم خطة فنية بحيث لا يمكن ادانته أبدا .

كان هذا أمرا مدهشا حقا ولكنه لم يكن بالشئ الجديد فقد سبق أن رأينا حالات مماثلة . ونأتى الآن الى أول الأدلة التى تركتها لك وهى مسرحية عطيل ، فان فيها

أصدق نموذج يمكن أن ينطبق على " س " . نعم . أن ياجو هو القاتل المثالى ، فان موت ديدمونة وكاسيو وعطيل نفسه ما هى الا جرائم دبرها ياجو ، ومع ذلك فقد بقى بعيدا عن الشبهات وأستطاع أن يبقى بعيدا عنها لأن شكسبير العظيم وجد نفسه أمام المعضلة التى خطط لها هو نفسه ، فلكى يكشف القناع عن يا جو لجأ الى حيلة فظة وأعنى بها المنديل ، وهى والحق حيلة لا تتفق وطريقة ياجو الفنية بحيث نحس على الفور أن هذا خطأ ما كان يجب أن يقع فيه .

نعم ، هنا تبدو المثالية فى الفن الاجرامى .. ولا كلمة تحريض واحدة بصورة مباشرة، فان ياجو ظل يبعد الآخرين عن طريق العنف مفندا فى رعب شبهات لم تكن لتخطر على بال أحد قبل أن يذكرها هو نفسه ..

ونفس الشئ فى الفصل الثالث من مسرحية جون فيرجسون ، حيث يدفع الأبله كلوتى جون غيره الى قتل الرجل الذى يكرهه ، وهو عمل ايحائى نفسى رائع .

ومن هنا يا هاستنجز تفهم ان كلا منا يمكن أن يغدو قاتلا ، ففى كل منا تظهر من وقت لآخر الرغبة فى القتل وهى مجرد رغبة تدور فى ذهن كل منا فكم من مرة سمعت فيها هذه العبارة " انها اثارت غضبى بطريقة كان من الممكن أن تدفعنى الى قتلها " "كان فى مقدورى أن أقتله بسبب عبارته هذه " .. " كنت محنقا بحيث اننى فكرت فى ان أقطع عنقه " . وكل هذا صحيح فان ذهنك يكون فى مثل هذه الأوقات صافيا تماما وتود لو أن تقتل هذا الشخص أو ذاك ولكنك لا تفعل ذلك لأن ارادتك لا تحبذ رغبتك.

ومن هذا ترى اننا جميعا يمكن ان نقدم على القتل ونية " س " . كانت لا تكتفى بالايحاء بالرغبة وانما كانت تعمل على تحطيم مقاومة الارادة .

ويجب أن تعرف يا هاستنجز ان هذا قد حدث لك انت بالذات . ولعلك تفهم الآن بعض ملاحظاتى التى تسببت فى ازعاجك ، فعندما قلت ان جريمة سوف ترتكب لم اكن

أشير الى نفس الجريمة دائما . وقد قلت لك اننى قدمت الى ستايلز لغرض معين لأن جريمة قتل سترتكب فيه وقد دهشت وانت ترانى متأكدا من نفسى هكذا . ولكننى كنت متأكدا طبعا لأننى أنا نفسى كان يجب ان ارتكب هذه الجريمة

نعم يا صديقى . هذا غريب ، وفظيع كذلك . فأنا الذى لا أقر الجريمة واحترام الحياة البشرية انهيت حياتى العملية بارتكاب جريمة قتل . ولعل ذلك لأننى كنت أكثر نفاقا وأكثر ادراكا باستقامتى بحيث أننى وجدت نفسى أخيرا أمام هذه المعضلة الرهيبة . فان مهمتى فى الحياة قامت دائما على انقاذ البرئ واتقاء جريمة القتل ، ولكننى لم أكن استطيع ان أتقى الجريمة هذه المرة الا بطريقة واحدة ، لأن القانون لم يكن يستطيع ادانة " س " . كما تعرف . فقد كان فى امان تام ولم أر طريقة أخرى لكى أتأكد من هزيمته وان أضعه فى موقف لا يستطيع منه أن يسئ الى أحد بعد .

ومع ذلك فقد ترددت . ورأيت فى وضوح ما يجب ان أفعل ولكننى لم أستطع أن أقدم عليه . كنت أشبه بهاملت ورحت اؤخر ساعة القصاص باستمرار ولكن لم تلبث ان وقعت محاولة أخرى .. فى شخص مسز لوتريل .

وقد أردت أن أعرف يا هاستنجز اذا كانت حاسة الشم التى اشتهرت بها ستظهر أيضا هذه المرة ، وقد حدث هذا فعلا ، فقد كان أول رد فعل لك هو انك اشتبهت فى نورتون فى غموض . وقد اصبت فان نورتون هو رجلنا . ولم يكن لديك ما يدعم نظريتك غير تلك الملاحظة التى أبديتها فى شئ من الخجل حيث قلت أن الرجل يبدو غير مؤذ ، ومع ذلك فانك كنت فى تلك اللحظة قريبا جدا من الحقيقة .

وقد اكببت على دراسة حياة ذلك الرجل دراسة وافية . كان الابن الوحيد لامرأة مستبدة متسلطة ، ويبدو أنه لم يستطع ان يثبت وجوده أو يفرض نفسه ، وكان يشكو من عرج خفيف يمنعه من الاشتراك مع زملائه فى العابهم الرياضية فى المدرسة .

واحدى النقاط التى ذكرتها لى والتى لها معناها هى سخرية زملائه منه حين تملكه

الغثيان أمام منظر أرنب مذبوح . وأظن ان هذا الحادث كان له أعمق الأثر فى حياته فقد كان يكره الدم والعنف ، وكان يفقد سيطرته على نفسه أمامهما . وانتظر على غير وعى منه الفرصة لكى يفرض نفسه ولكى ينتقم ويثبت بذلك قسوته وجسارته .

وأظن أنه اكتشف قدرته فى التأثير على الغير وهو لا يزال حدثا صغيرا . كان يعرف كيف يستمع فى هدوء وكيف يثير العطف . وكان الجميع يقدرونه دون أن يعيروه أى اهتمام ، وقد ساءه ذلك كثيرا ولكنه استفاد منه فى نفس الوقت فقد ادرك أنه يستطيع ، اذا ما استخدم الكلمات المناسبة والتحريضات اللازمة أن يؤثر على غيره بكل سهولة . وكان الشئ الوحيد الضرورى هو أن يفهمهم وأن يتغلغل فى أفكارهم ، وان يتوقع ردود الفعل الخفية عندهم ورغباتهم المكبوته فى داخلهم .

هل تدرك يا هاستنجز الى أى حد أستطاع هذا الاكتشاف أن يمده باحساس القوة .. هو ستيفن نورتون الذى يحبه الجميع ويحتقرونه فى نفس الوقت كان فى مقدوره أن يحمل الناس على الاتيان بأعمال كانوا يريدون القيام بها أو يعتقدون انهم لا يريدون .

واستطيع أن اتصوره وهو يمارس فكرته الثابتة ، ويكتسب شيئا فشيئا حبه للعنف عن طريق الغير .. هذا العنف الذى يفتقر اليه طبيعيا والذى تسبب فى سخرية الجميع منه وازدرائهم له .

وأخذت هذه الفكرة تنمو فى رأسه وتتضخم حتى أصبحت شهوة وضرورة . كان كالمخدر يحتاج اليه بالحاح حاجة المدمن للمورفين أو الهوراين .. نورتون هذا الرجل الهادئ الوديع كان ساديا خفيا ، يعشق الألم والعذاب الذهنى ويملك مفاتيح الحياة والموت . وكان أشبه بالمدمن تماما .. لابد له من الحصول على نصيبه من المخدر .. ومن ان يجد الضحية بعد الضحية وانا واثق ان هناك حالات أخرى أكثر بكثير من الجرائم الخمسة التى استطعت معرفتها . كان يعرف اترنجتون وقد قضى الصيف فى القرية التى كان يعيش ريجس فيها وشاركه الشراب فى حانتها أكثر من مرة وتعرف بفريد

اكلاى أثناء احدى الرحلات البحرية وأقنعها دون أن يبدو عليه أنه اذا ماتت خالتها فان ذلك يكون خيرا فتتخلص المرأة من عذابها وتعيش هى فى بحبوحة . وكان صديقا لليتشفيلد كذلك ، وعندما كان يتكلم مع مرجريت كانت ترى نفسها فى صورة بطلة تخلص اخواتها من عبوديتهن . وانني مقتنع يا هاستنجز ان ما من أحد من هؤلاء كان ليرتكب جريمة لولا نفوذ نورتون .

وننتقل الآن الى احداث ستايلز .. كنت اقتفى أثر نورتون منذ بعض الوقت وعندما تعرف بفرانكلين شممت الخطر على الفور ، فقد رأى فى فرانكلين كل أنواع الاحتمالات ولا ريب أنك ادركت الآن يا هاستنجز أن كل رجل عاقل كان يجب أن يفهم أن كلا من فرانكلين وابنتك يعشق احدهما الآخر . فخشونة الدكتور وحرصه على ان لا ينظر اليها ومعاملته لها دون أية مجاملة ، كان كل ذلك كفيلا بأن يبين لك أنه مشغوف بابنتك ، ولكنه رجل مخلص ومستقيم ولعله يتكلم فى شئ من الغلظة ولكنه ذو مبادئ ثابتة ومن رأيه ان الرجل يجب أن يبقى أمينا ووفيا للزوجة التى اختارها .

وكانت جوديث من ناحيتها تحبه حبا جارفا ميئوسا منه . وكنت أظن انك ادركت هذا وقد حسبت هى نفسها أنك ادركت ذلك فى اليوم الذى وجدتها فيه فى مزرعة الورد ، ومن هنا حدتها وغضبها فانها ما كانت لتحتمل مظاهر الشفقة والعطف .

ولكنها ادركت أنك حسبتها مشغوفة باللرتون ولم تردك عن خطئك هذا حرصا منها على أن تقى نفسها مظهرا آخر من مظاهر العطف ما كان الا ليستثير آلامها وشجونها

وراحت تغازل اللرتون فى محاولة للبحث عن عزاء يائس وهى تعلم حقيقته تماما . كان يسرى عنها ويسليها ولكنها لم تشعر نحوه بأى شعور .

أما نورتون فكان يعرف الحقيقة طبعا وقد رأى الاحتمالات التى يمكن ان يستفيدها من هذا الموقف . وأظن أنه حاول أن يفرض نفوذه على فرانكلين قبل ذلك وأنه أخفق تماما فان فرانكلين ينتمى الى ذلك النوع الذى لا يمكن أن يؤثر عليه رجل كنورتون ، فهو

رجل واضح مرهف الحس والشعور ويزدرى كل الضغوط الخارجية ، ثم أن عمله هو حبه الوحيد فى الحياة وهذه النقطة الأخيرة تجعله بمنأى عن أى خطر .

ولكن اذا كان نورتون قد فشل مع فرانكلين فقد أفلح مع جوديث وهو يتحدث عن المرضى الذين لا يرجى لهم شفاء والعجزة الذين لا يستحقون العيش .

وهذه ناحية كانت جوديث تؤمن بها ايمانا راسخا .. وقد أظهر ذكاءً فائقا فتظاهر بأنه يدافع عن النظرية المضادة ومصرحا فى هدوء بأن جوديث لن تجد الجرأة أبدا لكى تضع نظرياتها موضع التنفيذ قائلا أن هذه النظريات انما يتشدق بها الشباب ولا ينفذها أبدا .. وهذه سخرية سهلة مستهلكة ولكنها تأتى دائما بالنتيجة المطلوبة فان الشباب سريع التأثير ويجازف حتى دون أن يدرى .

وباستبعاد بربارا التى لا جدوى منها يصبح الطريق خاليا أمام فرانكلين وجوديث .. وهو لم يقل هذا صراحة بل أنه أوحى بأن وجهة النظر الشخصية لا دخل لها فى الموضوع لأن جوديث اذا كانت قد اشتبهت فى أى شئ لكانت قد تصرفت بكل عنف .. ولم تكن جريمة واحدة لتكفى نورتون ولهذا حاول أن يجد فرصة أخرى لمزاولة نشاطه ووجد هذه الفرصة فى آل لوتريل .

والآن يا هاستنجز ، عد الى الخلف وتذكر لعبة البريدج التى اشتركت فيها فى الليلة الأولى لقدومك .. لقد نطق نورتون بملاحظات فى تلك الليلة بصوت مرتفع بحيث خشيت أن يكون الكولونل قد سمعها ، ولكن نورتون تعمد ذلك ، فقد كان يجب أن يسمعه الكولونل لكى تنجح خطته .. وتكللت محاولته بالنجاح تحت أنفك وأرسى قواعد العملية بأن جعل الكولونل يشعر بالخزي والخجل من معاملة زوجته له أمام الغير .

وتصور ما حدث بعد ذلك .. زعم نورتون بأنه ظمآن ، ولا ريب أنه كان يعرف عندئذ أن مسز لوتريل على مقربة وانها لن تلبث أن تظهر ... وتصرف الكولونل على

الفور تصرف الضيف الكريم فعرض أن يقدم الشراب ، ومضى لكى يأتى بالزجاجة وأنتم جميعا جلوس بجوار النافذة .. ودخلت مسز لوتريل غرفة الطعام وحدث ما حدث بينها وبين زوجها على سمع منكم . ويعود الكولونل وكان فى مقدوركم جميعا انتقاصه والنيل من كرامته وخصوصا بويد كارنجتون لأنه رجل يميل الى المزاح والدعابة دائما ولا يهمه شعور الآخرين ولكن أحدا منكم مع ذلك لا يتكلم عدا نورتون فهو ينتهز الفرصة ويتمكن من تسميم الجو على الفور ومن غير أن يبدو عليه ذلك ، فيبدأ باستعادة ما حدث اثناء لعب البريدج وبذلك يعيد الى ذاكرة لوتريل احساسه بالخزى والمهانة ثم يتكلم عن حوادث الصيد . ويسرع بويد كارنجتون فيروى قصة الجندى الايرلندى الذى قتل أخاه ، وهى قصة سبق أن رواها نورتون بالذات وعاد هذا المغفل فرواها وهو ينسبها الى نفسه بحيث ان الايحاء الأخير لن يكون صادرا من نورتون بالذات .

كل شئ جاهز اذن . ونصل الآن الى نقطة التصدع فقد أهانته زوجته أمام أصدقائه وأحزنه ان يراهم مقتنعين بأنه لا يستطيع التصرف وأنه يتلقى كل الصفعات بكل مذلة، ويرى أخيرا وسيلة للتخلص .. البندقية .. وحوادث الصيد . والرجل الذى قتل أخاه . وتظهر فجأة رأس زوجته فى آخر الحديقة ، خلف الأشجار .. ليس هناك أى خطر .. سيبدو الأمر كما لو أنه حادث وقع قضاء وقدرا .. سأريهم ماذا أستطيع أن أفعل الآن سأريها هى . أود ان أراها ميتة .. وسوف تموت .

ولكنه لم يقتلها . وأنا واثق أنه عندما اطلق النار أخطأ الهدف لأنه كان يريد ان يخطئه فى قرارة نفسه وتحطم السحر المشئوم على الفور لأن ديزى زوجته قبل كل شئ ولأنه يحبها .

وهذه احدى الجرائم التى لم يفلح فيها نورتون .

وعندئذ يحاول محاولته الثانية . ولكن هل تعرف انك انت الذى كنت مقصودا

ياهاستنجز ؟ .. كنت انت الهدف . عد الى الخلف يا صديقى وتذكر . لقد اكتشف نورتون كل نقاط الضعف فيك ولكنه اكتشف كذلك كل خصائلك الشريفة والصريحة .

فان اللرتون من هؤلاء الرجال الذين تكرههم وتخشاهم بالغريزة . وكل ما تشك فيه وتعرفه عنه صحيح . ويروى لك نورتون قصة أخرى ، قصة حقيقية هذه المرة والخلاف الوحيد فيها هو أن الفتاة التى تكلم عنها كانت مريضة بأعصابها .

وتحدث هذه القصة أسوأ الأثر فى ذهنك المحافظ . هذا الرجل هو الوغد الخائن والشيطان وزئر النساء الذى يوقع الفتيات فى أحابيله ثم يدفعهن بعد ذلك الى الانتحار ومن ناحية أخرى كان نورتون يحرض بوويد كارنجتون هو الآخر على ان يحدثك عن جوديث . وترى نفسك مضطرا الى التفاهم مع ابنتك ولكن هيه الأخير ترد عليك كما تتوقع تماما وتقول لك انها حرة فى تصرفاتها يحملك هذا الرد على ان تواجه أسوأ الأمور .

تأمل الآن المفاتيح المختلفة التى لعب عليها نورتون . حبك لابنتك . واحساسك بالمسئولية نحو أولادك ، واخلاصك لزوجتك التى ماتت .. انك لا تريد أن تفشل فى المهمة التى تركتها على عاتقك ، ومن ناحية أخرى خدعك غرورك وحسبت انك تعلمت منى كل خفايا المهنة ... أضف الى كل هذا الغيرة العمياء التى يشعر بها كل أب نحو الرجل الذى ينتزع منه ابنته . نعم . ان نورتون لعب كما يلعب العازف الماهر على مفاتيح البيانو وكنت انت فى يده عجينة طيعة .

والمعروف عنك يا هاستنجز انك تعلق أهمية كبيرة على ظواهر الأشياء .. وقد سلمت دون أى تفكير ان جوديث تواعدت مع اللرتون على اللقاء فى لندن فى اليوم التالى ، ولكنك لم ترها وهى تتكلم ، بل انك لم تسمعها ، ومع ذلك فانك لا تزال مقتنعا فى صباح اليوم التالى بأنك استنتجت الاستنتاجات الصحيحة وابتهجت وقلت لنفسك ان جوديث غيرت رأيها .

ولكن لو انك كلفت نفسك وتقصيت الحقائق لاكتشفت على الفور ان جوديث لم تكن تنوى ان تغيب فى ذلك اليوم ابدا . ثم غاب عنك شئ آخر بسيط وهو انه كان هناك شخص آخر كان يجب ان يغيب طول اليوم .. شخص استولى عليه الحنق بعد ذلك لعدم استطاعته الرحيل وأعنى به مس كرافن .. آه ، نعم . فان اللرتون ليس بالرجل الذى يكتفى بالجرى وراء امرأة واحدة ، كان قد تمادى فى علاقته مع مس كرافن أكثر من ابنتك جوديث . وتواعد مع مس كرافن على اللقاء فى لندن .

وهذا العمل ، هو الآخر ، من تدبير نورتون ، فأنت قد رأيت اللرتون يعانق جوديث ويحملك نورتون على أن تدور بالبيت لأنه يعرف ان اللرتون تواعد مع مس كرافن على اللقاء بجوار المدخل . ويتظاهر بأنه يحتجزك ثم يدعك تمضى أخيرا ويتبعك . ويرى فى العبارة التى سمعت اللرتون ينطق بها والتى لم يكن يتوقعها فرصة مفيدة له فيجرك بأسرع ما يمكن قبل ان تدرك ان المرأة الموجودة ليست جوديث .

نعم . انه رجل ماهر حقا . ويأتى رد الفعل سريعا فتعتقد انت النية على قتل اللرتون . ولكن لحسن الحظ ان لك صديقا لا يزال عقله يعمل بصورة كاملة . وليس عقله وحده الذى يعمل فحسب كما سوف ترى .

قلت لك فى بداية هذا البيان انك اذا كنت لم تهتد الى الحقيقة فذلك لأنك مغرور أكثر من اللازم ، فأنت تصدق ما يقال لك وقد صدقت ما قلت انا لك .

ومع ذلك فقد كان من اليسير عليك ان تكتشف الحقيقة فقد ارسلت جورج الى أهله ، والحقت بخدمتى خادما آخر يقل عنه خبرة وذكاء ، فلماذا ؟ ثم أنه لم يتبعنى أى طبيب مع ان المعروف عنى اننى شديد الحرص والعناية بصحتى ، وكذلك لم أشأ ان استشير أى طبيب فلماذا ؟

هل ترى الآن لماذا كان وجودك فى ستايلز ضروريا لى ؟ كان لابد لى من شخص يقبل كلامى على علاته ويصدقه وقد صدقت إنت دون أي نقاش اننى عدت من مصر

أشد مرضا مما كنت قبل ان امضى اليها ولم يكن هذا صحيحا لأننى عدت منها وقد تحسنت صحتى الى حد كبير وكان يمكنك أن تكتشف ذلك لو أنك كلفت نفسك أية مشقة ولكنك صدقتنى واذا كنت قد اقصيت جورج عنى فذلك لأننى لم أكن أستطيع اقناعه بأننى فقدت استخدام ساقى فجأة فان جورج ذكى وكان فى استطاعته ان يفهم على الفور بأننى اتظاهر بذلك فهل تفهم الآن يا هاستنجز ؟ .. بينما كنت اتظاهر بأننى عاجز وبينما كنت أخدع الجميع بما فى ذلك كورتيس كنت أستطيع الحركة كما أريد بشئ بسيط من العرج .

وقد سمعتك فى تلك الليلة تصعد ثم تدخل غرفة اللرتون بعد تردد يسير . وتنبهت على الفور لأننى كنت قلقا جدا عليك وكنت وحدى ، وكان كورتيس قد هبط فلم أفقد لحظة واحدة وتسللت من غرفتى واجتزت الطرقة . وسمعتك فى غرفة حمام اللرتون فاستخدمت تلك الطريقة التى طالما استهجنتها أنت فجثوت على ركبتى ونظرت من ثقب المفتاح ولحسن الحظ ان المفتاح لم يكن بالباب . ورأيتك ورأيت ما فعلت وفهمت على الفور الفكرة التى تدور فى رأسك .

ولم يبق أمامى بعد ذلك الا أن أعمل فعدت الى غرفتى واعددت عدتى . وعندما صعد كورتيس أرسلته لكى يأتى بك وجئت انت تتثاءب زاعما ان بك صداعا . وأسرعت بانتهاز الفرصة وعرضت عليك بعض العقاقير ولكى تتخلص منى رضيت أن تشرب قدحا من الشيكولاته وازدردته مرة واحدة لأنك كنت تتعجل الانصراف . ولكننى أنا أيضا استخدمت الأقراص المنومة فما ان عدت الى غرفتك حتى نمت فى مقعدك .

وعندما استيقظت فى صباح اليوم التالى كنت قد استعدت صفاء ذهنك وادركت بشاعة ما كنت مقدما عليه بالأمس . ولم تكن تتعرض لأى خطر بعد ذلك لأن المرء لا يقدم على مثل هذا العمل مرة أخرى عندما يعود اليه رشده .

بيد ان ذلك حفزنى الى العمل لأن كل ما كنت أستطيع أن أعرفه عن الآخرين كان لا ينطبق عليك انت لأنك لست قاتلا يا هاستنجز .. ومع ذلك فقد كان فى الامكان أن يدينك القضاء لجريمة ارتكبها غيرك ويبدو بريئا أمام القانون .

نعم ، كان لابد أن اتصرف . كنت أعرف أنه ليس امامى الكثير من الوقت ومع ذلك فقد أبتهجت لأنه ليس أشق على النفس وأقسى فى جريمة القتل من تأثيرها على القاتل . وقد كان فى مقدورى أن أعتقد ان الله اختارنى ، انا هركيول بوارو لكى أقتص من المذنبين ولحسن الحظ أننى لن أشعر بهذا التأثير لأن النهاية بالنسبة لى كانت آتية دون تأخير ، ثم اننى خشيت أن يفلح نورتون فى احدى خططه الشيطانية مرة أخرى اذا ما تصدى لشخص عزيز علينا معا ، وأعنى به ابنتك .

ولننتقل الآن الى موت بربارا فرانكلين .. مهما تكن أراؤك فى هذه القضية فلا أظن انك شككت لحظة واحدة فى الحقيقة لأنك أنت الذى قتلت بربارا يا هاستنجز .. نعم ، أنت .

لأن هناك مظهرا ثالثا فى الواقع .. مظهرا لم أهتم به بما يكفى قبل ذلك ، فلم نكتشف ، لا أنت ولا انا أهداف نورتون فى هذه الناحية ، ومع ذلك فاننى لا أشك فى انه وضعها موضع التنفيذ .

هل خطر لك ان تتساءل لماذا قبلت مسز فرانكلين المجئ الى ستايلز ؟ لو انك فكرت فى ذلك لحظة واحدة لأدركت أنه ليس بالمكان الذى يتوقع ان يراها أحد غيره ، فقد كانت تحب الرفاهية والطعام الشهى ، وفوق كل شئ حياة المجتمع ، وستايلز ليس بالمكان الذى تتوفر فيه وسائل الترفيه والخدمة ليست ممتازة تماما . ،مع ذلك فهى التى أصرت على قضاء الصيف فيه ، وكما سبق ان قلت ، هناك مظهر آخر للمثلث وهو بويد كارنجتون .

لقد تزوجت مسز فرانكلين زواجا فاشلا وهذا هو سبب مرضها العصبى . كانت

امرأة طموحه على صعيد المجتمع والمال فى نفس الوقت . وقد تزوجت بفرانكلين لأنها كانت ترجو ان يكون له مستقبل زاهر متألق ، والواقع انه كان متألقا على طريقته هو لا كما كانت زوجته تتمنى وتأمل ، وقد أدركت انه لن يتاح له أبدا الظهور فى المجتمع ولن تكون له عيادة فى شارع هارلى وهو شارع الأطباء الناجحين ولن تنشر مقالاته الا فى المجالات العلمية وقراؤها مجدودون . صفوة القول أنه لن يثرى أبدا .

ولكن ها هو ذا بويد كارنجتون قد عاد من الشرق وورث لقب البارونية ونصرا كبيرا وثروة طائلة وقد ظل محتفظا فى سويداء قلبه بعاطفة رقيقة نحو فتاة السابعة عشرة التى سبق ان رآها وكاد ان يطلب يدها . وكان ينوى قضاء الصيف فى ستايلز ريثما تنتهى الترميمات التى بدأها فى كناتون ، واقترح على آل فرانكلين ان يأتوا هم أيضا للاقامة فى ستايلز ، وأسرعت بربارا فقبلت العرض .

والواقع أنها لم تفقد شيئا من فتنتها فى عينى ذلك الرجل الثرى الذى لا يزال يتمتع بجاذبية كبيرة . غير انه محافظ ولن يرضى بالطلاق أبدا كما أن جون فرانكلين لا يحبذ الطلاق هو الآخر ، ولكن اذا مات هذا الأخير فان بربارا تستطيع ان تصبح الليدى بويد كارنجتون عندئذ وستكون حياتها رغدة سعيدة .

وأظن أن نورتون وجد فيها أداة سهلة يمكنه أن يصوغها كما يريد .

وحين أفكر فى الأمر مليا يا هاستنجز أرى ان الأمر كان واضحا جدا ، ولا تنسى محاولاتها لكى تثبت انها متمسكة بزوجها ، بل انها زادت فقالت انها تود لو ان تتخلص من حياتها لأنها عبء عليه لا يستطيع التخلص منه . ثم تتخذ منهجا آخر بعد ذلك بقليل فتتظاهر بأنها تخشى ان يجرب زوجها القلويات السامة على نفسه .

نعم . كان يجب ان نفهم عندئذ يا هاستنجز . كانت تعدنا مسبقا لكى نتأكد ان فرانكلين مات قتيلا بسم الفيزوستجمين ، وهكذا لا نشك فى أن أحدا دس له السم وانما نعتقد انه مات خطأ نتيجة لتناوله السم لكى يعرف تأثيره عليه .

ولكن الأحداث تتابعت بسرعة فأنت قد أخبرتنى ان مسز فرانكلين استاءت جدا عندما رأت مس كرافن تقرأ كف بويد كارنجتون . كانت الممرضة امرأة جذابة من النوع يحاول استمالة الرجال اليه وقد حاولت ان تستميل الدكتور فرانكلين اليها ولكن دون جدوى . وهذا هو سبب كراهيتها لجوديث . ثم غازلت اللرتون بعد ذلك وهى تعرف أنه زئر نساء . ولم يكن هناك أى شك فى أنها ستلقى بشباكها أخيرا على سير ويليام الثرى . وكان لدى هذا الأخير كل الاستعداد لأن يقع فى براثنها لأنه كان قد لاحظ انها فتاة قوية الجسم صحيحة البدن لا تشكو من أى مرض .

ولهذا استولى الخوف على بربارا وعقدت النية على أن تتصرف فورا ، قبل أن تضيع منها الفرصة .

هل تشعر يا صديقى اننى أكن احتراما كبيرا لفول كالابار هذا ؟ . فهو قد أظهر قدرته هذه المرة لأنه صان البرئ وعاقب المذنب .

فقد دعتكم مسز فرانكلين فى تلك الليلة لتناول القهوة فى غرفتها . وكما قلت لى كان فنجانها موجودا أمامها وفنجان زوجها فى الجانب الآخر من المكتبة .

ثم ظهر النيزك وأسرع الجميع الى الشرفة لمشاهدته وبقيت أنت وحدك مع كلماتك المتقاطعة ومع ذكرياتك .ولكى تتغلب على انفعالاتك أدرت المكتبة لكى تأخذ كتابا .

وعاد الجميع عندئذ وشربت مسز فرانكلين القهوة التى أعدتها لزوجها بينما شرب هذا الأخير قهوتها هى .

وقد أدركت ما حدث على الفور ولكن كان من المستحيل اثبات ذلك ، ولو خطر ببال أحد أن موت مسز فرانكلين لم يكن انتحارا فان معنى ذلك أن تقع الشكوك على فرانكلين وجوديث وهما بريئان تماما .

ولهذا فعلت ما أعتقدت انه حق ورويت قصة القنينة التى رأيتها فى يد فرانكلين ورددت الكلمات التى عبرت بها عن رغبتها فى الانتحار .

وكنت أنا الوحيد الذى كان فى استطاعته أن يقدم على هذا التصرف لأن لى خبرة كبيرة فى النواحى الاجرامية ولأن لشهادتى ثقلها . وكنت مقتنعا فى شهادتى بحيث ان المحلفين قبلوا فكرة الانتحار . وقد رأيتك منزعجا وغير راض عن نتيجة التحقيق . وأحمد الله لأنه لم تشك فى الخطر الحقيقى . ولكن هل تشتبه فيه بعد اختفائى وهل يلح على ذهنك كالثعبان الذى يحرك رأسه من وقت لآخر ويقول : واذا كانت جوديث ؟

كان هذا أمرا محتملا ولهذا قررت ان أكتب لك هذا البيان لأن من الضرورى ان تعرف الحقيقة .

وهناك شخص آخر ما كان حكم الانتحار ليرضيه ، وهو نورتون لأنه أحسن بأنه حرم من شئ . وكما سبق ان قلت فقد كان رجلا ساديا يجب أن يستمتع بكل أنواع العنف والانفعالات والشكوك والمخاوف التى يجب أن يراها على الوجوه بعد صدور حكم بالادانة . ولكنه حرم من كل هذا لأن الجريمة التى خطط لها ودبر اجهضت أمام عينيه .

ولكنه لا يلبث ان يرى ما يمكن ان نسميه بالتعويض ... طريقة يستدرك بها ما حدث فيقوم ببعض الايعازات ويتظاهر بأنه رأى شيئا غير طبيعى خلال منظاره . وكان ينوى أن يزعم أنه رأى اللرتون وجوديث فى موقف مشبوه ، ولكنه لم يكن قد حدد شيئا بالذات ، وكان فى مقدوره ان يستخدم هذا الحدث بطريقة مختلفة كأن يقول مثلا أنه رأى فرانكلين مع جوديث . وسيكون لموت بربارا وضعا آخر طبقا لقوله هذا لأنه سيثير الريب والشكوك حول حقيقة انتحارها .

ولهذا السبب يا صديقى عقدت العزم على أن اتصرف دون أى تأخير فطلبت منك أن تأتينى بنورتون فى تلك اللية .

وسأروى لك الآن ما حدث بالضبط . ولا ريب أن نورتون كان يسره أن يروى لى قصته على طريقته الخاصة ولكننى لم اترك له الوقت لذلك بل صارحته على الفور

وبكل وضوح بكل ما أعرفه عنه وعن أعماله . ولم ينكر شيئا وانما بقى جالسا فى هدوء وهو يبتسم معجبا بنفسه . نعم يا صديقى . كان يبتسم ثم سألنى بعد ذلك ماذا أنوى أن أفعل فاجبته بكل هدوء بأننى أنوى أن أقتله .

صاح يقول : - آه . أبالسيف أم بالسم ؟

وكنا نهم فى تلك اللحظة باحتساء قدح من الشيكولاته فأجبته :

- أسهل شئ طبعا هو أن ألجأ الى السم .

وناولته قدح الشيكولاته فقال : - اذا كان الأمر كذلك أفيزعجك أن استبدل فنجانى بفنجانك ؟

أجبته : - أبدا .

والحق أنه لم يكن لذلك أهمية فاننى كما سبق أن قلت لك أتعاطى المنومات . ولما كنت أتناولها يوميا وبصفة مستديمة فقد اعتاد جسمى عليها واكتسب مناعة ما بحيث أن الكمية التى كان يجب أن تؤثر فى نورتون لا تأثير علىّ على الاطلاق . وكنت قد دسست المخدر فى اناء الشيكولاته فتناولناه معا ولكنه أحدث مفعولة فى نورتون سريعا . أما أنا فلا ، خصوصا واننى أبطلت مفعوله بجرعة من الدواء الذى اتناوله عادة .

وبهذا بلغنا الفصل الأخير فقد نام نورتون . وأجلسته فى مقعدى ونقلت المقعد خلف الستارة السميكة بجوار النافذة . وجاء كورتيس بعد ذلك فأرقدنى فى فراشى وعندما سكن كل شئ نهضت ومضيت بنورتون الى غرفته ولم يعد أمامى عندئذ الا أن استخدم عينى وأذنى صديقى العزيز هاستنجز .

ولعلك لم تلحظ ذلك ولكننى ألبس باروكة منذ بضع سنوات . كما أن شاربى غير حقيقى .

وبعد ذلك لبست ثوبى نورتون المميز وشعثت شعرى كما أعتاد هو أن يفعل ثم

خرجت الى الطرقة وقرعت بابك وكما توقعت ظهرت أنت بعتبة الباب على الفور وعيناك وارمتان من النوم ورأيت نورتون يخرج من غرفة الحمام ويعبر الطرقة وهو يعرج لكى يمضى الى غرفته ثم سمعته يغلق باب غرفته بالمفتاح .

ونضوت الثوب عنى عندئذ وألبسته لنورتون ثم مددته فوق الفراش وقتلته بمسدس صغير قد اشتريته من الخارج من قبل . ومنذ قدومى الى ستايلز وأنا احتفظ بهذا المسدس فى مكان أمين فيما عدا مناسبتين خرج نورتون فيهما من غرفته لفترة طويلة فوضعته تحت الطاولة التى بجوار فراشه لكى تراه الخادمة وتشهد فيما بعد بأنه ملكه.

ودسست المفتاح فى جيب نورتون بعد ذلك ثم أخذت مقعدى وأغلقت الباب بالمفتاح المزدوج الذى كان معى منذ بعض الوقت .

وانهمكت بعد ذلك فى كتابة هذا البيان الذى أعده لك . اننى متعب والجهد الذى بذلته أرهقنى وأظن أنه لن ينقصنى وقت طويل قبل أن ..

ولكن هناك نقطة أو نقطتين لابد لى من أن أجلوهما .

ان جرائم نورتون كانت جرائم كاملة . أما جريمتى أنا فليست كذلك لأننى أدرت ذلك .

كانت أحسن طريقة هى أن أقتله بصراحة وعلانية متسببا فى وقوع حادث بمسدس ثم اتظاهر بعد ذلك بالاستياء والندم بحيث يقول الجميع : - يا للرجل المسكين ! ... انه لم يكن يدرى أن المسدس محشو .

ولكننى لم أشأ ان اتصرف هكذا . وسأخبرك الآن بالسبب .

ذلك لأننى أردت أن أكون " رياضيا " .

نعم . فاننى أفعل الآن كل ما سبق أن لمتنى من أجله ، فقد صارحتك بكل شئ وكشفت لك لعبتى وقدمت لك كل الأوراق الرابحة لكى تهتدى الى الحقيقة . واذا كنت تشك فى ذلك فسوف اذكر لك الأدلة التى تركتها لك .

أنت تعلم أن نورتون قد أقبل هنا بعدى ، وقد قلت لك ذلك . وتعلم اننى استبدلت غرفتى بغيرها بعد قليل من مجيئى وقد قلت لك ذلك . وتعلم اننى فقدت مفتاحى واننى صنعت مفتاحا آخر بدله . وقد قلت لك ذلك أيضا .

ونتيجة لذلك فعندما تتساءل من الذى استطاع أن يقتل نورتون ، ومن الذى أستطاع أن يخرج من غرفة مغلقة بالمفتاح فلابد أن يكون الجواب هو : - هركيول بوارو لأنه منذ أن أقبل الى ستايلز ومعه مفتاح مزدوج لاحدى الغرف .

ولنتكلم الآن عن الرجل الذى رأيته فى الطرقة . اننى سألتك هل أنت واثق انه هو نورتون فبدت عليك الدهشة لسؤالى هذا وسألتنى بدورك هل أريد الايحاء بأنه ليس هو ؟ وقد ذكرت لك الحقيقة وقلت لك أن هذه ليست نيتى (وهذا أمر مفهوم طبعا لأننى أزعجت نفسى كثيرا لكى أحملك على الاعتقاد بأنه هو الذى رأيته) . ثم تكلمت عن قامته بعد ذلك وقلت لك أن جميع من فى ستايلز أطول منه قامة ومع ذلك فقد كان هناك شخص أقصر منه قليلا وهو هركيول بوارو ولكن من السهل جدا أن اكتسب بضعة سنتيمترات زيادة اذا ما وضعت فى حذائى ما يساعدنى على ذلك .

وكنت مقتنعا كذلك بأننى كنت عاجزا عن الحركة . ولكن لماذا ؟ لأننى أنا الذى قلت لك ذلك . وأخيرا أبعدت جورج ونصحتك أن تلتقى به .

وتعلم من عطيل وجونى كلوت أن " س " . لا يمكن أن يكون الا نورتون .

فمن الذى استطاع أن يقتل نورتون اذن ؟

هركيول بوارو وحده هو الذى استطاع ذلك .

لو أن هذا الشك راودك لتطابقت كل قطع اللغز . فان كل الأشياء التى قلتها لك وفعلتها ، وترددى وتصريح الأطباء المصريين وطبيبى المعالج بلندن بأننى لا أستطيع الحركة وتصريح جورج فيما يتعلق بباروكتى ، وكونى أعرج أكثر من نورتون ، كل هذا كان يمكن أن يرشدك الى الحقيقة .

ولكن من الجائز أنك اشتبهت فى أمرى على كل حال ، ومن الجائز أنك كنت تعرف الحقيقة قبل أن تقرأ هذه السطور ... ومع ذلك فلا أظن أن هذا حدث ، لأنك من الشرف ومن السذاجة بحيث لا يمكن أن يخطر لك هذا على بال .

ماذا أقول أيضا ؟ ... فرانكلين وجوديث ؟ ... أظن أنك ستكتشف أنهما كانا يعرفان الحقيقة ، ولكنهما لن يعترفا لك بذلك . قد لا يصيبان الثراء ثم أنهما قد يضطران الى مقاومة الناموس والأمراض الاستوائية ولكن لكل منا أراؤه الخاصة فى الطريقة التى يكيف بها حياته .

وأنت الآن وحدك يا عزيزى هاستنجز ... ان قلبى يدمى وأنا أفكر فيك وفى روحك اليائسة . هل تريد أن تصغى الى نصيحة صديقك الحميم بوارو للمرة الأخيرة ؟ ... إذا أردت ذلك فعندما تفرغ من قراءة هذه السطور استقل القطار أو السيارة أو العربة وامض لزيارة اليزابيث كول ، وهى أيضا اليزابيث ليتشفيلد . اقرأ لها هذا البيان أو أطلعها على ما فيه . وقل لها أنه كان مقدرا لك أنت الآخر أن تتصرف كما تصرفت أختها مرجريت وأن ماجى المسكينة لم تجد بوارو لكى يسهر عليها كما سهر عليك أنت قل هذا لاليزابيث وانتزع من ذهنها ذلك الكابوس الذى يلح عليها منذ سنين وأخبرها أن أباها لم تقتله ابنته وانما قتله صديق العائلة الذى أولاه ثقته ... ستيفن نورتون الشريف ... لأنه ليس من العدل يا صديقى أن ترفض امرأة شابة جميلة مثلها أن تعيش لأنها تظن أن القدر وسمها . ليس هذا صحيحا . قل لها هذا يا صديقى فأنت ما زلت على حظوة كبيرة لدى السيدات .

حسنا . لم يعد لدى ما يقال ولكننى لا أدرى يا هاستنجز اذا كان ما فعلت شرعا أم لا ... لا أدرى حقا ... وفى قرارة نفسى لا أعتقد أن للرجل أى حق فى أن يحل محل القانون ، ولكن من ناحية أخرى فأنا القانون ، وعندما كنت شابا . وكنت لا أزال أعمل فى البوليس البلجيكى قتلت مجرما لجأ الى السطح وراح يطلق الرصاص على

المارة . وفى حالة الضرورة القصوى أو الخطر الماحق تعلن الأحكام العسكرية .
وبانتزاعى الحياة من نورتون فقد انقذت أناسا آخرين ... أناسا ابرياء . ومع ذلك فلا أدرى ولعل من الأوفق ان لا أدرى ... اننى كنت دائما واثقا من نفسى .

ولكننى الآن أقول فى خضوع كالطفل الصغير ... لا أدرى .

الوداع يا صديقى العزيز . اننى أزلت من الطاولة التى بجوار الفراش أقراص الاملنتريث مفضلا أن أترك نفسى بين يدى الله وأرجو أن يشملنى بقصاصه أو برحمته بدون تأخير .

لن نخرج للصيد مرة أخرى يا صديقى .. كان صيدنا الأول هنا .. هل تتذكر؟... وهنا صيدنا الأخير .

كان ذلك فيما مضى .

نعم كان ذلك فيما مضى ...

وبهذه الكلمات انتهى بيان هركيول بوارو .

* * *

تمت بحمد الله



* [illegible]
* [illegible]
* رحلة إلى المجهول
* [illegible]
* [illegible]
* المؤامرة الكبرى
* [illegible]
* جريمة [illegible]
* أبواب القدر
* [illegible]
* [illegible]
* [illegible]
* جريمة فوق السحاب
* جريمة في العراق
* المغامرة
* اللغز المثير
* سر [illegible]
* اختطاف رئيس الوزراء
* العميل السري
* سر الجريمة
* القصة الكبرى
* الجريمة الكاملة
* قتيل في [illegible]
* ذكريات
* أدلة الجريمة
* القاتل الغامض
* الرسائل السوداء
* عدالة السماء
* المتهم الصامت
* الذئب
* شرخ في المرآة
* زملاء الشر
* المغامر
* لغز الهاربان
* المطارده القاتلة
* لغز أختفاء المليونير
* الضحيه الثالثة
* الصوت الغامض
* الفناء الزائف
* الحلم الرهيب
* رجل بلا قلب
* صرخة في الليل
* خيوط العنكبوت
* تحدي العظماء الأربعة
* جريمة في البحر
* المرأة الغامضة
* لغز الألغاز
* الرجل الخفي
* وجهاً لوجه
* جريمة الكوخ
* كأس السم
* الرعب القاتل
* دائرة الخطر
* الغرفة السرية
* الشبح القاتل
* رحل يتحدى بوارو
* سر المرأة المقنعة
* الجريمة المعقدة
* الرصاصة الأخيرة
* الشاهدة الوحيده
* المأساة العجيبة
* بيت الأسرار
* شبح من الماضي
* الساحرات الثلاثة
* الوثيقة السرية
* الجريمة المزدوجة
* سر زائر الليل
* الخطة الجهنمية
* ساعة الصفر
* جريمة في قطار الشرق
* جزيرة الـ
* المصيدة
* جريمة الق
* أغتيال
* الزائر ال
* الخدعة
* أعلان ع
* الأنتقام

المملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

١٠٠٩

مكتبة معروف